روابط الأخوة الإسلامية

روابط الأخوة الإسلامية

الطبعة الثانية

روابط الأخوة الإسلامية
على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تأليف

الدكتور صادق بن محمد صالح البيضاني

المُقدِّمة



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعـــد:

فمما يقوي رابطة الإخاء، ويربط المسلمين بعضهم ببعض، ويدعم أواصر المحبة الصادقة بين الأفراد والمجتمعات انتشار الحقوق الأخوية والعمل على إرسائها واقعًا عمليًّا مشاهدًا، إذ ذلك سبيل الله المستقيم ومنهاجه القويم.

ولا يمكن للصف الإسلامي أن يلتئم إلَّا بالسبيل الذي شرعه الله وفق مصلحة الخليقة، ذلك السبيل الذي يوحد كلمة المسلمين ويقوي شوكتهم بما ينافي كافة السبل المنحرفة.

قال ابن مسعود(١): «**خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: هذا**

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ولازم النبي ﷺ وحدث عنه وعن عمر وسعد بن معاذ وغيرهما، وروى عنه العبادلة أبو موسى وأبو رافع وأبو شريح وأبو سعيد وغيرهم، توفي بالمدينة سنة **٣٢**هـ،ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٢٣٣)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ]، وكذا [أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير الجزري (٣/ ٣٩٤)، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

سبيل الله مستقيمًا، ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلاَّ عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»(١).

ومن لوازم صراط الله المستقيم قيام الأمة الإسلامية بما فرضه الله عليها من الإخاء الصادق والعمل على ترسيخه واقعًا ملموسًا، ليتحقق لأبناء الإسلام سبيل النصر والتمكين الذي وعده الله عباده المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النُّور: ٥٥].

ولأهمية الموضوع رأيت أن أضع بين يديّ القراء هذه الدراسة المختصرة التي تتعلق ببناء المجتمعات والشعوب بناءً إسلاميًا صحيحًا وفق مراد الشرع.

من خلالها أسلط الضوء على حقيقة الأخوة الإسلامية وأهم روابطها على ضوء الكتاب والسنة وحال السلف ومن مضى على نهجهم من أهل العلم والفضل والصلاح مع ذكر بعض النماذج الحية عبر العصور الإسلامية وما كانوا عليه من الأخوة الإيمانية، والتفريق بين هذه الأخوة الإسلامية والأخوة الإنسانية المزعومة التي تشترك فيها الأمم والشعوب من المسلمين وغيرهم.

وقد أحببت أن تكون رسالتي لنيل درجة «الماجستير» في هذا الخصوص تحت عنوان «**روابط الأخوة الإسلامية**».

سائلًا المولى سبحانه، التوفيق والسداد في الدنيا ويوم المعاد، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، (١/ ٤٦٥ رقم ٤٤٣٧)].

۞ أسباب اختيار الموضوع:

١ ـ الرغبة الشخصية في طرح هذا الموضوع على ضوء الكتاب والسنة وحال سلف الأمة ومن سار على نهجهم.

٢ ـ اظهار روابط الأخوة الإسلامية وما اشتملت عليه من المحاسن التي تكاد أن تكون مفقودة بين الأمة في العصر الحديث.

٣ ـ الوقوف على بعض تراث سلف هذه الامة، وبيان موقفهم من هذه الروابط.

٤ ـ التصوير الحي بين الأخوة الإسلامية والأخوة الإنسانية مع بيان الفروق الجوهرية.

٥ ـ المساهمة في معالجة الانحراف عن مقتضى الأخوة الإسلامية، والعمل على إبراز الفرق بين الأخوة الإسلامية والأخوة الإنسانية لمنع الخلط والتشويش.

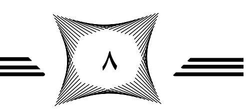
٦ ـ المساهمة في إضافة هذه الدراسة إلى المكتبة الإسلامية.

۞ أهمية وأهداف الدراسة:

الأخوة الإسلامية أصل من أصول الدين، والبحثُ في دراستها من أجلِّ العبادات التي تقربنا إلى الله، ولما كان الأمر كذلك يظهر جليًا أهمية هذا الموضوع في الآتي:

١ ـ حاجة الكثيرين من هذه الأمة إلى معرفة الأخوة الحقة ومفهومها الشرعي.

٢ ـ الدراسة الشرعية من خلال الكتاب والسنة وحال المخلصين من المسلمين، وكيف آل إليه المجتمع في العصر الحديث.



۞ حدود البحث ومجالاته :

دراسةٌ شرعية من واقع الكتاب والسنة وحال المسلمين قديمًا وحديثًا.

۞ الدراسات السابقة :

سبقت دراسات عديدة عن الأخوة الإسلامية، حيث اهتم مؤلفوها بموضوع الإخاء والدعوة إلى إرسائه في مجتمعاتنا الإسلامية، لكنَّ هذا البحث يمتاز عن غيره من الدراسات الأخرى بدراسة قضية الأخوة وروابطها على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وذلك من خلال حشد أكبر عددٍ ممكنٍ من الآيات والأحاديث والآثار ونحوها مما يتعلق بأخوة الدين وربط هذه النقول بعضها ببعض من خلال النص والتطبيق، والدعوة إليها، مع وضوح العبارة وسلاسة الألفاظ وإخراجها إخراجًا حيًا إلى حيز الوجود من خلال ضرب الأمثلة الواقعية والتاريخية عبر العصور وربطها بأدلة الشرع وواقع السلف.

هـذي الـروابـط قـد أتـت مـمـزوجـةً	بــمــودةٍ ومــحــبــةٍ وإخــاء
تـوجـتـهـا بـصـريـح نـص ظـاهــرٍ	مــن مـصـحـف أو سـنـةٍ غــراءِ
وبـقـولِ أصـحـاب الـنـبـيِّ مـحـمـدٍ	والـتـابـعـيـنَ وخـيـرةِ الـعـلـمـاءِ
لـبـيـان قـاعـدة الإخـاء ونـهـجـهِ	بـشـريـعـةٍ وضَّـاءةٍ سـمـحـاءِ

هذا وقد اجتهدت قدر طاقتي وتوخيت الدقة والحيطة العلمية فإن وفقت فبفضل الله تعالى ورحمته وإن كانت الأخرى فحسبي أني من البشر اجتهد : فأصيب أو أخطئ:

عـلـى أنـنـي صـنَّـفـتُ بـحـثـي مـتـمـمًـا	ولا أدَّعـي سـبـقًـا وفـضـلَ بـراعــتـي
ولـكـنـهُ جَـهْـدُ الـمُـقـل وخِـطـةٌ	إلـى رتـبِ الـعـلـيـاء أو بـعـضِ خُـطْـوَتـي

۞ خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، ويعقب ذلك الفهارس العامة لمحتويات البحث.

أولًا: المقدمة:

ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهمية وأهداف الدراسة، ومنهج البحث وحدوده ومجالاته، وخطة البحث.

ثانيًا: التمهيد:

وقد تكلمت فيه عن: **مكانة الأخوة الإسلامية**، وذكرت فيه مطلبين:

المطلب الأول: حقيقة الأخوة الإسلامية وروابطها.

المطلب الثاني: بيان كيف تحققت الأخوة في العهد النبوي وكيف بدأت تنقرض في بعض المجتمعات الإسلامية.

الفصل الأول: أصول الروابط في الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة النبوية.

المبحث الثالث: أقوال السلف وأعمالهم.

الفصل الثاني: أنواع روابط الأخوة الإسلامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **التعاون**، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعاون المادي.**

المطلب الثاني: **النصيحة.**

المبحث الثاني: **حسن الظن وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: حسن الظن فيما ظهر من الأقوال.

المطلب الثاني: حسن الظن فيما ظهر من الأفعال.

الفصل الثالث: الأخلاق الفاضلة ودورها في تأصيل الأخوة الإسلامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **الأخلاق القولية**، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : التأصيل النبوي للأخلاق القولية.

المطلب الثاني : حال السلف ومواقفهم الأخلاقية القولية.

المبحث الثاني : **الأخلاق العملية**، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التأصيل النبوي للأخلاق العملية.

المطلب الثاني : حال السلف ومواقفهم الأخلاقية العملية.

الفصل الرابع : الآثار الإجتماعية لروابط الأخوة الإسلامية، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : **الآثار الإيجابية على الفرد.**

المبحث الثاني : **الآثار الإيجابية على المجتمع.**

ثم **الخاتمة والفهارس العامة**.

۞ المنهج المتبع في البحث :

منهجي الذي اتبعته في هذه الرسالة ما يلي :

١ ـ قراءة ما تيسر من كتب الدعوة والعقيدة والحديث والتأريخ والمعاصرة، وجمع ما يتعلق بالأخوة وروابطها، ومن ثَم تصنيفها حسب خطة البحث.

٢ ـ عرض ما ينافي الأخوة الإيمانية على النصوص الشرعية لبيان مخالفتها وتحديد وجه المخالفة إجمالًا.

٣ ـ عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم.

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية والآثار الواردة في البحث من مصادرها المعتمدة، وذكر ضعيفها أو إيراده بصيغة التمريض كرُوي، ويُذكر ونحوهما.

٥ ـ الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، ولا أعيد ترجمته في المواضع التي يتكرر فيها.

٦ ـ شرح الكلمات الغريبة والألفاظ الغامضة والمصطلحات الواردة في الرسالة.

٧ ـ عزو النصوص إلى مراجعها مع الإشارة إلى الإسم المتعارف عليه للكتاب واسم المؤلف والجزء والصفحة في الهامش، وذكر اسم الكتاب كاملًا وطبعته وتاريخها ودار النشر في ثبت المصادر والمراجع.



تمهيد
مكانة الأخوة في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة الأخوة الإسلامية وروابطها.

المطلب الثاني: بيان كيف تحققت الأخوة في العهد النبوي وكيف بدأت تنقرض في بعض المجتمعات الإسلامية.



مكانة الأخوة في الإسلام

للأخوة الإسلامية مكانة عظيمة في الإسلام لكونها تمثل المجتمع الإسلامي الواحد، لذا نجد أن الإسلام اهتم بهذا الجانب اهتمامًا بالغًا.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

قال ابن جرير[(١)] في تفسير هذه الآية: «يعني: فأصبحتم بتأليف الله ﷻ بينكم بالإسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الإيمان والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر إخوانًا متصادقين لا ضغائن بينكم ولا تحاسد»[(٢)] أهـ

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠] «أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب»[(٣)].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، إمام عصره وفقيه زمانه من أهل آمل، طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ، ومات في شوال سنة ٣١١هـ، وكان متفننًا في جميع العلوم، له الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الأمم، وله كتاب التفسير الذي لم يصنف مثله، وكتاب تهذيب الآثار، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة [تذكرة الحفاظ، تأليف شمس الدين الذهبي (٢/ ٧١٠)، تحقيق حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ].

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري (٤/ ٣٦)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للعلامة محمد بن أحمد القرطبي (١٦/ ٣٢٢)، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

وقد اهتم النبي ﷺ على نحو ما أمره به الشرع كي يحافظ على المجتمع المسلم من خلال توجيهاته وكثرة نصائحه ودعوته إلى روابط الأخوة كالتعاون وحسن الظن وطلاقة الوجه والتواضع ونحوها مما يوثِّق رابطة الإخاء بين المسلمين، حيث نجد هذا الإهتمام منه ﷺ من جهتين :

الجهة الأولى: من حيث أقواله ﷺ : فقد أمرهم بحسن الظن بإخوانهم المسلمين والتعاون معهم وزيارتهم واتباع جنائزهم ونحوها من الأمور المهمة التي تدل على مكانة الأخوة الإيمانية في الإسلام وفي قلوب المؤمنين، فقال ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»(١)، وقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»(٢)، وقال: «**من عاد مريضًا نادى منادٍ من السماء، طبت وطاب ممشاك وتبوَّأتَ من الجنة منزلاً**»(٣)، وقال: «**من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معه حتى يُصلى عليها ويُفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها، ثم رجع قبل أن تدفن، فإنه يرجع بقيراط**»(٤) ونحوها من الأواصر الحية.

الجهة الثانية: من حيث أفعاله ﷺ : حيث كان ﷺ القدوةَ الحسنةَ للمسلمين عامة، فإنه لا يقول القول ويدعو إليه إلَّا كان أولَ من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، (٥/١٩٧٦رقم ٤٨٤٩)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (٤/ ١٩٨٥رقم ٢٥٦٣)] من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمّة والنظرة (٤/١٧٢٦رقم ٢١٩٩)] من حديث جابر.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضًا (١/٤٦٤ رقم ١٤٤٣)] من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإيمان، باب إتباع الجنائز من الإيمان، (١/٢٦ رقم ٤٧)] من حديث أبي هريرة.

يعمل به، ولنتأمل ما جاء من حديث البراء[١] رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يوم الخندق، **وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره**، . . .، وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة[٢]:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأَنْزِلنْ سكينةً علينا ... وثبتِ الأقدامَ إنْ لاقينا

إنَّ العدا قدْ بغوا علينا ... إنْ أرادوا فتنةً أبينا

يرفع بها صوته»[٣].

وكل ما تقدم من الآيات والأحاديث دليل على أن للأخوة مكانة كبيرة في الإسلام، يمكن إيجازها في أمور:

(١) دعوة المجتمعات إلى جمع الكلمة ونبذ الخلاف.

(٢) توطيد أوآصر الأخوة الإيمانية في المجتمع المسلم.

(٣) العمل على تحقيقها من خلال الحقل الدعوي.

ولما كان تحقيق ذلك أمرًا لا بد منه: شرع الله سبحانه وتعالى لعباده وحدة

---

(١) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمارة، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو الطفيل، نزل الكوفة، ومات بها سنة ٧٢هـ، وأول مشاهده أحد، روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وغيرهم، وعنه عبد الله بن زيد الخطمي وأبو جحيفة وغيرهما [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، مصدر سابق (١/ ٢٧٨)]، وكذا [تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٧٢)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ].

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا محمد وقيل: أبو رواحة أحد النقباء، شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلها إلَّا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدًا، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ [أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٦٠٦)، مصدر سابق]، وكذا [الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣/ ٨٩٨)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، (٣/ ١١٠٣رقم ٢٨٧٠)] من حديث أبي هريرة.

الولاء والصف كـي «تقع لهم الهيبة عندئذٍ في قلوب أعدائهم، ويتمكنون من الدفاع عن أرضهم، والحفاظ على حقوقهم ووجودهم ... كما لا يجوز أن يكون المسلمون جسدًا مفككَ الأوصال، لأن ذلك سيذهب بشأنهم وقوتهم، قال ﷺ: «**يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار**»[(١)] و«**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[(٢)].



المطلب الأول
حقيقة الأخوة الإسلامية وروابطها

الروابط لغة: جمع مفرده رابطة، من الربط بمعنى الشد.

وفي الاصطلاح الشرعي: مجموعة الآداب والسلوكيات التي تربط بين المسلمين من حسن ظن وتعاون وأخلاق ونحوها، وأما الأخوة، فقد قال ابن منظور[(٣)]: الأَخُ من النسَب معروف، وقد يكون الصديقَ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (٤/ ٤٦٦ رقم ٢١٦٧) من حديث أبي الدرداء، والحديث صحيح، دون زيادة «ومن شذ شذ في النار».

(٢) الأصول والثوابت وأثرها في وحدة الأمة الإسلامية، تأليف الشيخ الدكتور زكريا بن عبد الرزاق المصري (ص٥١)، طبعة مركز حمزة للولاء والبحث العلمي، طرابلس ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك [كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، (١/ ٣٣٠ رقم ٧٦٥) من حديث أبي الدرداء، كما روي الحديث من حديث معاذ، والحديث بجميع شواهده ضعيف، ولا يتقوى بها.

(٣) محمد بن مكرم بن نجيب الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور الأديب اللغوي، نزيل مصر، ولد سنة ٦٣٠هـ، وتوفي بمصر سنة ٧١١ هـ، من مصنفاته تهذيب الخواص من درة الغواص للحريري، الجمع بين الصحاح للجوهري، لسان العرب في اللغة، روى عنه السبكي والذهبي [هداية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي (٦/ ٥٢٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م]، وكذا [معجم المطبوعات العربية، ليوسف إلياس سركيس (١/ ٢٥٥)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٨م].

والصاحِبَ، والأَخا مقصور، والأَخْوُ لغتان فيهِ حكاهما ابن الأعرابي[١] .. وأَما كُراع[٢] فقال: أَخْو بسكون الخاء وتثنيته أَخَوان بفتح الخاء.

قال ابن سيده[٣]: ولا أَدري كيف هذا.

[قال] الجوهري[٤] الأَخُ أَصله أَخَوٌ بالتحريك لأَنه جُمِع على آخاءٍ مثل آباء، والذاهب منه واوٌ لأَنك تقول في التثنية: أَخَوان، وبعض العرب يقول: أَخانِ على النقْص، ويُجمع أَيضًا على إِخْوان مثل خَرَب وخِرْبان،

---

(١) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، من موالي بني هاشم أخذ الأدب عن الكسائي وغيره، وأخذ عنه ثعلب وابن السكيت وغيرهما، ولد في الليلة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة، في رجب سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٣١هـ، ومن تأليفه: النوادر، وتفسير الأمثال وغيرهما [تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(١٧/ ٣٢١.٣٢٠)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م] وكذا [أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف: صديق ابن حسن القنوجي (٣/ ٢٩)، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م].

(٢) علي بن حسن الهناني المعروف بكُراع النمل،بضم الكاف، مصري أخذ عن البصريين وكان نحويًا كوفيًا، كتب المنضد في لغة المجرد، وأمثلة غريب اللغة، وكتاب الفريد وغيرها، توفي بعد سنة ٣٠٧ هـ [هداية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٥/ ٦٧٦)، مصدر سابق] وكذا [أبجد العلوم للقنوجي (٣/ ٢٩)، مصدر سابق].

(٣) علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده،أخذ علم العربية واللغة عن أبيه، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي، وقرأ على الشيخ أبي عمر أحمد بن عبد الله بن طالب الطلمنكي الأندلسي، من مصنفاته: المحكم في اللغة، المخصص في اللغة، كتاب الأنيق في شرح الحماسة وغير ذلك، وكان ضريرًا، توفي سنة سنة ٤٢٨هـ [البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (١٢/ ٩٥)، مكتبة المعارف، بيروت]، وكذا [أبجد العلوم للقنوجي (٣/ ٨.٧)، مصدر سابق].

(٤) إسماعيل بن حماد الإمام أبو نصر الفارابي الجوهري صاحب الصحاح، قال ياقوت: كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنةً وعلمًا، وكان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق لأجل العلم، صنف كتابًا في العروض ومقدمة في النحو، ثم تغير عقله في آخر عمره، قيل عَمِلَ لنفسه جناحين فصعد مكانًا عليًا فأراد أن يطير فوقع ميتاَ سنة ٣٩٦هـ [الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي (٩/ ٦٩)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م] وكذا [أبجد العلوم للقنوجي (٣/ ٨)، مصدر سابق].

وعلى إِخْوةٍ وأُخْوةٍ عن الفراء[١]، وقد يُتَّسَع فيه فيُراد به الإثنان كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النِّسَاء: ١١] وهذا كقولك إنَّا فعلنا ونحن فعلنا وأَنتُما اثنان... والجمع من كل ذلك أَخُونَ وآخاءٌ وإِخْوانٌ وأُخْوان وإِخْوة وأُخْوة بالضم هذا قول أهل اللغة، فأَما سيبويه[٢] فالأُخْوة بالضم عنده اسم للجمع وليس بِجَمْع ...

وحكى اللحياني[٣] في جمعه «أُخُوَّة»، قال: وعندي أَنه أُخُوّ على مثال فُعُول ثم لحقت الهاء لتأْنيث الجمع كالبُعُولةِ والفُحُولةِ، ولا يقال: أَخو وأَبو إِلّا مُضافًا[٤].أهـ

قال ابن الجوزي[٥]: «الأخ: اسم يراد به المساوي والمعادل،

(١) يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفراء، إمام العربية، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أخذ عنه وعليه اعتمد، وأخذ عن يونس وأهل الكوفة،وكان يقال له أمير المؤمنين في النحو، من مصنفاته: معاني القرآن التي يلحن فيها العامة، مات بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ، [طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنروي (ص٢٨)، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م] وكذا [تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٢٩٤)، مصدر سابق].

(٢) إمام النحاة واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه، وإنما سمى سيبويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك، ومعنى سيبويه رائحة التفاح،وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والفقهاء وكان يستملي على حماد بن سلمة فلحن يومًا فرد عليه قوله فأنف من ذلك فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو، وقد اختلف في تاريخ وفاته، قيل توفي سنة ١٨٠هـ [البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ١٧٦)، مصدر سابق].

(٣) أبو الحسن اللحياني علي بن المبارك، وقيل: علي بن حازم، أخذ عن الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي، وعمدته على الكسائي، له كتاب النوادر، سمي اللحياني لعظم لحيته وقيل: بل لأنه من بني لحيان، توفي في حدود سنة ٢١٠هـ [الوافي بالوفيات للصفدي (٢١/ ٢٦٥)، مصدر سابق].

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ١٩)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

(٥) عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي أبو الفرج المعروف بابن الجوزي، ولد سنة ٥١٠هـ، وتوفي ببغداد في رمضان سنة ٥٩٧هـ، صنف من الكتب: أحكام النساء، ونزهة الأعين النواظر، والموضوعات وغيرها [هداية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٥/ ٥٧٣)، مصدر سابق].

والظاهر في التعارف: أنه يقال في النسب، ثم يُستعار في مواضع تدل عليها القرينة[١].

وبهذا يتبين أن الأُخُوَّة في اللغة: المساواة أو المشاركة في مطلق مسمى الأخوَّة، التي منها «أخوة الدين، أوأخوة الصداقة والالفة، أو أخوة الشركة والخلطة»[٢].

وأما المعنى الشرعي فيتبين معنى الأخوة من خلال جملةٍ من الأقوال:

١ـ قال القرطبي[٣]: المؤاخاة مُفاعلة من الأخوَّة، ومعناها أن يتعاقد الرجلان على التناصر والمؤاساة حتى يصيرا كالأخوين نسبًا[٤].

٢ـ قال أحد الشعراء يرد على كتاب الشفاء لابن سينا[٥]:

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ص١٣١)، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة عبد الله بن أحمد النسفي (٤/ ٣٦)، تحقيق: ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م.

(٣) محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، مصنف التفسير المشهور بجامع أحكام القرآن، وله أيضًا من الكتب: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وغير ذلك [الوافي في الوفيات للصفدي (٢/ ٨٦ ـ ٨٧) مصدر سابق]، وكذا [طبقات المفسرين للأدنروي (ص٢٤٦)، مصدر سابق].

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (١٦٣/١١)، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

(٥) الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا الرئيس أبو علي صاحب الفلسفة والتصانيف، حكى عن نفسه قال: كان أبي رجلًا من أهل بلخ فسكن بخارى في دولة نوح بن منصور، وتولى العمل والتصرف بقرية كبيرة، وتزوج بأمي فأولدها أنا وأخي ثم انتقلنا إلى بخارى..، وكان أبي ممن أجاب دعوة المصريين، ويُعَد من الإسماعيلية، من رسائله ابن سينا: القضاء والقدر، والقانون، والشفا، توفي وله من العمر ٥٨ سنة [تاريخ الإسلام للذهبي (٢٩/ ٢١٨، ٢١٩ وما بعدها)، مصدر سابق].

قطعنا الأخوَّة من معشرٍ بهم مرضٌ من كتابِ الشِّفَا
وكم قلتُ يا قومْ أنتم على شفا جُرفٍ من كتابِ الشِّفَا
فلما استهانوا بتنبيهنا رجعنا الى الله حتى كفى
فماتوا على دينِ رسطالسٍ وعشنا على ملةِ المصطفى[(١)]

٣ ـ قال ابن القيم[(٢)]: ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذمِّ والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه، وهذا يعني أن الأُخُوَّة في المنظور الشرعي: التعاقد بين اثنين فأكثر من أهل الإسلام على التناصر والمؤاساة حتى يصيرا كالأخوين نسبًا[(٣)]، وهذا هو المقصود من أُخوة الدين، وهو محل بحثنا.

فالمفهوم الشرعي للأخوّة: هو التحابُّ والتراحم والتناصر على مقتضى الإيمان الذي شرعه الله، ومن هذا المنطلق قال النبي ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[(٤)].

وعندما نقيد الأخوّة ونجعلها في الله فإنه تُخْرِج العبد تمامًا عن الهوى والعلاقات الذاتية والعلاقات الشيطانية التي لغير الله «كحب النصارى

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي (١٨/ ١٧٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، وكان قد لازم ابن تيمية وأخذ عنه علمًا جمًا، فكان ذا فنون من العلوم، له من التصانيف: إعلام الموقعين عن رب العالمين، إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، تحفة الودود في أحكام المولود وغيرها [الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية (ص٣٣)، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ].

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١/ ١٧٠)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٢/ ٦٣٢، رقم ٤٦٨١)]، والحديث صحيح.

للمسيح، وحب اليهود لموسى، وحب الرافضة لعلي، وحب الغلاة لشيوخهم وأئمتهم مثل من يوالي شيخًا أو إمامًا وينفر عن نظيره وهما متقاربان أو متساويان في الرتبة»[(١)] أهـ

فالأخوة في الدين قائمة على أساس متين ألا وهو الترابط بين المتحابين للقيام بواجب التناصح والتعاون بما يحقق للجميع الحياة الحقيقية التي قال الله عنها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: ٩٧].

إنها الأخوة الصادقة التي قال الله عنها: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزّخرُف: ٦٧].

قال ابن كثير[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلَّا ما كان لله عَزَّ وَجَلَّ فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العَنكبوت: ٢٥][(٣)].

وإنما المؤمن من يوالي جميع أهل الإيمان ـ بقدر ما عندهم من إيمان ـ مولاةَ من يعتقد أن ولاءه مبنيٌّ على الإيمان الذي شرعه الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠].

---

(١) مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (١٨/ ٣٢٠)، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، بيروت، الطبعة الثانية.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الفداء، قال الذهبي: إمام محدث مفت بارع، أخذ العلوم من الحسين العراقي والقاسم بن عساكر، ولازم الحافظ المزي، وتزوج بنته وسمع من الشيخ تقي الدين ابن تيمية، ومن مصنفاته التاريخ الكبير والتفسير الكبير، ولد سنة ٧٠١هـ بمجيدل القرية من عمل بُصرى، وتوفي سنة ٧٧٤هـ [الرد الوافر، تأليف: محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي(ص٩٢)، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٣هـ]، وكذا [طبقات المفسرين للأدنروي (ص٢٦٠)، مصدر سابق].

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٣٤)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

وقال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» وشبك بين أصابعه(١)، وقال: «**مثل المؤمنين فى توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(٢)، وقال ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»(٣).

قال علي(٤) رضي الله عنه: «عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٠،١٠١]»(٥).



المطلب الثاني
بيانُ كيف تحققت الأخوة في العهد النبوي وكيف بدأت تنقرض في بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة

عاش الناس قبل الإسلام بعيدًا عن الأصول والثوابت السماوية الحية

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [أبواب المساجد، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، (١/ ١٨٢رقم ٤٦٦)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩رقم ٢٥٨٥)] من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩رقم ٢٥٨٦)] من حديث النعمان بن بشير.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب على أخيه حتى ينكح أو يدع [(٥/ ١٩٧٦رقم ٤٨٤٩)]، ومسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٨٥رقم ٢٥٦٣)] من حديث أبي هريرة.

(٤) علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب أبو الحسن أمير المؤمنين روى عن النبي وعن أبي بكر وعمر وغيرهم، وروى عنه ولداه الحسن والحسين، وابن مسعود وغيرهما، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وكان قتله ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٥٦٤)، مصدر سابق].

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبدالرؤوف المناوي (٥/ ٤١٢)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

«يعبدون الأصنام في البيت الحرام ويحرمون السائبة والبحيرة والوصيلة والحام[١]، ويرون وأد البنات، ويمنعونهن الميراث إلى غير ذلك من الضلال الذي سوَّله لهم إبليس»[٢] وكانت النعرات الجاهلية والعصبيات القبلية مسيطرةً في حياتهم، يصبح الصديق عدوًا والعدو صديقًا بمجرد اختلاف يسير بين قبيلة وأخرى، فتقام الحروب والغارات بين القبائل ويسقط ضحيتها المئات وربما الآلاف، وما ذلك إلَّا لبعدهم عن شريعة السماء التي جاء بها الأنبياء والرسل قبل بعثة النبي ﷺ «فابتعث الله ﷻ محمدًا ﷺ فرفع المقابح وشرع المصالح»[٣] ودعا إلى الهدى ودعوة التوحيد وأخوة الدين فاستجاب له من استجاب «بعد مجاهدة شديدة، ونقلهم الله عن تلك العادات الجاهلية»[٤] إلى نور الإسلام وعدالة السماء.

قال المقداد[٥] : «والله لقد بُعث النبي ﷺ على أشد حال بُعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرَّق به بين الحق والباطل وفرَّق بين الوالد وولده، إن كان الرجل ليرى والده وأخاه كافرًا وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار»[٦].

---

(١) البَحِيْرة: التي يمنع دَرُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد، والسائبة: كانوا يسيبونها لألهتهم لا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج إبل بل تُثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، والحام: فحل الإبل، إذا قضى ضرابه ودَّعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل [انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٤٦)، مصدر سابق].

(٢) تلبيس إبليس، لابن الفرج الجوزي (ص١٠)، تحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥م - ١٩٨٥م.

(٣) المصدر السابق (ص١٠).

(٤) فضل العرب لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ص٢٨٩)، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم، القاهرة، ضمن مجموعة جامع الرسائل، الطبعة الأولى.

(٥) المقداد بن عمرو بن ثعلبة،أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها،روى عن النبي ﷺ، وعنه علي بن أبي طالب وأنس وعبيد الله بن عدي وغيرهم،مات سنة ٣٣هـ بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة ودفن بالمدينة [الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٢٠٢)، مصدر سابق] وكذا تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٥٤)، مصدر سابق].

(٦) أحمد في مسنده [مسند باقي الأنصار، حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه(٦/ ٢ رقم ٢٣٨٦١)]، والأثر صحيح.

ويُرى أن النبي ﷺ قال: «**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**»(١).

«بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ... أخذ على هذا عَشْرَ سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة... فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عَشْرَ سنين.. وبعدها توفي صلاة الله وسلامه عليه، ودينه باقْ، وهذا دينه لا خير إلَّا دلَّ الأمة عليه ولا شر إلَّا حذرها منه، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه»(٢)، وكان من هذا الخير الذي دل أمته عليه إقامة أخوة الدين بأن آخى بين المؤمنين جميعًا في دولة الإسلام الواحدة، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠] ونحوها من الآيات الكريمات.

وقال لهم ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه**(٣)، **ومن**

---

(١) أي الشريعة المائلة عن كل دين باطل، قال ابن القيم: «جَمَعَ بين كونها حنيفية، وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، وضد الأمرين الشرك وتحريم الحلال» أهـ، انظر: [فيض القدير للمناوي (٣/ ٢٠٣) مصدر سابق]، والحديث أخرجه أحمد في مسنده [مسند أبي أمامة الباهلي، (٥/ ٢٦٦ رقم ٢٢٣٤٥)]، والحديث ضعيف.

(٢) ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي (ص١٩)، مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى.

(٣) لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجبًا، وقد يكون مندوبًا بحسب اختلاف الأحوال [انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٥/ ٩٧)، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ].

كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله، عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[١].

وقال أيضًا: «**من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[٢].

وقال: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا**[٣] **ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»**[٤].

وقال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**[٥]، ونحوها من التوجيهات النبوية الكريمة.

وقد سعى النبي ﷺ جاهدًا لتطبيق هذه الروابط التي هي قوام أخوة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢/ ٨٦٢ رقم ٢٣١٠)] من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩)] من حديث ابن عمر.

(٣) قال الخطابي: النجش أن يَرَى الرجل السلع تباع، فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها، وإنما يريد بذلك ترغيب السوام فيها ليزيدوا في الثمن، وفيه غرر للراغب فيها [انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي (٩/ ٢١٩)، دار الكتب العلمية - بيروت].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٤/١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤)] من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١/ ١٣رقم ١٠)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

الدين، فآخى قبل الهجرة بين الصحابة جميعًا أخوة الإسلام العامة[(١)]، ومن ذلك ما يُروى أنه «**آخى بين زيد بن حارثة**[(٢)]**وعمه حمزة**[(٣)] رضي الله عنهما»[(٤)].

ولما كانت الهجرة إلى المدينة أصلح بين الأوس والخزرج، وجعلهم إخوةً متحابين، ثم «**آخى رسول الله ﷺ بين قريش [المهاجرين] والأنصار**»[(٥)]، وكان من ذلك أن «**آخى بين سلمان**[(٦)]**وأبي الدرداء**»[(٧)].

---

(١) أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية وجود مؤاخاة بين المهاجرين مع بعضهم، لكن يظهر أن إنكاره متوجه إلى المؤاخاة والمحالفة التي يقع بها التوارث دون أقاربهم الذي كان أول الأمر، حيث قال: «وأما ما يذكر بعض المصنفين في السيرة من أن النبي آخى بين علي وأبي بكر ونحو ذلك: فهذا باطل باتفاق أهل المعرفة بحديثه فإنه لم يؤاخ بين مهاجر ومهاجر وأنصاري وأنصاري، وإنما أخى بين المهاجرين والأنصار وكانت المواخاة والمحالفة يتوارثون بها دون أقاربهم حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] فصار الميراث بالرحم دون هذه المؤاخاة والمحالفة» [مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٩٣)، مصدر سابق].

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل،يكنى أبا أسامة وهو مولى رسول الله ﷺ وأشهر مواليه، شهد بدرًا وما بعدها،وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير،واستخلفه النبي ﷺ في بعض أسفاره إلى المدينة [أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٣٩٦ وما بعدها)، مصدر سابق]، وكذا [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(٢/ ٥٩٨)، مصدر سابق].

(٣) حمزة بن عبد المطلب، أبو يعلى،أو أبو عمارة كني بابنيه، وأمه ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي، وهو عم رسول الله وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة، وعقد له رسول الله ﷺ لواء وأرسله في سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام، واستشهد بأحد،وقصةُ قتْل وحشي له أخرجها البخاري، ولقبه النبي أسد الله، وسماه «سيد الشهداء»، [أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٢٨١)، مصدر سابق]، وكذا [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/ ١٢١)، مصدر سابق]].

(٤) أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٢٨١)، مصدر سابق، ولا يصح إسناد هذه المؤاخاة.

(٥) أخرجه النسائي في سننه الصغرى «المجتبى» [كتاب النكاح، باب الهدية للعرس (٦/١٣٧ رقم ٣٣٨٨)] من حديث أنس بن مالك، والحديث: صحيح.

(٦) سلمان أبو عبد الله الفارسي، أصله من رامهرمز، وقيل من أصبهان، أسلم بالمدينة، وكان أول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد، روى عنه أنس وكعب بن عجرة وابن عباس وغيرهم، مات سنة ٣٦هـ، وقد جاوز ٢٥٠ سنة [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/ ١٤١)، مصدر سابق].

(٧) عويمر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه واختلف في اسمه فقيل هو عامر وعويمر، =

و«**بين أبي عبيدة بن الجراح**[(١)] **وبين أبي طلحة**»[(٢)]، وبين «**أبي مرثد الغنوي**[(٣)] **وعبادة ابن الصامت**»[(٤)]، وهكذا غيرهم من المهاجرين والأنصار اثنين اثنين، ومن أعجب ما حكاه لنا التاريخ عن هذه المؤاخاة الصادقة ما

= واختلف في اسم أبيه فقيل عامر وقيل غيره، وأبوه ابن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي،أسلم أبو الدرداء يوم بدر، وروى عن النبي وزيد بن ثابت وغيرهما، وعنه ابنه بلال وأم الدرداء وغيرهما، ومات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٧٤٧)، مصدر سابق]، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (٢/ ٦٩٤ رقم ١٨٦٧) من حديث أبي جحيفة.

(١) عامر بن عبد الله بن الجراح، أبو عبيدة، اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة،شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أيضًا، وكان يدعى القوي الأمين، روى عنه العرباض بن سارية وجابر ابن عبد الله وأبو أمامة الباهلي وغيرهم، ومات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب.[أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ١٢٤) مصدر سابق]، وكذا الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (٣ ،٤١٠، ٤٠٩)، دار صادر - بيروت].

(٢) زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو الأنصاري أبو طلحة المدني، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها وهو أحد النقباء، روى عن النبي، وعنه ابنه عبد الله وربيبه أنس بن مالك وحفيده إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وغيرهم، مات سنة أربع وثلاثين على المشهور، وصلى عليه عثمان. [تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٣٥٧)، مصدر سابق]،وكذا [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٥٥٣)] مصدر سابق، والحديث المذكور أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي بين أصحابه (٤/ ١٩٦٠ رقم ٢٥٢٨) من حديث أنس بن مالك.

(٣) أبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، واسم أبي مرثد كناز بن الحصين بن يربوع بن طريف، شهد بدرًا وروى عن النبي: «**لا تصلوا في القبور، ولا تجلسوا عليها**»، روى عنه واثلة بن الأسقع، قال الواقدي: توفي سنة ١٢ من الهجرة [تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ٤٠٢)، مصدر سابق].

(٤) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى السالمي يكنى أبا الوليد، وكان عبادة نقيبًا وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضيًا ومعلمًا فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها سنة٣٤هـ،ودفن بالبيت المقدس وقبره بها معروف إلى اليوم، روى عنه أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وفضالة ابن عبيد وجماعة من التابعين [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ٨٠٧)، مصدر سابق]، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك [كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب ذكر مناقب أبي مرثد الغنوي كناز ابن الحصين العدوي (٣/ ٣٤٣) ولم يسند الحاكم رواية المؤاخاة، ولم أجد من أسندها.

جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف[(١)] حيث قال: «لما قدمنا إلى المدينة **آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع**[(٢)]**، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها**، فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك»[(٣)].

وروي أنه ﷺ قال «**إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وممن هو، فإنه أوصل للمودة**»[(٤)].

ولما مات النبي ﷺ سار صحابته بسيرته ونهجه، وهكذا الأمر في القرون الثلاثة المفضلة حيث كانت الأخوة زاهرة المورد.

ولعل من أهم عوامل نجاحها في تلك القرون الزاهرة العوامل التالية:

---

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف أبو محمد الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها وكان اسمه عبد الكعبة، ويقال عبد عمرو، فغيره النبي، روى عن النبي وعن عمر، روى عنه المسور ابن مخرمة وابن عباس وغيرهما، مات سنة **٣٢**هـ على المشهور. [تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢٣١)، مصدر سابق].

(٢) سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي أحد نقباء الأنصار، وكان كاتبًا في الجاهلية وشهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا، وأمر رسول الله ﷺ يومئذ أن يلتمس في القتلى،وقال من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا فذهب يطوف بين القتلى فوجده وبه رمق، فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ فقال الرجل: بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك؟ قال: فاذهب إليه فأقرأه مني السلام وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله وواحد منهم حي [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٥٨٩)].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (٢/ ٧٢٢ رقم ١٩٤٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب الزهد، باب ما جاء في إعلام الحب (٤/ ٥٩٩ رقم ٢٣٩٢) من حديث يزيد بن نعامة الضبي مرسلًا، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، ولا نعرف ليزيد بن نعامة سماعًا من النبي، ويروى عن ابن عمر عن النبي نحو هذا، ولا يصح إسناده.
قلت: فالحديث بهذا الإعتبار ضعيف.

أولًا: صدق إيمانهم الذي لا تزحزحه الماديات الفانية، ولذا مدحهم الله بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثانيًا: بعدهم عن المعاصي بما عُرفوا به من التقوى، فكانت التقوى فرقًا واضحًا بين السلف والخلف.

﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ثالثًا: أنهم يعيشون بين ظهراني نبي مرسل يوحى إليه من السماء، إن غفلوا ذَكَّرهم، وإن أطاعوا شجَّعهم، فكان هذا فارقًا عظيمًا بين عصر وعصر، وفي الحديث: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادتَه**»[(١)].

ولكن «لما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلمات فعادت الأهواء تنشئ بدعًا وتضيق سبيلًا ما زال متسعًا، ففرَّق الأكثرون دينهم، وكانوا شيعًا ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق»[(٢)]، حتى أصبح الناس بعيدين عن دينهم فغابت أخوة الدين في المجتمعات الإسلامية إلَّا ما شاء الله، ودبَّ فيهم داء الأمم والشعوب من قبلهم ألا وهو داء الذنوب المميت للقلوب، وفي الحديث: «**إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمَّهم الله بعذاب من عنده**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد (٢/ ٩٣٨ رقم ٢٥٠٩) من حديث ابن مسعود.

(٢) تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزي (ص١٠)، مصدر سابق.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [مسند أم سلمة، (٦/ ٣٠٤ رقم ٢٦٦٣٨)]، وفي إسناده: ليث ابن أبي سليم، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق اختلط جدًا، ولم يتميز حديثه فَتُرِك» [تقريب التهذيب (ص٤٦٤)، فالحديث بهذا الإعتبار ضعيف.

وجاء في حديث آخر: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[(١)].

وقال رسول الله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟، قال «**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل**[(٢)] **ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله وما الوهن؟، قال «حب الدنيا وكراهية الموت**»[(٣)].

قال الحسن البصري[(٤)]: ومن علامة حب الدنيا أن يكون دائم البِطْنَة[(٥)] قليل الفطنة، همه بطنه وفرجه، فهو يقول في النهار متى يدخل الليل حتى أنام، ويقول في الليل متى أصبح من الليل حتى ألهو وألعب وأجالس الناس في اللغو وأسأل عن حالهم[(٦)].

ويروى أن الله ﷻ أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام: «**يا داود إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب واحد**»[(٧)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [مسند ثوبان، (٥/ ٢٧٧ رقم ٢٢٤٤٠)]، وفي إسناده: عبد الله ابن أبي الجعد، قال ابن القطان: مجهول الحال [انظر تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي (١٤/ ٣٦٦)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م].

(٢) ما يحمله السيل من وسخ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [مسند ثوبان، (٥/ ٢٧٨ رقم ٢٢٤٥٠)]، والحديث صحيح.

(٤) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري: ولد في أواخر خلافة عمر بن الخطاب، ومات سنة ١١٠ للهجرة، روى عن عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة وغيرهما، وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسي، وأيوب السختياني، وعبد الله بن عون وغيرهم [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٧١)، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م]، وكذا [تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/٢٣١ ـ ٢٣٦)، مصدر سابق].

(٥) البِطْنَةُ: الامتلاء الشديد من الطعام [انظر: مختار الصحاح للرازي (ص٢٣)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ـ ١٩٩٤م].

(٦) فيض القدير للمناوي (٢/ ٧٧)، مصدر سابق.

(٧) المصدر السابق (٢/ ٣٢٦)، ولم أجد له سندًا صحيحًا.

هذه هي الدنيا التي اعتبرها الصالحون رأس كل خطيئة.

قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال ابن المبارك[1]:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبْ	وقد يُتبِعُ الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ	وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها
وهل بدَّلَ الدينَ إلَّا الملوكُ	وأحبارُ سوءٍ ورُهبانُها
وباعوا النفوسَ فلم يربَحوا	ولم تغلُ في البيع أثمانُها
لقد رتعَ القومُ في جيفةٍ	يَبِينُ لذي العقلِ أنتانُها[2]

ومتى فقد المسلمون طاعة الله فقدوا أُخوَّة الدين، فميراثهم حينئذ الذل والهوان، لأن تفرقهم يضعف قوتهم أمام عدوهم إذ المسلم قوي بأخيه المسلم، وهذا لا يتم إلَّا بأخوة الدين.

ويمكن القول: إن انقراض أخوة الدين في كثير من المجتمعات الإسلامية يعود إلى عدة أسباب، أهمها:

١ ـ ظهور المعاصي، وهذا أخطرها على الإطلاق.

٢ ـ غياب روابط الأخوة الحقة، إذ وجودها يوجب التناصح بين المسلمين فتقوى شوكة الأخوة.

---

(١) شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي، روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وغيرهما، وعنه الثوري ومعمر بن راشد وغيرهما، جمع العلم والعمل والفروسية والشجاعة وترك الكلام فيما لا يعنيه، ولد سنة ١١٨ هجرية، ومات سنة ١٨١هـ، وله ثلاث وستون سنة [تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٣٣٤ وما بعدها)، مصدر سابق].

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لمحمد بن أحمد القرطبي (ص٧١١)، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣ ـ حب الدنيا وكراهية الموت.

٤ ـ إعجاب كل ذي رأي برأيه.

٥ ـ تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب وجماعات جاهلية.

٦ ـ التعصب الأعمى والتقليد الأجوف الخالي عن الدليل.

٧ ـ بعدهم عن العلم الشرعي «علم الكتاب والسنة» بفهم سلف الأمة.

٨ ـ عدم التفافهم حول علمائهم، وأخذ الرأي والمشورة منهم في كل ما يصلح حالهم.

والعلاج هو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أي أمركم به، وأوجبه عليكم على الطريقة النبوية التي خطها محمد بن عبد الله ﷺ.



الفصل الأول
أصول روابط الأخوة في الإسلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة النبوية.

المبحث الثالث: أقوال وعمل السلف.



المبحث الأول

القــرآن الكريــم

لقد دعانا الله ﷻ إلى تدبر آياته للعمل والعظة والاستدلال، وإعمال الفكر فيما يعود نفعه على الإسلام وأهله، فقال سبحانه :﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّساء: ٨٢].

وقـال تـعـالـى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩].

وقـال سـبـحـانـه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محَمَّد: ٢٤].

قال ابن كثير: إنما يَفْهَم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة، والفهوم المستقيمة[1].

ومن هذا التدبر «النظر والاستدلال»[2] ولو تأملنا في كتاب الله وما حواه من القضايا والأحكام ونحوها لوجدنا أن **القرآنَ الكريم** أصلٌ اعتمده النبي ﷺ وصحابته الكرام لبناء الأخوة الإسلامية التي تنافي مبدأ التنافر والفرقة، حيث أصَّل **القرآن الكريم** روابط الأخوة وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها من خلال قضايا أخوية عديدة، ولنقف على شئ من أدلة وأمثلة هذا الأصل، حتى نضع النقاط على الحروف :

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٨)، مصدر سابق.

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (١/ ٣٩٤)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٧٩].

قال ابن كثير يقول تعالى: كُتِبَ عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم، وعبدكم بعبدكم، وأنثاكم بأنثاكم، ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم، وغيَّروا حكم الله فيهم، وسبب ذلك قريظة والنضير، كانت بنو النضير قد غزت قريظة في الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضريُّ القرظيَّ لا يُقتل به، بل يُفادى بمائة وسق من التمر، وإذا قتل القرظيُّ النضريَّ قُتِل، وإن فادوه فدوه بمائتي وسق من التمر، ضعف دية قريظة، فأمر الله بالعدل في القصاص[(١)].

ثم قال تعالى: «ولكم في تشريع القصاص وتنفيذه حياة آمنة ـ يا أصحاب العقول السليمة ـ رجاء تقوى الله وخشيته بطاعته دائمًا»[(٢)].

قال ابن القيم: وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يُقتل قصاصًا بمَن قتله كف عن القتل وارتدع وآثر حب حياته ونفسه، فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله، **ومن وجه آخر**: وهو أنهم كانوا إذا قُتِل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم قتلوا به كلَّ من وجدوه من عشيرة القاتل وحيِّه وقبيلته[(٣)] وكان في ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره وتشتد مؤنته، فشرع الله تعالى القصاص، وأن لا يُقتل بالمقتول غيرُ قاتله، ففي ذلك حياةُ عشيرته وحيِّه وأقاربه، ولم تكن

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٠)، مصدر سابق.
(٢) التفسير الميسر، تأليف عدد من أساتذة التفسير (ص٥٩)، تحت إشراف الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي، طبعة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، الطبعة الأولى.
(٣) يعني في العصر الجاهلي.

الحياة في القصاص من حيث أنه قتل، بل من حيث كونه قصاصًا يُؤخذ القاتل وحده بالمقتول لا غيره[١] أهـ

فهاتان الآيتان الكريمتان حافظتا على التكافؤ في الدماء والعدل والمساواة، مع المحافظة على حياة الأمة حتى تنعم بالأمن والاستقرار، «فلا يفضل عربي على عجمي، ولا قرشي أو هاشمي على غيره من المسلمين، ولا حرٌّ أصلي على مولى عتيق، ولا عالم أو أمير على أمي أو مأمور»[٢] فالكل سواسية.

ولما كانت أخوة الدين هي القاسم المشترك بين القاتل والمقتول أو أولياء الدم، سيقت الآية باعتبار أن الإخاء الرابط الوثيق بين الطرفين، وإن حصلت معصية القتل، فقال سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨].

(٢) قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

فقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣] أي بدين الإسلام أو بكتابه ...، وقوله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣] أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضًا ،أو لا تُحْدِثوا ما يوجب التفريق ويزيل الألفة التي أنتم عليها ... وقوله: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣] أعداء في الجاهلية بينكم من العداوات والحروب المتواصلة، وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بين أولادهما العداوة والبغضاء، وتطاولت الحروب فيما بينهم مائةً وعشرين سنة، فألف بين قلوبكم بتوفيقكم للإسلام

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٢/ ٩٦)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لابن تيمية (ص١٩٥)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

... فصرتم بنعمته التى هي ذلك التأليف إخوانًا متحابين مجتمعين على الأخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق»(١).

فهذه الآية تدعو إلى توحيد الأمة على أخوة الدين، وقد سعى النبي ﷺ لتوحيد المسلمين في عهده حيث وحَّدَ «القلوب والمشاعر، ونتج عن ذلك أن رُصَّت الصفوف، وقوي أصحابها أمام خصومهم وأعدائهم فأصبحوا قوةً رئيسية جديدة في العالم آنذاك بعد أن كانوا ممزقين»(٢).

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجرَات: ١٠].

ففي هذه الآية: دلالة على مفهوم أخوة الدين، التي تكون بإصلاح ذات البين، كما تكون «بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب، والخدم، والجيران، والرفقاء في السفر.. [ومنها أنهم] يدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم، وإذا حُرِموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قُطعوا أوصلوا، وإذا أذنبوا تابوا، وإذا هربوا أنابوا، وإذا رأوا منكرًا أمروا بتغييره»(٣).

وفي ذلك «إشارة إلى رعاية حق الأخوة الدينية، ومنشئ نطفها صلب النبوة، وحقيقتها نور الله تعالى، فإصلاح ذات بينهم برفع حجب أستار

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي (٢/ ٦٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) انظر: الأصول والثوابت وأثرها في وحدة الأمة الإسلامية، تأليف الشيخ الدكتور زكريا بن عبد الرزاق المصري (ص٣٦)، مصدر سابق، وكذا كتاب فجر الإسلام، لأحمد أمين (ص١٦)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ الطبعة الحادية عشر، ١٩٧٩م.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة عبد الله بن أحمد النسفي (٢/ ٢١٦)، مصدر سابق.

البشرية عن وجوه القلوب، ليتصل النور بالنور .. فيصيروا كنفس واحدة»[(١)].

وكذلك «إذا كان المؤمنون إخوة أُمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها، وهذا من ذلك، وأيضًا فإن الأخ مِنْ شأنه أن يوصل لأخيه النفع، ويكف عنه الضرر.. وهذا لا يختص بالمسلم، بل هو محرم في حق كل أحد»[(٢)].

ومن واجبات الأخوة التي تقصدها الآية التآخي على المنهج كما فعل النبي ﷺ مع المهاجرين والأنصار «ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويتآنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض»[(٣)].

ولذا «لما أعز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة . . .جعل المؤمنين كلهم إخوة، وأنزل ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]»[(٤)].

(٤) قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرَات: ١٢].

قيل: إنها: نزلت في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما وذلك [أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما، فضم سلمان إلى رجلين فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئًا، فجاءا فلم يجدا طعامًا وإدامًا، فقالا

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي (٢٦/ ١٧٠)، مصدر سابق.

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي،(ص٣٣٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط . إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٧/ ٢٧٠)، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق (٧/ ٢٧٠).

له : انطلق فاطلب لنا من النبي ﷺ طعامًا وإدامًا، فذهب، فقال له النبي ﷺ : أذهب إلى أسامة بن زيد(١) فقل له إن كان عندك فضل من طعام فليعطك ـ وكان أسامة خازن النبي ﷺ ـ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندي شيء فرجع إليهما فأخبرهما، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئًا، فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة(٢) لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء، فرآهما النبي ﷺ فقال : ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما، فقالا : يا نبي الله، والله ما أكلنا في يومنا هذا لحمًا ولا غيره فقال : «ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢] ذكره الثعلبي(٣) أي لا تظنوا بأهل الخير سوءًا إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير(٤).

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس الكلبي الحب ابن الحب يكنى أبا محمد، ويقال أبو زيد، ولد في الإسلام، ومات النبي وله عشرون سنة، وكان أمره على جيش عظيم، فمات النبي ﷺ قبل أن يتوجه فانفذه أبو بكر، وكان عمر يجله ويكرمه وفضَّله في العطاء على ولده عبد الله بن عمر، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٤٩)، مصدر سابق].

(٢) بئر قديمة، كثيرة الماء، كانت بالمدينة [انظر تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (٦/ ٤٨٦)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الطبعة الأولى]، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٢٥٥)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري أبو منصور الثعالبي الأديب اللغوي، ولد سنة ٣٥٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٩هـ، له من التصانيف أحاسن المحاسن، إعجاز الإيجاز، الكشف والبيان في التفسير وغيرها، وفي كتابه التفسير الكثير من غرائب التفسير وأسباب النزول [هداية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٥/ ٦٢٥)، مصدر سابق] وكذا [أبجد العلوم للقنوجي (٣/ ٧١)، مصدر سابق].

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للعلامة محمد بن أحمد القرطبي (١٦/ ٣٣١)، مصدر سابق، ولم أجد من أسند هذه الرواية بسند متصل سوى حكاية بعض المفسرين عن الثعالبي.

«فمَنْ يَحكم بشرٍ على غيره بالظن، بعثه الشيطان على أن يطوِّل فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه، وكل ذلك من المهلكات، ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم»[١].

(٥) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

قال الشوكاني[٢]: «والمراد بالأخوَّة هنا: أخوة الدين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] أي غشًّا وبغضًا وحسدًا، أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغِل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولًا أوليًا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وُجِدَ في قلبه غلٌ لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخيرِ أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبدالرؤوف المناوي (٣/ ١٢٢)، مصدر سابق.

(٢) شيخ الإسلام محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني، ولد يوم الإثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١١٧٢هـ، وتوفي في شهر جمادى الآخرة ١٢٥٠هـ، له من المؤلفات: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير، والبدر الطالع وغيرها من المصنفات [نيل الوطر، لمحمد محمد زبارة (ص٢٧٠)، تحقيق مركز دراسات والأبحاث اليمنية،دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى].

منهم فقد انقاد للشيطان بزمامٍ، ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب مِنْ أعداءِ خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلةٍ إلى منزلةٍ، ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخيرِ أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠] أي كثير الرأفة والرحمة[١].

وهذه الآيات كلها أسندت الأخوة إلى أهل الإيمان لتؤكد الصلة الوثيقة بين المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة: ٧١].

فالقرآن الكريم المصدر الأول لبناء أخوة الدين، على أن القرآن الكريم أشار إلى بقية أنواع الأخوة كأخوة النسب ليثبت علاقة القربى وحق الميراث ونحوهما من حقوق القرابة النسبية وأحكامها كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾ [النساء: ١١]، وقال عن نبيه موسى عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣] ونحوها من الآيات، كما أشار إلى أخوة القبيلة من خلال ذكر أنباء من سبق من الأمم السالفة لأجل العبرة والعظة فقص علينا من خبر قوم عاد فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١]، كما

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي (٥/ ٢٨٤)، مصدر سابق.

قص علينا من خبر ثمود فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النَّمل: ٤٥] ونحوها من الآيات..

ولو تأمل المسلم في القرآن الكريم لوجد أن آياته كلها تربط المسلمين بعضهم ببعض من خلال آيات العقيدة والمنهج والفقه والسلوك والقصص القرآني لتأكيد أصالته للأخوة، ومما يؤكد ذلك ما يلي:

أولًا ـ مجال العبادات:

نجد أن الأركان الخمسة فُرضت لبقاء أخوة الدين على المنهج الإلهي، فالشهادتان تثبتان الإيمان الشرعي لكل من نطق بهما مخلصًا من قلبه، ومن كان كذلك ثبتت أخوته الدينيه لأهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هُود: ١٤].

قال المفسرون: «﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ يا أصحاب محمد: وقيل: لفظه جمعٌ، والمراد به الرسول ﷺ وحده، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾: هذا خطاب مع المؤمنين وقيل: مع المشركين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، وقيل: أنزله وفيه علمه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: فاعلموا أن لا إله إلّا هو: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا»(١)، ولا إسلام إلّا بالشهادتين.

وفرض الله الصلاة والزكاة لجمع كلمة المسلمين وربط بعضهم ببعض فمن قام بهما كما أمر الله سبحانه كان من إخواننا المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التّوبة: ١١].

كما فرض الصيام وخاطب به أهل الإيمان وفي ذلك إشارة أن من جحد

(١) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، للعلامة الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٣٧٦/٢)، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفه، بيروت.

فريضة الصيام لم يُعَد منهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفرض الحج في العمر مرة، فيجتمع في موسمه أهلُ الإيمان على كلمة سواء، ومن أنكر هذه الفريضة صار من الكافرين كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

ثانيًا ـ مجال المعاملات:

وردت آيات كثيرة في أحكام المعاملات بين المسلمين، ومن ذلك الأحكام الإقتصادية والمالية والأحكام الجنائية والمدنية والمرافعات والأحكام الدستورية والدولية ونحوها مما يدل على شمولية التشريع وربط أبناء الأمة بدستور سماوي، يجعل شريعتهم واحدةً، فتتحقق وحدة الولاء، ومما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ

رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦١]، ونحوها من الآيات الكريمات.

ثالثًا ـ العقيدة والمنهج القويم:

لقد دعا القرآن الكريم جميع المؤمنين إلى منهج رباني واحد يبدأ بكلمة التوحيد كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

ثم دعاهم إلى منهجية الدين ليتوحد الصف، وتقوى شوكة المسلمين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ونحوها من الآيات.

رابعًا ـ السلوك والآداب:

ويُعرف ذلك من خلال دعوته سبحانه إلى التأدب بالآداب الشرعية والسلوك الحسن، والإبتعاد عن الرذائل وما يخل بأخوة الدين لتكون المعاملة بين أهل الإسلام وحدوية المنهل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النُّور: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النُّور: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البَقَرَة: ١٧٨، ١٧٩]، ونحوها من الآيات.

خامسًا ـ القصص القرآني:

جاء الأسلوب القصصي في القرآن الكريم للعظة والعبرة كما قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ﴾ [يُوسُف: ١١١]، وقد تساق أخبار الأمم السالفة لتثبيت قلوب أهل الإيمان على الطاعة وأخوة الدين كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هُود: ١٢٠]، ونحوها من الفوائد والغايات التي من أجلها سيق القصص القرآني.

والحاصل: أن القرآن الكريم المصدر الأول لبناء أخوة الدين على مراد الله وفق منهجه القويم. وقد أحسن من قال:

أبانَ كتابُ الله فيما أبانَ عنْ ... مسالكِ فقهٍ واعتبارٍ وعبرةِ
وأحوالِ مَنْ يأتيْ وأحوالِ مَنْ مضى ... وأنباءِ ترغيبٍ وانباءِ رهبةِ

ومـنـشـورِ أحـكـامٍ ومـأثـورِ حـكـمـةٍ ومـسـتـورِ أسـرارِ الـعـلـومِ الـدقـيـقـةِ
وعنْ كلِّ ما يحتاجهُ الخلقُ كلُّهمْ بـديـنٍ ودنـيـا فـي اجـتـمـاعٍ ووحـدةِ
وشرحِ الصراطِ المستقيمِ وحثُّهم عـلـيـهِ وأحـوالِ الـمـعـادِ ورَجـعـةِ
وعـنْ كلِّ فرضٍ أوجـبَ اللَّـهُ تـركـهُ وما جازهُ الأشكالِ مَنْ شأنِ شُبهةِ
وأحـوالِ أربـابِ الـرسـالـةِ والـذيْ بـهِ أيَّـدُوا مِنْ مُـعـجـزاتٍ جـلـيـلـةِ
وأحـوالِ مَـنْ ردَّ الـهـدى فَـتـعـجـلـتْ لهُ قبلَ يومِ الحـشْرِ بعـضُ العُقـوبـةِ

الأمثلة التطبيقية في المحافظة على روابط الأخوة:

لقد نزل على رسوله ﷺ كثير من الآيات القرآنية، كان سبب نزولها الدفاع عن رابطة الإخاء الشرعي، ومن ذلك هذان المثالان:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النِّسَاء: ٩٤].

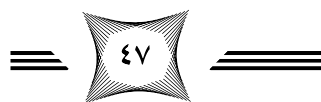
قال ابن عباس[١]: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله ...ـ وذكر الآية[٢].

وفي رواية أخرى: «بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأهوى عليه المقداد فقتله، فقال له

---

(١) حبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي،أبو العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة، سمع من النبي، وروى عن عمر وعلي ومعاذ وغيرهم، وروى عنه ابن عمر،وأنس بن مالك وجماعة من الصحابة، والتابعين، له كتاب في التفسير لا يصح نسبته إليه [الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(٣/ ٩٣٣) مصدر سابق]، وكذا [أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٣/ ٢٩٥)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ (٤/ ١٦٧٧ رقم ٤٣١٥)].



رجل من أصحابه : أقتلت رجلًا شهد أن لا إله إلَّا الله ؟ والله لأذكرنَّ ذلك للنبي ﷺ فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله إن رجلًا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال : ادعوا لي المقداد، [لما جاء، قال له] يا مقداد : أقتلت رجلًا يقول : لا إله إلَّا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله غدا ؟، قال : فأنزل الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾ [النِّسَاء: ٩٤] ، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجلًا مؤمنًا يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل»[١].

وفي ذلك دلالة على التثبت وعدم التعجل في الأحكام على الآخرين وأن كلمة التوحيد أصل الإيمان الذي يُعقد به ولاء أخوة الدين.

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحَشر: ٩].

قال أبو هريرة[٢] في سبب نزولها : «أتى رجلٌ رسول الله ﷺ، فقال يا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه مختصرًا [كتاب الديات، وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ (٦/ ٢٥١٨ رقم ٦٤٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير واللفظ له (أحاديث عبد الله بن العباس، ١٢/ ٣٠ رقم ١٢٣٧٩)] كلاهما من حديث ابن عباس.

(٢) أبوهريرة الدوسي اليماني صاحب النبي ﷺ وأحفظ صحابته، اختلف في اسمه وأسم أبيه اختلافًا كثيرًا، فقيل اسمه عبد الرحمن بن صخر، وقيل عبد الله بن صخر، وقيل غير ذلك، روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وغيرهم، وعنه موسى بن وردان، وأبو الشعثاء المحاربي، وأبو صالح السمان وغيرهم، مات سنة سبع وخمسين للهجرة على المشهور [تهذيب التهذيب لابن حجر (١٢/ ٢٨٨-٢٩٠)، مصدر سابق].

رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته ضيفُ رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلاَّ قوت الصبية، قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][(١)].

ونحوهما من الأمثلة الكثيرة التي كانت سببًا لنزول الآيات القرآنية.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (٤/ ١٨٥٤ رقم ٤٦٠٧)، ومسلم في صحيحه [كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (٣/ ١٦٢٤ رقم ٢٠٥٤].

المبحث الثاني

السنـــة النبويـة

السنة .. شارحةٌ للقرآن، وموضحةٌ له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي[(١)] : «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»، قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النِّساء: ١٠٥].

وقال تعالى : ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّحل: ٤٤].

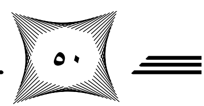
وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النّحل: ٦٤].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»** يعني السنة، والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن[(٢)].

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، الحافظ الحجة، ولد سنة ١٥٠هـ، ومات سنة ٢٠٦هـ، قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين،وأخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي، ثم رحل إلى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه، روى عن عبدالرزاق الصنعاني،ومالك،وقتيبة بن سعيد وغيرهم، وعنه أحمد بن حنبل، والحميدي وأمم سواهما [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٣٦١)، مصدر سابق] وكذا البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٣٦١)، مصدر سابق].

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص٩٣)، تحقيق عبد السلام بن محمد علوش، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، والحديث أخرجه أحمد في مسنده [مسند المقدام بن معد يكرب الكندي، (٤/ ١٣٠ رقم ١٧٢١٣)]، والحديث صحيح.



وهذا يدل على أن السنة المصدر الثاني للتشريع، لكونها من الوحي السماوي، ولا خلاف بين أهل العلم في كون الأُخوَّة الإسلامية تخضع لأدلة القرآن والسنة جميعًا، والأحاديث في هذا الصدد أكثر من أن تحصى، من ذلك:

(١) قوله ﷺ: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه**»(١).

قال الخطابي(٢): معناه الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له ووادٌّ له قَبِلَ نصيحته ولم يرد عليه قوله(٣).

(٢) قوله ﷺ: «**أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل(٤)، ولِينوا بأيدي إخوانكم(٥) ... ولا تذروا فرجاتٍ للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله**»(٦).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، (٢/ ٧٥٤ رقم ٥١٢٤)] من حديث المقدام بن معد يكرب الكندي، والحديث صحيح.

(٢) أبو سليمان حمد، ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أحد المشاهير والفقهاء المجتهدين، له من المصنفات: معالم السنن، وشرح البخاري وغير ذلك، توفي سنة ٣٨٨هـ ببلد «بست» [البداية والنهاية لابن كثير(١١/ ٣٢٤) مصدر سابق].

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٤/ ٢١).

(٤) قال محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب في عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢/ ٢٥٨): «أقيموا الصفوف: أي عدلوها وسووها، وحاذوا بين المناكب: أي اجعلوا بعضها حذاء بعض بحيث يكون منكب كل واحد من المصلين موازيًا لمنكب الأخر ومسامتًا له، فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمتٍ واحد، وسدوا الخلل: أي الفرجة في الصفوف»أهـ

(٥) قال أبو داود: ومعنى «ولينوا بأيدي إخوانكم» إذا جاء رجل إلى الصف فذهب يدخل فيه، فينبغي أن يلين له كل رجل منكبيه حتى يدخل في الصف [انظر سنن أبي داود (١/ ٢٣٥)].

(٦) قوله: «ولا تذروا: أي لا تتركوا، فرجات للشيطان: الفُرجات بضم الفاء والراء جمع فرجة بسكون الراء، ومن وصل صفًا: بالحضور فيه وسد الخلل منه، وصله الله: أي برحمته، ومن قطع: أي بالغيبة أو بعدم السد أو بوضع شيء مانع، قطعه الله: أي من رحمته الشاملة وعنايته الكاملة» كذا في [عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢/ ٢٥٨)]، والحديث أخرجه أبو داود في سننه بإسناد صحيح [كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، (١/ ٢٣٥ رقم ٦٦٦)] من حديث ابن عمر.

(٣) قوله ﷺ: «أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته[(١)] مَلَكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟، قال: **أريد أخًا لي في هذه القرية**، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها[(٢)]؟، قال: إني أحبه في الله.

قال: **فإني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[(٣)].

(٤) حديث «أن النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك، فقال النبي ﷺ: «**أنت أخي في دين الله وكتابه**، وهي لي حلال»[(٤)].

(٥) قوله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة، قالوا كيف يا رسول الله؟، قال** «**الأنبياء إخوة من علات**، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي»[(٥)].

(٦) قوله ﷺ: «**انصر أخاك** ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجل يا

---

(١) المدرجة: الطريق.

(٢) تقوم بها وتسعى لصلاحها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، (٤/ ١٩٨٨ رقم ٢٥٦٧)] من حديث أبي هريرة.

(٤) قال الحافظ في فتح الباري (٩/ ١٢٤): «وقوله في الجواب «أنت أخي في دين الله وكتابه» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ونحو ذلك، وقوله: «وهي لي حلال» معناه وهي مع كونها بنت أخي يحل لي نكاحها لأن الأُخوَّة المانعة من ذلك أُخوَّة النسب والرضاع لا أخوة الدين»أهـ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار، (٥/ ١٩٥٤ رقم ٤٧٩٣)] من حديث عراك.

(٥) أولاد العلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام: هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان،[وقال]جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٥/ ١١٩-١٢٠)، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ]، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾، (٣/ ١٢٧٠ رقم ٣٢٥٨)، ومسلم في صحيحه،كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى (٤/١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥)] من حديث أبي هريرة.

رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**»[١].

(٧) قوله ﷺ: «**إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم ألحن**[٢] **بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها**»[٣].

(٨) قوله ﷺ لأبي ذر[٤]: «**تَبَسُّمُكَ في وجه أخيك لك صدقة**، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة[٥]، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»[٦].

(٩) قوله ﷺ: «**تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فَيُغفر**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإكراه، باب «يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه»، (٦/ ٢٥٥٠ رقم ٦٥٥٢)] من حديث أنس.

(٢) أَبْلَغ وأَعْلَمُ بالحة.

(٣) قال النووي: «معناه إن قضيت له بظاهر يخالف الباطن فهو حرام يؤول به إلى النار» [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٢/ ٦)، مصدر سابق]، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، (٢/ ٩٥٢ رقم ٢٥٣٤)، ومسلم في صحيحه، باب كتاب الأقضية،الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (٣/ ١٣٣٧ رقم ١٧١٣)] كلاهما من حديث أم سلمة.

(٤) أبو ذر الغفاري، قيل اسمه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن عفان، وقيل اسمه برير بن جنادة، وقيل ابن جندب، وقيل غير ذلك، روى عن النبي وعنه أنس وابن عباس وغيرهما، مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، وصلى عليه ابن مسعود، ثم مات بعده بيسير، وكان يوازي ابن مسعود في العلم [تهذيب التهذيب (١٢/ ٩٨)].

(٥) أي الذي لا يبصر أصلًا، أو يبصر قليلًا..، والمعنى إذا أبصرت رجلًا رديء البصر فإعانتك إياه صدقة لك [انظر تحفة الأحوذي لمحمد بن عبدالرحمن المباركفوري (٧٦/٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى].

(٦) أخرجه الترمذي في سننه بإسناد لا بأس به [كتاب البر والصلة، باب «ما جاء في صنائع المعروف»، (٤/ ٣٣٩ رقم ١٩٥٦)] من حديث أبي ذر.

لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلاَّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء[١]، فيقال أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا[٢]، أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا»[٣].

(١٠) قوله ﷺ: «**دعوة المسلم لأخيه** بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»[٤].

(١١) حديث: «**أن أخوين على عهد النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال: «لعلك ترزق به»**[٥].

(١٢) قوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**[٦].

---

(١) أي عداوة وبغضاء.

(٢) بقطع الهمزة أخروهما حتى يفيئا أي يرجعا إلى الصلح والمودة [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/١٢٣)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، (٤/ ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٥)] من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، (٤/ ٢٩٠٤ رقم ٢٧٣٢)] من حديث أبي الدرداء.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة، باب «في التوكل على الله»، (٤/ ٥٧٤ رقم ٢٣٤٥)] من حديث أنس، وهذا حديث صحيح.
قال المناوي: «وفيه أن الكسب لا ينافي التوكل، أي: حيث أيقن بالله ووثق بقضائه، وقد ظاهر المصطفى في الحرب بين درعين، ولبس المِغْفر، وأقعد الرماة على فم الشِّعْب وخَنَّدق حول المدينة، وهاجر، وأمر بالهجرة، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليهم من السماء، وقال: «اعقل وتوكل» [انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٦/ ٨٨)، مصدر سابق].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، (٤/ ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٦)] من حديث أبي ذر، قال النووي: «روي طلق على ثلاثة أوجه: اسكان اللام، وكسرها، وطليق بزيادة ياء، ومعناه: سهل منبسط، فيه الحث على فضل المعروف، وما تيسر منه وإن قل حتى طلاقة الوجه عند اللقاء» [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١٧٧)، مصدر سابق].

(١٣) قوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيَصُدُّ هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(١).

(١٤) قوله ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»(٢).

جاء في تحفة الأحوذي(٣): «قوله: «**مَنَّ رد عن عرض أخيه**» **أي مَنَعَ غيبةً عن أخيه**، «**رد الله عن وجهه النار**» **أي صَرَفَ اللهُ عن وجه الراد نار جهنم**»أهـ» وفيه أن المستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلَّا بأن ينكر بلسانه، فإن خاف، فبقلبه فإن قدر على القيام أو قطع الكلام لزمه، وإن قال بلسانه اسكت وهو مشتهٍ ذلك بقلبه فذلك نفاق، قال الغزالي(٤): ولا يكفي أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، (٥/٢٣٠٢ رقم ٥٨٨٣)، ومسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب،باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي (٤/ ١٩٨٤ رقم ٢٥٦٠)] كلاهما من حديث أبي أيوب، قال العلماء في هذا الحديث: تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأُوَل بنص الحديث، والثاني بمفهومه، قالوا: وإنما عُفِي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، فعُفِيَ عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض. . . ، «فيصد هذا، ويصد هذا» هو بضم الصاد، ومعنى يصد يعرض، أي: يوليه عرضه بضم العين وهو جانبه، والصُد: بضم الصاد وهو أيضًا الجانب والناحية، قوله «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» أي هو أفضلهما، وفيه دليل لمذهب الشافعي ومالك ومن وافقهما أن السلام يقطع الهجرة ويرفع الإثم فيها ويزيله وقال أحمد وابن القاسم المالكي: إن كان يؤذيه لم يقطع السلام هجرته، قال أصحابنا: ولو كاتبه أو راسله عند غيبته عنه هل يزول إثم الهجرة؟ وفيه وجهان: أحدهما لا يزول لأنه لم يكلمه، وأصحهما يزول لزوال الوحشة، والله أعلم [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١١٧ وما بعدها)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة، باب «ما جاء في الذب عن عرض المسلم»، (٤/٣٢٧ رقم ١٩٣١)] من حديث أبي الدرداء، والحديث صحيح.

(٣) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٦/ ٤٩)، مصدر سابق.

(٤) الغزالي أبو حامد: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ، تفقه على إمام الحرمين وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه وساد في شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، فحضر عنده رؤوس العلماء، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ثم =

يشير باليد أن اسكت أو بحاجبه أو رأسه وغير ذلك، فإنه احتقار للمذكور، بل ينبغي الذب عنه صريحًا كما دلت عليه الأخبار»(١).

(١٥) ثبت عن جابر بن سليم(٢)، قال: «رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنه، قلت من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين، قال: «لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك، قال، قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلَّتْ راحلتك فدعوته ردها عليك، قال، قلت: اعْهد إليَّ، قال: لا تَسُبَنَّ أحدًا، قال: فما سببت بعده حرًا، ولا عبدًا، ولا بعيرًا، ولا شاةً، قال: «ولا تَحقِرنَّ شيئًا من المعروف، وأَنْ تُكَلِّمَ أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهُك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة (بمعنى الخيلاء والتكبر)، وإن امرؤ شَتَمَكَ وعيَّركَ بما يَعْلمُ فيك، فلا تُعَيِّرْهُ بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه»(٣).

= ابن الصلاح في ذلك تشنيعا كثيرا وأراد المازري أن يحرق كتابه «إحياء علوم الدين» [لما فيه من الضلالات]، وكذلك غيره من المغاربة، ويقال: إنه مال آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين [انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٧٣، ١٧٤)، مصدر سابق].

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٦/ ١٢٧)، مصدر سابق.

(٢) جابر بن سليم، ويقال: سليم بن جابر، والأول أصح، أبو جري التميمي الهجيمي من بلهجيم ابن عمرو بن تميم، قال البخاري: أصح شيء عندنا في اسم أبي جري: جابر بن سليم، وقال أبو أحمد العسكري: سليم بن جابر أصح والله أعلم، سكن البصرة،روى عنه ابن سيرين وأبو تميمة الهجيمي، وقد ثبتت صحبته، روى عن النبي حديث الباب، وأحاديثة قليلة جدًا [انظر أسد الغابة (٦ / ٥٤)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، (٢/ ٤٥٤ رقم ٤٠٨٤)].

(١٦) قوله ﷺ: «للمسلم على المسلم من المعروف ست: يُسَلِّمُ عليه إذا لقيه، ويُشَمِّتُه إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويجيبه إذا دعاه، ويشهده إذا تُوفي، ويحب له ما يحب لنفسه، وينصح له بالغيب»(١).

(١٧) قوله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ...**»(٢).

(١٨) حديث «أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟، قال: وما أعددتَ لها؟، قال: لا شيء إلَّا أني أحب الله ورسوله، قال: **أنت مع من أحببت**»(٣).

(١٩) قوله ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»(٤)، ونحوها من الأحاديث التي يطول ذكرها.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [مسند علي بن أبي طالب، (١/ ٨٨ رقم ٦٧٣)]، والحديث حسن لغيره إن شاء الله، ومعنى «وينصح له بالغيب» أي يريد له الخير في جميع أحواله [انظر حاشية السندي على النسائي لنور الدين بن عبدالهادي السندي (٤/ ٥٣)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (١/ ٢٣٤ رقم ٦٢٩)، ومسلم في صحيحه [كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/ ٧١٥ رقم ١٠٣١)] كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب فضائل الصحابة، باب «مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه» (٣/ ١٣٤٩ رقم ٣٤٨٥)] من حديث أنس.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، (٤/ ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٨)] من حديث أبي هريرة.
قال العلماء: معناه جموع مجتمعة، أو أنواع مختلفة، وأَمَّا تَعارفُها فهو لأمر جعلها الله عليه، وقيل: إنها موافقةٌ صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها، وقيل: لأنها خُلقت مجتمعة، ثم فُرِّقت في أجسادها، فمن وافق بشيمه أَلِفَهُ، ومَنْ باعده نافره وخالفه، وقال الخطابي وغيره: تآلفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في =

فالسنة النبوية المصدر الثاني لبناء أُخَوَّة الدين، على أنها أشارت إلى الأخوة النسبية في مواضع كثيرة، ومن ذلك أن : «امرأةَ بشير[(١)] قالت [لزوجها] انحل[(٢)] ابني غُلامَك واشهد لي رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن ابنة فلان سألتني أن انحل ابنها غلامي، وقالت أشهد لي رسول الله ﷺ، فقال: **أله إخوة؟**، قال: نعم قال: أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيته؟، قال: لا، قال: فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلَّا على حق»[(٣)]، ونحوه من الأحاديث.

ولو تأمل المسلم في السنة النبوية لوجد كثيرًا من الأحاديث التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، وتجعلهم إخوانًا مترابطين من خلال مسائل العقيدة والمنهج والفقه والسلوك، ومما يؤكد ذلك ما يلي :

أولًا ـ مجال العقيدة :

ومن ذلك : «أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها : ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا يا رسول الله أجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ : سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[(٤)].

= المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خُلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار، والله أعلم [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١٨٥)، مصدر سابق].

(١) بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الخزرجي، والد النعمان، شهد بدرًا، وهو أول من بايع أبا بكر الصديق من الأنصار، روى عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا في النحل، روى عنه ابنه النعمان وابن ابنه محمد وعروة، ذكره ابن أبي حاتم فيمن مات سنة ١٣هـ [انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٤٠٧)، مصدر سابق].

(٢) بمعنى العطاء أو الهبة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، (٣/ ١٢٤٤ رقم ١٦٢٤)] من حديث جابر.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، (٤/ ٤٧٥ رقم ٢١٨٠)] من حديث أبي واقد الليثي، والحديث صحيح.

ثانيًا ـ في مجال المنهج :

ومن ذلك حديث حذيفة[١] قال : «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال : نعم، وفيه دخن[٢]، قلت : وما دخنه؟ قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[٣].

---

(١) حذيفة بن اليمان العبسي القطيعي الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، واسم اليمان حسيل، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، كان من كبار أصحاب رسول الله، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله عن المنافقين، وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله، وكان فتح همذان والري والدينور على يد حذيفة، مات سنة ٣٦هـ، بعد قتل عثمان في أول خلافة علي [انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ٣٣٤)، مصدر سابق].

(٢) أي ليس خيرًا خالصًا، بل فيه ما يشوبه ويكدره.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣/ ١٣١٩ رقم ٣٤١١)، ومسلم في صحيحه [كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (٣/ ١٤٧٥ رقم ١٨٤٧)].

قال ابن حجر: قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعدهم فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور قلت: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم وإلى ذلك الإشارة بقوله: «الزم جماعة المسلمين =

ثالثًا ـ في مجال العبادات:

ومن ذلك ما سبق من قوله ﷺ: «**أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولِينوا بأيدي إخوانكم ... ولا تذروا فرجاتٍ للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله**»[١].

رابعًا ـ في مجال المعاملات:

ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا يبع حاضر لباد**[٢]**، ولا تناجشوا**[٣]**، ولا يزيدنَّ على بيع أخيه، ولا يخطبن على خطبته، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتستكفئ إناءها**»[٤].

خامسًا ـ في مجال الآداب والسلوك:

ومن ذلك ما سبق من قوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلِق**»[٥].

والأحاديث كثيرة في هذه المجالات، وما ذكرناه وافٍ بالغرض الذي سيقت له.

= وإمامهم» يعني ولو جار، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود [عند مسلم]: «ولو ضرب ظهرك، وأخذ مالك»، وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه.أهـ [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣/ ٣٦)، مصدر سابق].

(١) تقدم تخريجه (ص٤٧).

(٢) الحاضر صاحب المدينة أو القرية، والباد: صاحب البادية.

(٣) النجش بسكون الجيم: هو مدح السلعة بما ليس فيها والزيادة في ثمنها وهو لا يريد شراءها، بل ليغر غيره [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ١٩٣)، مصدر سابق].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الشروط، باب ما لا يجوز من الشروط في النكاح، (٢/ ٩٧٠ رقم ٢٥٧٤)] من حديث أبي هريرة.، ومعنى قوله: «ولا تسأل المرأة إلى آخره» وهو أن تسأل الأجنبية طلاق زوجة الرجل على أن ينكحها ويصير إليها ما كان من نفقته ومعروفه، كأن فيه شرطًا وهو طلاق الأولى بنكاح الثانية [انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١٣/ ٣٠٠)، مصدر سابق].

(٥) تقدم تخريجه (ص٥٣).

الأمثلة التطبيقية في المحافظة على روابط الأخوة :

لقد سعى النبي ﷺ جاهدًا لتطبيق هذه الروابط التي هي قوام أخوَّة الدين من خلال الحقل الدعوي المبارك، ومن هذه الأمثلة التطبيقية :

(١) ما رواه جابر بن عبد الله[١] قال : كنت جالسًا في داري فمر بي رسول الله ﷺ فأشار إليَّ، فقمت إليه فأخذ بيدي فانطلقنا حتى أتى بعض حجر نسائه فدخل، ثم أَذِنَ لي، فدخلت ..، فقال : هل من غداء؟، فقالوا : نعم، فأُتِيَ بثلاثة أقرصة فوضِعْنَ، فأخذ رسول الله ﷺ قرصًا فوضعه بين يديه، وأخذ قرصًا آخر فوضعه بين يدي، ثم أخذ الثالث فكسره اثنين، فجعل نصفه بين يديه، ونصفه بين يدي، ثم قال : هل من أدم؟، قالوا : لا إلَّا شيء من خَل، قال : هاتوه، فنعم الأدم هو»[٢].

(٢) وقال جرير[٣] : «جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رُؤِي ذلك في وجهه، ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بِصُرَّة[٤] مِنْ وَرِق[٥]، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عُرِفَ السرور في

---

(١) جابر بن عبد الله بن حرام يكنى أبا عبد الله الأنصاري، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، قال جابر: لم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعني أبي، فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله في غزوة قط،وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة سنة ٩٤هـ، صلى عليه أبان بن عثمان وكان أمير المدينة، وكان عمره ٩٤ سنة [أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (١/ ٢٧٧)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل والتأدم به (٣/ ١٦٢٢ رقم ٢٠٥٢)].

(٣) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، يكنى أبا عمرو، وقيل يكنى أبا عبد الله، أسلم قبل سنة عشر للهجرة، وكان جميلًا، قال عمر: هو يوسف هذه الأمة، مات بقرقيسيا سنة إحدى وقيل أربع وخمسين للهجرة، روى عن النبي وأنس وغيرهما، وعنه ابنه المنذر وجماعة [انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٤٧٥)، مصدر سابق].

(٤) الصُّرَّة: الكيس.

(٥) من فضة.

وجهه، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[١].

(٣) ما جاء من حديث البراء بن عازب، قال: «رأيت النبي ﷺ يوم الخندق، **وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره**، وكان رجلًا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأَنْزِلنْ سكينةً علينا ... وثبتِ الأقدامَ إنْ لاقينا

إنَّ العدا قدْ بغوا علينا ... إنْ أرادوا فتنةً أبينا

يرفع بها صوته»[٢].

(٤) حديث: «كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية، قالوا يا رسول الله: كَسَعَ[٣] رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار فقال: دعوها فإنها منتنة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب العلم، باب باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٤/ ٢٠٥٨ رقم ١٠١٧)].

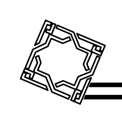
(٢) تقدم تخريجه (ص١٥).

(٣) قوله فَكَسَعَ: من الكسْع، وهو ضرب الدبر باليد أو بالرجل، ويقال هو ضرب دبر الإنسان بصدر قدمه ونحوه [انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١٩/ ٢٤١)].

(٤) أي أن التنادي باسم القبيلة أو الجماعة ونحوهما طريقة قبيحة، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، باب قوله ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ (٤/ ١٨٦١ رقم ٤٦٢٢)، ومسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب «نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا» (٤/ ١٩٩٨ رقم ٢٥٨٤)].

المبحث الثالث

أقوال السلف وأعمالهم



السَّلف في اللغة(١): الماضون أو المتقدمون، ويُراد به في الاصطلاح: القوم الذين سلفوا ممن هم على هدي رسول الله ﷺ، وهم أخص بالقرون المفضلة الذين جاء ذكرهم في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادتَه**»(٢).

و«**سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ فقال أنا والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر**»(٣).

وكون السلف خير الناس بعد رسول الله ﷺ يدل على أنهم أفهم وأسبق للخير منا، بل هم قبلتنا وقدوتنا في الاتباع، «**ومن كان بِهذه المثابة حقيقٌ أن يتُخذَ قدوةً، وتُجعل سيرته قبلة**»(٤).

فهذه الأفضلية والخيْرية تعطيهم مزيةً في كون أقوالهم وأفعالهم أقرب للصواب من غيرهم، لذا نجد أن علماءنا أفردوا لأقوالهم وأفعالهم

---

(١) يقال: السَّالِفُ المتقدمُ، والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ الجماعَةُ المتقدمون، [ومنه] قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ۝٥٦﴾ [انظر لسان العرب لابن منظور (١٥٨/٩)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد (٢/ ٩٣٨ رقم ٢٥٠٩) من حديث ابن مسعود.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [مسند أبي هريرة (٢/ ٣٤٠ رقم ٨٤٦٤)] بإسناد لا بأس به.

(٤) الموافقات في أصول الفقه، تأليف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (٧٩/٤)، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

المؤلفات الكثيرة ككتاب السنن لسعيد بن منصور[(١)]، إذ أغلب مروياته آثار، ولا يكاد مصنف في الحديث أو الفقه يخلو من أقوالهم وأفعالهم.

قومٌ هُمُ شرف القَصيدِ ونَظْمُهُ	مَا إنْ نَبَا بالأصغريَنِ قَصِيْدُ
السابقونَ المُدْرِكونَ بَسَبْقِهِمْ	والسادةُ الغُرُّ الكرامُ الصِيْدُ

قال الإمام الأوزاعي[(٢)]: «**عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس**»[(٣)].

وقد كان لسلفنا الصالح الدور الأكبر بعد الوحي في المحافظة على روابط الإخاء، والسعي الحثيث لإقامتها على الوجه الشرعي الذي يحبه ربنا ويرضاه، وهذه جملة مباركة من هذه الآثار التي تدل على مصداقية ذلك:

(١) قال عمر[(٤)] رضي الله عنه: «**ثلاثٌ يُصَفِّينَ لك وِدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتُوسِّع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه**»[(٥)].

---

(١) سعيد بن منصور بن شعبة الحافظ الإمام الحجة أبو عثمان المروزي، سمع مالكًا وفليح بن سليمان والليث بن سعد وغيرهم، وعنه أحمد وأبو كبر الأثرم ومسلم وأبو داود وغيرهم، قال حرب الكرماني: أملي علينا نحوًا من عشرة آلاف حديث من حفظه، مات سعيد بمكة في رمضان سنة ٢٢٧هـ [تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٤١٦)، مصدر سابق].

(٢) عبد الرحمن بن عمرو، الشامي أبو عمرو الأوزاعي الفقيه، نزل بيروت في آخر عمره، فمات بها مرابطًا، روى عن شداد بن عمار وعبدة بن أبي لبابة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وعنه مالك وشعبة والثوري وغيرهم، من حمير، وكان ينزل الاوزاع [قرية بدمشق] فغلب ذلك عليه، وإليه فتوى الفقه لأهل الشام لفضله فيهم وكثرة روايته، ولد سنة ٨٨ه، ومات ببيروت سنة ١٥٨هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢١٦)، مصدر سابق].

(٣) الشريعة، لمحمد بن الحسين الآجري (١/ ٤٤٥)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، السعودية / الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو حفص العدوي، من المهاجرين الأولين، ولد بعد عام الفيل بـ١٣سنة، وهاجر وشهد المشاهد كلها مع النبي، ولي الخلافة بعد أبي بكر، وفتح الفتوح بالشام والعراق ومصر، وهو أول من سُمِي بأمير المؤمنين، قتل سنة ٢٣هـ، طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة لثلاث بقين من ذي الحجة [الاستيعاب بمعرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١١٤٤ وما بعدها)].

(٥) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لبدر الدين الغزي (ص١٦)، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

(٢) وقال رضي الله عنه: «**عليك بإخوان الصدق** فعش في أكنافهم[(١)]، فإنهم زين في الرخاء، وعدة في البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك، ولا تعترض فيما لا يعنيك»[(٢)].

(٣) وقال رضي الله عنه: «**ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلاَّ الأمين من القوم**، ولا أمين إلَّا من خشي الله، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تُطْلِعْه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى»[(٣)].

(٤) وقال رضي الله عنه: «**يُصَفِّي لك ودَّ أخيك ثلاثٌ**: أن تبدأه بالسلام، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسَّع له في المجلس، وكفى بالمرء عيبًا أن يجد على الناس فيما يأتي، أو يَبْدُو لهم منه ما يَخفى عليه من نفسه، وأن يُؤذيه في المجلس بما لا يعنيه»[(٤)].

(٥) يُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

إنَّ أخاكَ الحقَ مَنْ كانَ معكْ ... ومَنْ إذا ريبُ زمانٍ صَدَعَكْ
ومَنْ يَضُرُّ نفسَه لينفعكْ ... شتَّتَ فيه شمْلَه لِيَجْمَعَكْ[(٥)]

ويُروى نحوه عن المأمون[(٦)].

---

(١) جمع كَنَف بفتحتين وهو الجانب [انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١/٥٤٣)، مصدر سابق].

(٢) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم ابن عساكر (٤٤/ ٣٦٠)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

(٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٢/ ١٧١)، دار االمعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

(٤) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٥) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٢)، مصدر سابق.

(٦) عبد الله بن العباس بن الرشيد المعروف بالمأمون، ولد سنة ١٧٠هـ، وأمه أم ولد، امتحن الناس في القول بخلق القرآن، فسفك دماء من لم يقل بخلق القرآن في زمانه، =

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما : «**أحب إخواني إليَّ الذي إذا أتيتُه قَبِلَنِي، وإذا رغبتُ عنه عذرني**»[(١)].

(٧) قال ابن مسعود رضي الله عنه : «**كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة، وإن كان مشغولاً كانت عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارة**»[(٢)].

(٨) قال عبد الله بن عمر[(٣)] رضي الله عنهما : «**إذا أقسم أحدكم على أخيه فلْيَبِرَّه، فإن لم يفعل فليكفر الذي أقسم عن يمينه**»[(٤)].

(٩) وقال بعض السلف : «**ما انتهك المرء من أخيه حرمةً أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهوِّنُها عليه**»[(٥)].

= وكان معروفًا بالتشيع، مضافًا إلى تفضيل علي على أبي بكر وعمر فاشمأزت النفوس منه، ثم بلغه أن الذين أجابوا بخلق القرآن إنما أجابوا مكرهين، فغضب وأمر بإحضارهم إليه، فحملوا إليه، فبلغتهم وفاته قبل وصولهم إليه، فنجوا منه، وقد مات سنة ٢١٨هـ بالبذندون من أقصى الروم، ونقل إلى طرسوس فدفن بها [تاريخ الخلفاء، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ص٢٦٨)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.].

(١) كتاب الإخوان لعبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ص١١٣)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لبدر الدين الغزي (ص٤٣)، مصدر سابق.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن المكي، روى عن النبي ﷺ وعن أبيه وعمه زيد وغيرهم، وعنه أولاده بلال وحمزة وزيد وغيرهم، واختلفوا في شهوده أحدًا، والصحيح أن أول مشاهده الخندق، مات سنة ٧٣هـ [الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٥٠) مصدر سابق]، وكذا [تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٢٨٧)، مصدر سابق].

(٤) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر ابن سهل الخرائطي (ص١٠٦)، تحقيق أبي طاهر أحمد بن محمد السلقي الأصبهاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٨٦م.

(٥) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤/ ٣٣)، مصدر سابق.

(١٠) قال سعيد بن المسيب[(١)] : «**كتب إليَّ بعض إخواني من الصحابة أن أضع أمر أخيك على الأحسن ما لم تُغْلَبْ**»[(٢)].

(١١) قال وهب بن منبه[(٣)] : «**استكثر من الإخوان ما استطعت، فإنك إن استغنيت عنهم لم يضروك، وإن احتجت إليهم نفعوك**»[(٤)].

(١٢) قيل لابن المنكدر[(٥)] : أي الأعمال أفضل ؟

قال : «إدخال السرور على المؤمن، وقيل له : أي الدنيا أحب إليك، قال : **الإفضال إلى الإخوان**»[(٦)].

(١٣) قال أبو عمرو الأوزاعي : «سمعت بلال بن سعد بن

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي أبو محمد، سيد التابعين وأعلم أهل المدينة، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، روى عن أُبي بن كعب وأنس بن مالك والبراء بن عازب وغيرهم، وعنه الزهري وابن المنكدر وغيرهما، قال الأوزاعي: سئل الزهري ومكحول من أفقه من أدركتما؟، قالا: سعيد بن المسيب، مات سنة ٩٤هـ،وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها [تهذيب الكمال للمزي (١١/٦٦)، مصدر سابق].

(٢) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (ص١١٠)، مصدر سابق.

(٣) وهب بن منبه الحافظ أبو عبد الله الصنعاني، عالم أهل اليمن، ولد سنة ٣٤هـ، روى عن أبي هريرة يسيرًا وعن ابن عمر وابن عباس وغيرهم، وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ، وطال عمره، وعاش إلى سنة نيف وثلاثين ومائة، حدث عنه وهب ابن أخيه عبد الصمد، وعمرو بن دينار وإسرائيل أبو موسى وغيرهم، توفى سنة ١١٤هـ [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٠٠)، مصدر سابق].

(٤) تهذيب الكمال للمزي (٣١/ ١٤٩)، مصدر سابق.

(٥) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، التيمي أبو عبد الله ويقال أبو بكر أحد الأئمة الأعلام، روى عن أبيه وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، روى عنه أبناه يوسف والمنكدر والزهري وغيرهم،كان من سادات القراء وكبار التابعين،وغاية في الحفظ والإتقان والزهد والعلم، مات سنة ٣٠هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٤١٧: ٤١٩)، مصدر سابق].

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٢٥٦)، مصدر سابق.

تميم[١]، يقول: **أخٌ لك كلما لقيك ذَكَّرَكَ بحظك من الله خيرٌ لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا**»[٢].

(١٤) قيل لخالد بن صفوان[٣]: «**أيُّ الإخوانِ الأحبُ إليك حقًا؟**

قال: **الذي يَسُدُّ خَلَلي، ويغفر زللي، ويقبل عللي**»[٤].

(١٥) قال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق[٥]: «**لا تصحب خمسة**: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يُقَرِّبُ منك البعيد ويُبَعِّد منك القريب، والأحمق[٦] فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك

(١) بلال بن سعد بن تميم السكوني الدمشقي القاص، من عباد الشام وقرائهم وزهادهم وصالحيهم، أُعطى لسانًا وبيانًا وعلمًا بالقصص، روى عن أبيه وجابر وغيرهما، روى عنه ثابت بن ثوبان وحفص بن غيلان وحميد بن مسلم الدمشقي وغيرهم، مات في ولاية هشام بن عبد الملك [مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ص١١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م]، وكذا [تهذيب الكمال للمزي (٤/٢٩١)، مصدر سابق].

(٢) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (ص١٣٦)، مصدر سابق.

(٣) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، أحد فصحاء العرب، روى عنه شبيب بن شيبة، قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان عظني وأوجز، فقال: يا أمير المؤمنين إن أقوامًا غرهم ستر الله ﷻ وفتنهم حسن الثناء فلا يَغلِبنَّ جهلُ غيرِك بك علمُك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين وبثناء الناس مسرورين، وعن ما افترض الله متخلفين ومقصرين وإلى الأهواء مائلين، فبكى عمر [تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٦/ ٩٨،٩٤)، مصدر سابق].

(٤) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٥) جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي الإمام أبو عبد الله المدني المشهور بالصادق أحد السادة الأعلام، حدث عن عروة بن الزبير وعطاء ونافع وعدة، وعنه مالك والسفيانان وغيرهم، قال هياج بن بسطام: كان جعفر الصادق يُطْعِم حتى لا يَبْقى لعياله شيء، توفي سنة ١٤٨هـ [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٦٦)، مصدر سابق].

(٦) الحُمْق: نقصانُ العقل [انظر المغرب في ترتيب المعرب للعلامة ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز (١/ ٢٢٤)، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م].

ويفر عند الشدة، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، فقيل : وما أقل منها ؟ قال : الطمع فيها، ثم لا ينالها»[١].

(١٦) قال يحيى بن معاذ[٢] : «**اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس** : العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين[٣]، والمتصوفة الجاهلين»[٤].

(١٧) قال الأحنف[٥]: خير الإخوان : مَنْ إن استغنيت عنه لم يرذل[٦] في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك، وإن كوثرت عضدك، وإن احتجت إلى معونته رفدك»[٧].

(١٨) أوصى محمدُ بن كعب القرظي[٨] عمرَ بن عبد العزيز[٩] فقال

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٢)، مصدر سابق.

(٢) يحيى بن معاذ أبو زكريا الرازي، سمع إسحاق بن سليمان ومكي بن إبراهيم، روى عنه الغرباء من أهل الري وهمذان وخراسان، يؤثر عنه أنه قال: «أحسن شيء كلام صحيح، من لسان رجل فصيح، في وجه صبيح، مات سنة ١٥٨هـ [تاريخ بغداد لأحمد ابن علي ابن أبي بكر الخطيب (١٤/ ٢٠٨ ـ ٢١١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى].

(٣) المُداهَنَةُ: إظهَارُ خِلافِ ما يُضْمَرُ [انظر تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (٣٥/ ٤١)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، الطبعة الأولى].

(٤) تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزي (٤٤٨)، مصدر سابق.

(٥) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي أبو بحر البصري، واسمه الضحاك، وقيل صخر، والأحنف لقب، أدرك النبي ولم يسلم، روى عن عمر وعلي وعثمان وغيرهم، وعنه الحسن البصري وابن الشخير وغيرهما، قال مصعب بن الزبير يوم موته: ذهب اليوم الحزم والرأي، مات سنة ٦٧هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ١٦٧)، مصدر سابق].

(٦) بمعنى لم يضعف.

(٧) أعطاك ووصلك [وانظر الأثر في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢٤/ ٣٤٢)، مصدر سابق.

(٨) محمد بن كعب القرظي من أفاضل أهل المدينة علمًا وفقهًا، وكان أبوه من سبي قريظة، روى عن العباس وعلي وغيرهما، روى عنه أخوه عثمان والحكم بن عيينة، وكان في المسجد فسقط عليه سقف فمات ومن معه سنة ١٠٨هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٣٧٣)، مصدر سابق].

(٩) عمر بن عبد العزيز بن مروان، الخليفة الصالح، ولد بحلوان بمصر، وأبوه أمير عليها =

له : «يا عمر بن عبد العزيز أوصيك بأمة محمد خيرًا، من كان منهم دونك فاجعله بمنزلة ابنك، ومن كان منهم فوقك فاجعله بمنزلة أبيك، **ومن كان منهم لسنك فاجعله بمنزلة أخيك،** فَبِرْ أباك، وصل أخاك، وتعاهد ولدك، فقال له عمر : جزاك الله يا محمد خيرًا»[١].

(١٩) وقال عمر بن عبد العزيز : «**ما أعطيت أحدًا مالاً إلاَّ وأنا أستقِلُّه، وإني لأستحي من الله - ﷻ - لأخ من إخواني وأبخل عنه بالدنيا، وإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الدنيا بيدك كنت أبخل**»[٢].

(٢٠) قال أبو سليمان الداراني[٣] : «**لو أن الدنيا كلها لي في لقمة، ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه**»[٤].

كما كان لسلفنا الصالح الكثير من التوجيهات والأعمال المباركة التي كان لها الأثر الكبير في ربط المسلمين بعضهم ببعض على ضوء الكتاب والسنة من خلال العوارض والنصائح الرشيدة في مختلف الميادين، ومن ذلك : قضايا العقيدة والمنهج والفقه والسلوك، ومما يؤكد ذلك ما يلي:

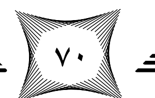
= سنة إحدى وقيل: ثلاث وستين،بويع بالخلافة سنة٩٩هـ، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر، ملأ فيها الأرض عدلاً ورد المظالم وسن السنن،توفي بدير سِمْعَان بحمص سنة ١٠١هـ، وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، وكانت وفاته بالسم، كانت بنو أمية قد تبرموا به لكونه انتزع منهم كثيرًا مما غصبوه،وقد أهمل التحرز فسقوه السم [تاريخ الخلفاء للسيوطي(٢١٥.٢٠١)، مصدر سابق].

(١) تاريخ دمشق مدينة دمشق لابن عساكر (١٤٨/٥٥)، مصدر سابق.

(٢) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (ص٢٠٣)، مصدر سابق.

(٣) أبو سليمان الدارانى اسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية من أهل دمشق من داريا، قرية من قرى الغوطة، يروى عن الربيع بن صبيح وأهل العراق، روى عنه أحمد بن أبى الحواري والقاسم ابن عثمان الجوعى وأهل الشام، من أفاضل أهل زمانه وعبادهم وخيار أهل الشام وزهادهم [كتاب الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد البستي (٣٧٦/٨)، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م].

(٤) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (ص٢٤٥)، مصدر سابق.



أولًا ـ في مجال العقيدة :

ومن ذلك مناصحة السلف لإخوانهم المسلمين في أن يحذروا سبيل المضلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين كقول ابن عباس : «**بابُ شركٍ فُتِحَ على أهل الصلاة التكذيبُ بالقدر**، فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم»[(١)].

وكقول عيسى بن يونس[(٢)] : «لا تجالسوا الجهمية، وبيِّنُوا للناس أمرهم كي يعرفوهم فيحذروهم»[(٣)].

ثانيًا ـ في مجال المنهج :

ومن ذلك «أن علي بن أبي طالب دخل المسجد الأكبر، يعني مسجد الكوفة، فخطب الناس على المنبر : فنادى ثلاث مرات بأعلى صوته، يا أيها الناس نُبئت أنكم تكثرون فيَّ، وفي عثمان بن عفان[(٤)]، وإن مثلي

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة الله بن الحسن اللالكائي (٤/ ٦٣٠)، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

(٢) عيسى بن يونس بن الإمام أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي، سمع أباه وهشام بن عروة وغيرهما، روى عنه حماد بن سلمة وابن وهب وابن راهويه وغيرهم، قال الطنافسي: يا أصحاب الحديث ألا تكونون مثل عيسى بن يونس كان إذا جاء إلى الأعمش ينظرون إلى هديه وسمته، مات سنة ١٨٧هـ [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٧٩)، مصدر سابق].

(٣) أحاديث في ذم الكلام وأهله، تأليف عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي الرازي المقرئ (٤/ ٢١٩)، تحقيق د. ناصر عبد الرحمن محمد الجديع، دار أطلس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.٤٤٤

(٤) عثمان بن عفان القرشي الأموي أبو عبد الله وأبو عمر، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرة بالجنة، ولد بعد الفيل بست سنين، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام، زوَّجه رسول الله ابنته رقية، فلما ماتت زوجه أم كلثوم، شهد المشاهد كلها ما عدا بدرًا بسبب مرض زوجته رقية، استشهد سنة٣٥هـ [الإصابة لابن حجر (٤/ ٤٥٦) مصدر سابق]، وكذا [أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٦٠٦)].

ومثله كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجر: ٤٧]»[١].

ثالثًا ـ في مجال الآداب والسلوك:

حيث ضرب السلف أروع الخلق وأزكاه في التأدب وحسن المعاملة مع إخوانهم المسلمين، ومن ذلك ما جاء عن هلال بن العلاء[٢] أنه قال: «جعلت على نفسي أن لا أكافئ أحدًا بسوء، ولا عقوق»، ثم أنشد، وقال:

لمَّا عفوتُ ولم أَحْقِدْ على أحدٍ ... أَرَحْتُ نفسيَ مِنْ هَمِّ العداواتِ
إني أُحيِّي عدوِّي عند رؤيتهِ ... لأدفعَ الشرَّ عنِّي بالتحياتِ
وأُظْهِرَ البِشْرَ للإنسانِ أُبغضهُ ... كأنَّه قدْ ملَا قلبيْ محباتِ[٣]

رابعًا ـ في مسائل الفقه والقضاء:

ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس قال: كان للعباس[٤] دار إلى جنب

---

(١) انظر الأثر في [فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل الشيباني (١/ ٤٣٨)، تحقيق د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م].

(٢) هلال بن العلاء بن هلال الباهلي أبو عمر الرقِّي أخو أحمد بن العلاء مولى قتيبة بن مسلم الباهلي، روى عن إسحاق بن الضيف وحجاج بن محمد المصيصي وحجاج بن منهال، روى عنه النسائي وإبراهيم بن إسحاق الحربي وأبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، مات بالرقة في الثالث من محرم سنة ٢٨٠هـ [تهذيب الكمال للمزي (٣٠/ ٣٤٦)، مصدر سابق].

(٣) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص٦٠.٦١)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة: الأولى١٤١٠،هـ - ١٩٩٠م.

(٤) العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي عم رسول الله أبو الفضل، ولد قبل رسول الله بسنتين، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وحضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرًا مع المشركين مكرهًا، فأسر فافتدى نفسه وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبي طالب، ورجع إلى مكة، فيقال إنه أسلم وكتم قومه ذلك، وصار يكتب إلى النبي بالأخبار، ثم هاجر قبل الفتح بقليل، وشهد الفتح، وثبت يوم حنين، مات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين للهجرة [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/ ٦٣١)].

المسجد، وفي المسجد ضيق، فأراد عمر أن يدخلها في المسجد فأبى، فقال اجعل بيني وبينك رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فجعلا بينهما أُبي بن كعب فقضى للعباس على عمر، فقال عمر : ما أحد من أصحاب محمد أجرأ عليَّ منك، فقال أُبي : أو أنصح لك مني ؟ قال : يا أمير المؤمنين أما بلغك حديث داود أن الله ﷻ أمره ببناء بيت المقدس فأدخل فيه بيت امرأة بغير إذنها، فلما بلغ حجز الرجال، منعه الله بناءه، قال داود : يا رب منعتني بناءه فاجعله في عقبي، فقال العباس : أليس قد صارت لي، وقضى لها بها، قال : فإني أشهدك أني قد جعلتها لله ﷻ»[1].

الأمثلة التطبيقية في المحافظة على روابط الأخوة عند السلف :

لقد سعى سلفنا الصالح رضوان الله عليهم جاهدين لتطبيق هذه الروابط التي هي قوام أخوَّة الدين من خلال الحقل الدعوي المبارك، ومن هذه الأمثلة التطبيقية :

(١) يُروى أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل، فرآه طلحة[2]، فذهب عمر، فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك؟

قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى.

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل (٢/ ٩٣٩)، مصدر سابق.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي أبو محمد المدني أحد العشرة، وأحد السابقين، روى عن النبي وعن أبي بكر وعمر، روى عنه جابر بن عبد الله الأنصاري والسائب بن يزيد وقيس بن أبي حازم، غاب عن بدر فضرب له رسول الله بسهمه وأجره، وشهد أحدًا وما بعدها، وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد، قال: ذاك يوم كله لطلحة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين للهجرة [تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ١٩)، مصدر سابق].

قال طلحة: ثكلتك أمك [يا] طلحة أعثرات عمر تتبع[١].

(٢) جاء رجل إلى علي بن الحسين[٢] رضي الله عنه فقال له: «إن فلانًا قد آذاك، ووقع فيك.

قال: فانطلقْ بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه، قال: يا هذا إنْ كانَ ما قلتَ فيَّ حقًّا فغفرَ الله لي، وإن كان ما قلت فيَّ باطلًا فغفر الله لك»[٣].

(٣) ويروى أنه: «كان إذا أتاه السائل رَحَّبَ به، وقال: مرحبًا بِمَنْ يَحْملُ زادي إلى الآخرة، وكَلَّمهُ رجلٌ فافترى عليه، فقال: إنْ كنا كما قلتَ فنستغفر الله، وإنْ لم نكن كما قلتَ فغفر الله لك،فقام إليه الرجل، فقبل رأسه، وقال: جُعِلْتُ فداك، ليس كما قلتُ فاغفر لي.

فقال: غفر الله لك، فقال الرجل: « الله أعلم حيث يجعل رسالته»[٤].

(٤) جاء في السير أن «أبا الحسن البوشنجي[٥] قال: كانت لي

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٢٨١)، مصدر سابق.

(٢) الإمام الزاهد التقي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسين، ويقال أبو الحسن، وقيل غير ذلك، زين العابدين، روى عن أبيه وعمه الحسن وغيرهما، يُؤثر عنه أنه قال: «إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا» مات سنة ٩٤هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٦٨)، مصدر سابق].

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٩٤)، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق (٢/ ٩٥).

(٥) أبو الحسن الداوودي، جمال الإسلام عبد الرحمن بن محمد بن المظفر البوشنجي، شيخ خراسان، علمًا وفضلًا وجلالةً وسندًا، روى الكثير عن أبي محمد بن حمويه، وآخر من حدث عنه،وتفقه على القفال المروزي وأبي الطيب الصعلوكي وأبي حامد الإسفراييني [العبر في خبر من غبر، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٣/ ٢٦٦)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م].

قَبْجَة[١] طُلبتْ بمائة درهم فحضرني ليلة غريبان فقلت للوالدة: عندك شيء لضيفي؟ قالت: لا، إلَّا الخبز، فَذَبَحْت القَبْجة، وقدمتُها إليهما»[٢]، ونحوها من الأمثلة كثير.

فهؤلاء هم السلف الصالح، فما حالنا بعدهم:

أولئك السلف الأعلونَ ذِكْرُهمُ	باقٍ وإن كان ماضي عصرهم سلفَا
شريعةُ الشرع فينا بعدهم كدرتْ	وكم حلا وِرْدُها قُدمًا بهم وصفَا
لو أبصروا كيف حالَ الحالُ بعدهمُ	رقوا لنا وأراقوا الأدمعَ الذُّرفا
ولو أطاقُوا لقاموا من قُبورهمُ	حتى يعيدوا زمانَ الفتح مُؤتنِفا
يا حسرةً لبلاد عنهم وَرِثت	وإرثُها اليوم عنا لِلعِدى صُرِفَا

وقد سبق أن سُقْتُ أيضًا بعض الأمثلة التطبيقية التي تدل على محافظة السلف لروابط الإخاء من خلال المباحث السابقة، فأغناني ذكرها عن التكرار[٣].



(١) القَبْجَةُ: ذَكَرُ الحَجَل، وهو نوع من الطيور.

(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص٢٥٢)، مصدر سابق.

(٣) من ذلك قصة مؤاخاة سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف (ص٢١)، وقوله له: «إني أكثر الأنصار مالًا فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها» وكذا قصة الأنصاري الذي ضيف ضيف رسول الله ﷺ (ص٤٠)، وأيضًا حديث الصدقة، وفيه تسابق الصحابة لمساعدة فقراء مضر [ناس من الأعراب] كما سبق (ص٥١) ونحوها من الأمثلة التطبيقية التي عُرف بها السلف الصالح.

الفصل الثاني
أنواع روابط الأخوة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعاون، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعاون المادي.

المطلب الثاني: النصيحة.

المبحث الثاني: حسن الظن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حسن الظن فيما ظهر من الأقوال.

المطلب الثاني: حسن الظن فيما ظهر من الأفعال.



روابط الأخـــوة

تعيش المجتمعات الإسلامية في واقعها المعاصر نماذج عدة من الانقسامات والخلافات غير الموضوعية، والتي تنافي مبادئ ووحدة الصف الإسلامي، آخذةً سبيلها وفكرها مما سطَّره ودوَّنه لها شرذمة من المفكرين الذين عُرفوا بالتطبيع الشرقي والغربي المغاير للشريعة الإسلامية، والذين بدورهم نشروا سمومهم وأفكارهم الهدَّامة في الأوساط الإسلامية تتبعًا للأعداء، وسيرًا على منوالهم لنيل عَرَضٍ من الدنيا قليل، جريًا وراء الشهوات وحبًا في المغريات الفانيات حتى أوقعوا الأمة في المهالك وآلوا بكثيرٍ من أبنائها إلى الهاوية.

وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: «**لتتبعنَّ سَنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى، قال: فمن؟**»[(١)].

وبالمقابل قامت جماعة المسلمين بالدور الإيجابي الذي كُلِّفت به شرعًا على منهاج النبوة وفق ما خطَّه الإسلام لها عقيدةً ومنهجًا وشِرعةً وسلوكًا، ولم تقبل مبادئ الغرب والشرق، ولا مبادئ الأفكار الدخيلة على أبناء الأمة الإسلامية، واعتبرت كل هذه الحثالات مناوئةً لما عليه دعوة الإسلام الصافية النقية، فسعت لتحقيق مبدأ الإخاء الذي يقوم على أساس

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له [كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٤ رقم ٣٢٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٤/ ٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩)] كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري.

الإخلاص والصدق والأمانة ليتحقق لجماعة المسلمين سبيل الرحمة والعطف واللين وكافةِ مَا مِنْ شَأنِه من صالح الفرد والجماعة، مستقيمةً على ذلك، وداعيةً إليه، لأنها توقن أنه من مشكاة النبوة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكانوا خير خلف لخير سلف.

هؤلاء هم جماعة المسلمين الذين وصفهم الرسول ﷺ بالاستمرارية والنجاة والنصر فقال: «**لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**»(١).

ومِنْ ثَمَّةَ فإن المسلم يمرض ويغرم ويُظلم وهلمَّ جرًا، فمن يساعد المريض ويزوره ويرفع عنه البلاء وينسيه مرضه، ومن يدفع الغُرْمَ عن المسلم ويسعى في سداد دينه، ومن يعطف على المسلم والفقير والمحتاج ويعطيه ما يكفيه أو يسد جوعته، ومن ينصر المظلوم ويقيم ميزان العدل إلَّا أبناء هذا الخط المستقيم الذين لا يريدون مقابل أعمالهم التعاونية الصالحة جزاءً ولا شكورًا سوى رضا الله وحده ونصرة دينه، بخلاف أولئك النفر الذين إن ساعدوا أو وقفوا مع غيرهم كانت المصلحة سبيلهم والجزاء مرادهم، إما لخدمة فكر دخيل، أو حزب مشين، أو غرض دنيوي منقطع، وأمثال هذا الصنف زائل لا بقاء له لأنه تعجَّل الثواب، وارتبط بمحسوساتٍ فانية غير دائمة.

وما أحسن قول عطاء(٢) «**تفقَّدُوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له [كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (١/ ٣٩ رقم ٧١)] من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/ ١٥٢٣ رقم ١٩٢٠)] من حديث ثوبان.

(٢) أبو محمد عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم القرشي مولاهم المكي، من رجال الكتب الستة، إمام حافظ، زاهد، من كبار التابعين، وجلة الفقهاء والصالحين، ولد سنة ٢٧هـ، ومات سنة ١١٤هـ، أخذ الفقه والحديث والتفسير عن ابن عباس، وابن عمرو، وابن عمر وغيرهم، وروى عنه ابنه يعقوب، وأبو إسحاق السبيعي، ومجاهد وغيرهم، نشأ بمكة، وانتهت إليه فتوى أهل مكة [تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ١٧٩.١٨٢)، مصدر سابق].

فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو نسوا فذكروهم»[١].

بل قد «كان في السلف مَنْ يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته .. يقوم بحاجتهم، ويتردد كلَّ يوم إليهم، ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلَّا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه، ويسأل ويقول : هل لكم زيت، هل لكم ملح، هل لكم حاجة، وكان يقوم بها حيث لا يعرفه أخوه، وبهذا تظهر الشفقة والأخوَّة»[٢].

وهذا الإخاء لا يقوم إلَّا على الأواصر الوثيقة التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ومهما يكن من شئ فإن روابط الأخوة الإسلامية كثيرة، لا يمكن لمثل هذا المختصر أن يجمعها كاملةً في وريقاتٍ كهذه، لذا اخترت منها أربعة موضوعات، وهي : **التعاون والنصيحة وحسن الظن والأخلاق الفاضلة** كمباحثَ موجزةٍ لتكون نماذجَ حيةٍ لروح الأخوّة الإسلامية، وسأتحدث في هذا الفصل عن **هذين المبحثين التاليين** :

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٦)، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٧٥).

المبحث الأول

التعاون

وهو الرابطة العظمى التي حثَّ عليها الإسلام ورغَّب الأمة فيها.

قال جل شأنه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وفي الحديث: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرَّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يومَ القيامة**»(١).

وقال ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أَرْمَلُوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم**»(٢).

وقال علية الصلاة والسلام: «**مَنْ نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر يسر الله عليه**

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (٢/ ٨٨٠ رقم ٢٣٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم (٤/ ١٩٤٤ رقم ٢٥٠٠)] كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري، ومعنى أرملوا: فَنِي طعامهم، وفي هذا الحديث فضيلة الأشعريين وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شئ عند قلتها في الحضر [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ٦٢)، مصدر سابق].

في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[١].

وقال أيضًا: «**مَنْ سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلْيُنَفِّس عن معسرٍ أو يضعَ عنه**»[٢].

وثبت في حديث آخر أنه قال: «**مَنْ أَقَالَ مسلمًا أقاله الله عثرته**»[٣] وغيرها من صريح الأدِلة التي تدل دلالة نصية على استحباب التعاون بين المجتمعات، كلٌّ حسب استطاعته وقدرته، إلَّا أن أقوامًا رغبوا عن ذلك المندوب فعاشوا انطوائيين لا يهمهم إلَّا نفوسهم وشهواتهم، وكأنهم يعيشون خارج إطار المجتمع الإسلامي أمواتًا غير أحياء بسبب بُعدهم وانعزالهم عن هذا المضمار، يرحل بعضهم إلى أوربا ونحوها من دول الكفر والإلحاد ليقضي أيام العطل والمناسبات، فيصرف الأموال الباهظة ليشبع شهوته وغريزته، في الوقت نفسه يبخل عن صرف قليل المال على الفقير والمسكين، ويمسك يده عن اليتيم ونحوه، وكأن ماله أخلده، وحاشا الخلود أن يَعمَّه ويظله.

وآخر يرى الباطل والفسق والضلال والفجور فلا يتعاون مع إخوانه المسلمين بإنكاره أو تغييره ولو بالنصح والإرشاد، وهذه أمراضٌ تنافي شريعة الإسلام.

وقد قيل: «إن عقد الأخوة رابطةٌ بين الشخصين كعقد النكاح بين

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب المساقاة، باب فضل انظار المعسر، (٣/ ١١٩٦ رقم ١٥٦٣)] من حديث أبي قتادة.٨٤٠١: ٨٥٠٠

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الإجارة، باب في فضل الإقالة (٢/ ٢٩٦ رقم ٣٤٦٠)] من حديث أبي هريرة، وقوله «مَنْ أَقَالَ» أي وافقه على نقض البيع أو البيعة وأجابه إليه، «أقاله الله عثرته» أي غفر زلته وخطيئته [انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب (٩/ ٢٣٧)، مصدر سابق، وكذا [فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٦/ ٧٩)، مصدر سابق].

الزوجين، وكما يقتضى النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح .. فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب»[(١)].

والمتأمل في مجتمعاتنا اليوم يرى خلاف ما يقرأه ويطّلع عليه من حال السلف.

ولبيان روح التعاون وحال السلف الصالح إزاء هذه الرابطة العظيمة يمكننا أن نتحدث عن نوعين مهمين من أنواع التعاون، تعاونٍ بالمال وهو **التعاون المادي**، وتعاونٍ باللسان وهو النصيحة، وكلا هذين المبحثين مأخوذين من عموم قوله جل شأنه : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، ونحو ذلك من النصوص كما تقدم.

قال ابن كثير : «يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم»[(٢)].

ولا يخفى أن بذل المال والنصيحة لمستحقيهما من أجل أمور البر بالاتفاق، وسنتحدث عن هذين المجالين في مطلبين :

المطلب الأول : التعاون المادي

ويتمثل في الصدقات المستحبة، والهبات والهدايا والعطايا والضيافات والمؤاساة وشراء ما يحتاجه صاحب الفاقة أو المرض أو الحاجة من جارٍ أو صديقٍ أو غيرهما من المساعدات والوقوف عند

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٣)، مصدر سابق.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧)، مصدر سابق.

الملمات، وليس منه الزكوات الواجبة لكونها متعلقةً في ذمة مَنْ فَرَضَ الله عليه زكاة ماله.

وهذا يعني أن المؤاخاة على التعاون في أمر الله تعالى قد تكون ببذل المال لمن يُؤاخى عليه، وهو عين ما تحقق في زمنه ﷺ وزمن القرون المفضلة الثلاثة.

ويمكن تقسيم التعاون المادي إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الصدقات المستحبة:

ومن ذلك قوله ﷺ لأبي ذر: **«يا أبا ذر ما أحبُّ أنَّ لي أُحدًا ذهبًا أمسي ثالثة، وعندي منه دينار: إلاَّ دينارًا أَرْصده لِدَيْن إلاَّ أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا، ويا أبا ذر الأكثرون هم الأقلون إلاَّ مَنْ قال هكذا وهكذا»**(١).

وقوله ﷺ: **«يا ابن آدم إنك إنْ تَبْذلِ الفضل خيرٌ لك، وإن تَمْسكه شرٌ لك، ولا تُلام على كَفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا» (٥/ ٢٣٦٧ رقم ٦٠٧٩)، ومسلم في صحيحه [كتاب االزكاة، باب الترغيب في الصدقة (٢/ ٦٨٧ رقم ٩٤)] كلاهما من حديث أبي ذر، وقوله: «أقول به» بمعنى الفعل أي أنفقه، وقوله «هكذا وهكذا» كناية عن وجوه النففات في مستحقيها، وقد أطال الحافظ في معنى ذلك [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٢٦٥)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة (٢/ ٧١٨ رقم ١٠٣٦)] من حديث أبي أمامة، وقوله: الكَفَافُ: من الرزق القوت، وهو ما كف عن الناس أي أغنى، كذا في مختار الصحاح للرازي (ص٢٣٩) مصدرسابق، وقوله: اليد العليا: هي المنفقة والسفلى هي الآخذة كذا في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٧/ ١٢٤)، مصدر سابق.

وقوله ﷺ : «يقول ابن آدم مالي مالي، **وهل لك يا ابن آدم من مالك إلاَّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت ؟**»(١).

ومما يؤسف له ظهور بعض الشباب في الآونة الأخيرة يدَّعون أن مساعدة الجار أو المريض ونحوهما يشترط له الموالاة لهم على فكرهم ومنهجهم، وهذه بدعة عصرية تَحُولُ بين أخوة الدين، إذ الولاء لكل مسلم «ومن كان فيه ما يُوالى عليه من حسنات، وما يُعادى عليه من سيئات عومل بموجب ذلك كفساق أهل الملة إذ هم مستحقون للثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة والحب والبغض بحسب ما فيهم من البر والفجور فإن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزَلة: ٧،٨]»(٢).

وطالما والأمر كذلك فله من الحقوق العامة والخاصة ما له وعليه من البغض والهجران ما يستحق بقدر بدعته وضلاله، ولا يعني هذا أن أترك أخي المسلم يعاني من الأمراض الفتَّاكة دون الوقوف معه بحجة أنه واقع في ضلالة أو يخالفني في قضايا منهجية أو عقدية، فإني وإن كنت أختلف معه وأبغضه لضلاله، فإن هذا لا يكون مسوغًا لمنع الصدقة عنه، فإذا كان الإسلام يجوِّز إعطاء الكافر من الصدقة الواجبة في حال كونه من صنف المؤلفة قلوبهم، فإنَّ مَنْ كان مسلمًا ـ في مثل هذه المحنة ونحوها ـ أولى لرابطة الدين، ولعل مثل هذه الصدقات تؤلف بينه وبين أخيه فيترك بدعته أو ضلاله، إذ النفوس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها.

القسم الثاني : الهبات والهدايا.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**مَنْ مَنَحَ منيحةً وَرِقًا أو منيحة لبن أو أهدى زقاقًا**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الزهد والرقائق، ولم يذكر للحديث بابًا (٤/ ٢٢٧٣ رقم ٢٩٥٨)] من حديث عبد الله بن الشخير.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٩٤)، مصدر سابق.

فهو كعتق نَسَمَة»[(١)]، وقوله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه، **ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه** فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[(٢)]، وقوله ﷺ «**تهادوا تحابوا**»[(٣)].

وقال علي رضي الله عنه: «لأَنْ أصل أخًا من إخواني بدرهم أحب إليَّ من أن أتصدق بعشرين درهمًا، ولأَنْ أصله بعشرين درهمًا أحب إليَّ من أن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده بإسناد لا بأس به [مسند البراء بن عازب (٤/ ٢٨٥ رقم ١٨٥٣٩)]، وقوله: «من منح منحة» بكسر الميم أي عطية، وهي تكون في الحيوان وفي الرقبة والمنفعة والمراد هنا منحة، «وَرِق» قال الزمخشري: وهي القرض أي قرض الدراهم «أو منحة لبن» قال: وهي أن يعيره أخوه ناقته أو شاته فيحلبها مدة ثم يردها «أو أهدى زقاقًا» بزاي مضمومة وقاف مكررة الطريق، يريد أنَّ مَنْ دلَّ ضالًا أو أعمى على طريقه،ذكره ابن الأثير،وقال الطيبي: يُروى بتشديد الدال إما للمبالغة من الهداية أو من الهدية أي من تصدق بزقاق.. «فهو كعتق نسمة» وهي كل ذي روح، وقيل كل ذي نفس مأخوذ من النسم [انظر فيض القدير للمناوي (٦/ ٢٢٩)].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (١/ ٥٢٤ رقم ١٦٧٢)] من حديث عبد الله بن عمر، والحديث صحيح، وقوله «مَنْ استعاذ» أي من سأل منكم الإعاذة مستغيثًا «بالله فأعيذوه»، قال الطيبي: أي من استعاذ بكم وطلب منكم دفع شركم أو شر غيركم قائلاً: بالله عليك أن تدفع عني شرك فأجيبوه وادفعوا عنه الشر تعظيمًا لاسم الله تعالى، فالتقدير: من استعاذ منكم متوسلاً بالله مستعطفًا به، ويحتمل أن يكون الباء صلة استعاذ أي: من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له بل أعيذوه وادفعوا عنه الشر، فوضع أعيذوا موضع ادفعوا، ولا تتعرضوا مبالغة «فأعطوه» أي تعظيمًا لاسم الله وشفقةً على حق الله «ومن دعاكم» أي إلى دعوة «فأجيبوه» أي إن لم يكن مانع شرعي «ومن صنع إليكم معروفًا» أي أحسن إليكم إحسانًا قوليًا أو فعليًا «فكافئوه» من المكافأة أي أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [وقوله تعالى] ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾، «فإن لم تجدوا ما تكافئوا به» أي بالمال، والأصل تكافئون فسقط النون بلا ناصب وجازم إما تخفيفًا أو سهوًا من الناسخين كذا ذكره الطيبي، والمعتمد الأول، لأن الحديث على الحفظ معوَّلٌ. . . ، «فادعوا له» أي للمحسن يعني فكافئوه بالدعاء له «حتى تروا» بضم التاء أي تظنوا وبفتحها أي تعلموا أو تحسبوا «أنكم قد كافأتموه» أي كرروا الدعاء حتى تظنوا أن قد أديتم حقه. [انظر عون المعبود (٥/٦١)].

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد [باب قبول الهدية (ص٤٤٨ رقم ٥٩٤)] من حديث عمر، والحديث حسن لغيره.

أتصدق بمائة درهم، ولأَنْ أصله بمائة درهم أحب إليَّ من أن أعتق رقبة»[١].

وهذا يدل على أن بعض السلف يرى أن الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء.

القسم الثالث: المواساة[٢].

وقد ثبت في الحديث: «أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم **أحسن مواساة** في قليل، ولا أحسن بذلًا في كثير، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهْنا، حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله ﷻ لهم»[٣]، وفي هذا الحديث يتبين حسن صنيع ما كان عليه السلف من المواساة التي حثهم عليها النبي ﷺ.

قال بعض العلماء: والمواساة بالمال مع الأُخوَّةٍ على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك، فتقوم بحاجته من فضلة مالك، فإذا سنحت له حاجة، وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوَّة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال، قال الحسن: «**كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه**».

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٢٠)، مصدر سابق.

(٢) آساهُ بماله مُواساةً: أنَالَهُ منه، وجَعَلَه فيه إسْوَةً، ولا يكونُ ذلك إلَّا من كفَافٍ، فإن كان من فضله فليس بمواساةٍ، كذا في القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص١٦٢٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده[مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك (٣، ٢٠٠ رقم ١٣٠٩٧)].

الثالثة : وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه مرتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين[(١)].

قال المروزي[(٢)] قلت لأبي عبد الله[(٣)]: إني لأسمع السائل في الطريق يقول : إني جائع ؟

فقال : قد يصدق، وقد يكذب؟

قلت : فإذا كان لي جار أعلم أنه يجوع ؟ قال : تواسيه.

قلت : إذا كان قوتي رغيفين؟ قال : «**تطعمه شيئًا**[(٤)]».

وقد أحسن من قال :

كل أمرئٍ يومًا سيقضي نَحْبَهُ ... إِنْ كَرِهَ الموتَ وإِنْ أَحبَّهُ
ما الحُرُّ إلَّا مَنْ يُواسِيْ صَحْبَهُ ... ولا الفتى إلَّا المطيعُ رَبَّهُ[(٥)]

❀ ❀ ❀

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٣)، مصدر سابق.

(٢) شيخ الإسلام محمد بن نصر، أبو عبد الله المروزي الفقيه، ولد سنة**٢٠٢**هـ، ومات سنة **٢٩٤**هـ، قال أبو محمد ابن حزم: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها، وبما أجمع عليه الناس مما اختلفوا فيه إلى أن قال: وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر المروزي، مات رَحِمَهُ الله وما ترك بعده مثله [تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٦٥١، ٦٥٠)، مصدر سابق].

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله الشيباني الإمام الحافظ الكبير، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، ومات بها سنة **٢٤١**هـ، رحل إلى الكوفة والبصرة وبغداد ومكة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علمائها، أخذ الحديث عن عبد الرزاق الصنعاني وابن معين وإسحاق ابن راهويه وجماعة، وحدث عنه الإمام البخاري، ومسلم، وأبو داود صاحب السنن، والشافعي وخلق كثير. [تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٦٢: ٦٤)، مصدر سابق].

(٤) العلوم والحكم لابن رجب (ص١٤٠)، مصدر سابق.

(٥) ذكرته أمة الله مريم بنت عبد الرحمن الحنبلية في مسندها (ص٥٧)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

القسم الرابع: الضيافة[١]:

وقد حث النبي ﷺ على الضيافة، ومن ذلك قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢].

وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر **فليكرم ضيفه جائزتَه**، قال وما جائزتُه يا رسول الله؟، قال: يوم وليلة، **والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه**»[٣].

ونحوها من الأحاديث الكثيرة التي تدعو إلى التعاون المادي من خلال الصدقات والعطايا والهبات والضيافات ونحوها.

قالت عائشة[٤] رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلام وفي العرب بضعٌ وستون

---

(١) مِنْ ضاف إذا مال، لأن الضيف يميل إلى المضيف، قال أهل اللغة: يقال أضفتُ الرجل، وضيَّفْتُه إذا أنزلته ضيفًا [انظر تحرير ألفاظ التنبيه للنووي (ص٣١٩)، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ]، وقد ألف أبو منصور قسيم بن إبراهيم القائني الملقب ببزرجمهر كتابًا في هذا الباب سماه «كتاب قرى الضيف» ومثله لابن أبي الدنيا، وكلاهما مطبوعان.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥/ ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٢)،ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان،باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلاَّ عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان(١/ ٦٨ رقم ٤٧)] من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥/ ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (٣/ ١٣٥٢ رقم ٤٨)] كلاهما من حديث أبي شريح العدوي.

(٤) وهي أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق أبي بكر، حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته في الدنيا والآخرة، المبرأة من فوق سبع سماوات، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، روت عن النبي ﷺ كثيرًا، وعن أبيها، وعمر وغيرهما، وروى عنها أختها أم كلثوم بنت أبي بكر، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث بن الطفيل وغيرهما، وأخرج أحاديثها عامة أهل الصحاح والمسانيد والأجزاء، وفي مقدمتهم أهل الكتب الستة، توفيت سنة ٥٨هـ، في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر، ودفنت بالبقيع [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨ /٢٠.١٦)، مصدر سايق]، وكذا تهذيب التهذيب لابن حجر (١٢/ ٤٦١ .٤٦٣)، مصدر سابق].

خصلة كلها زادها الإسلام شدة، منها : قِرَى الضيف وحسن الجوار والوفاء بالعهد»[(١)].

والملاحظ أن هذه الأقسام الأربعة كانت سائدة في القرون الثلاثة المفضلة.

قال عثمان بن عفان ﵁، قال : «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا **ويواسينا بالقليل والكثير**»[(٢)].

وإليك أيها القارئ الكريم بعض النماذج من أقوال وفعل السلف :

يُروى أن رجلًا جاء إلى أبي هريرة[(٣)] ﵁، وقال : «إني أريد أن أؤاخيك في الله، فقال أتدري ما حق الإخاء ؟

قال : عَرِّفْني.

قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني.

قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد.

قال : فاذهب عني»[(٤)].

ودخل قوم على الحسن البصري[(٥)]، فقالوا : «يا أبا سعيد أصليت؟، قال: نعم، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد، قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق، بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم»!!، قاله كالمتعجب منه[(٦)].

---

(١) مكارم الأخلاق لعبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، (ص٢٦)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة ١٤١١ هـ- ١٩٩٠ م.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده بإسناد حسن [مسند عثمان بن عفان (١/ ٦٩ رقم ٥٠٤)].
(٣) تقدمت ترجمته (ص٤٥).
(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٤)، مصدر سابق.
(٥) تقدمت ترجمته (ص٢٧).
(٦) المصدر السابق (الموضع نفسه).

وقال بعضهم: «إذا استقضيت أخاك حاجةً فلم يقضها فَذَكِّرْه ثانية فلعله أن يكون قد نسي، فإن لم يقضها فكبر عليه، واقرأ هذه الآية ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]»[١].

ويُرى أنه «كان بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة فأصابوا شيئًا، فقالوا لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا، قال: فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم»[٢]، فرضي الله عن سلف هذه الأمة.

قال بعض الشعراء:

همومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرةٌ ... وهميْ من الدنيا صديقٌ مساعدُ
نكون كروحٍ بين جسميْنِ قُسِّمَتْ ... فجسمهما جسمانِ والروحُ واحدُ[٣]

❀ ❀ ❀

المطلب الثاني: النصيحة[٤]

وحاجتنا إليها من أهم الأشياء وأولاها وخصوصًا أن المجتمعات الإسلامية اليوم مليئة بالشوائب المختلفة والأدران المتعددة.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٧٥)، مصدر سابق، والآية رقم (٣٦) من سورة الأنعام.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف [كتاب الزهد، كلام مجاهد (٧/ ٢١٤ رقم ٣٥٤٤٧)].

(٣) كتاب المتحابين في الله لابن قدامة المقدسي (ص٧٢)، دار الطباع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٤) وأصل النُّصح في اللغة: الخُلوص، يقال نَصَحْتُه ونَصحتُ له [انظر النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات ابن الأثير الجزري (٥/ ٦٢)، تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م]، ومعناها في الاصطلاح الشرعي: دعوة الغير للخير لدرء مفسدةٍ وجلب مصلحةٍ، وهي نوع من التعاون باللسان.

ولا علاج لهذه المجتمعات إلَّا بالنصيحة الصادقة التي يُقصدُ بها اصلاح المجتمع ودرء مفاسده، ومتى تحقق ذلك ظهر المطلوب.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن تميم الداري(١) أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قَالَ: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢).

وعن جرير بن عبد الله قال: **بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**(٣).

فقوله: **الدين النصيحة** قيدٌ في أن الدين الإسلامي يقوم على مبدأ النصيحة التي من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وتنقية المجتمعات مما ينافي التوحيد الخالص والكمال الإيماني الحق بأحسن الحلل الوعظية، لأن «النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى

(١) تميم بن أوس بن حارثة، وقيل خارجة بن سود وقيل سواد بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار أبو رقية الداري مشهور في الصحابة، كان نصرانيًا وقدم المدينة فأسلم وغزا مع النبي ﷺ، انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين، وكان النبي ﷺ أقطعه بها قرية عينون، وكان كثير التهجد [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٣٦٨)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٤ رقم ٥٥)]، قال ابن الأثير: «ومعنى نصيحةِ اللَّه: صِحَّةُ الإعتقاد في وحْدانِيته وإخلاصُ النِيَّة في عبادتِه، والنصيحة لكتاب اللَّه: هو التصديق به والعمَل بما فيه، ونصيحة رسوله: التصديق بنُبُوَّته ورسالتِه والانْقياد لما أمَر به ونَهَى عنه، ونصيحة الأئمة: أن يُطِيعَهم في الحق ولا يَرى الخروجَ عليهم إذا جارُوا، ونَصيحة عامّة المسلمين: إرشادُهم إلى مصالِحِهم» [النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/ ٦٢)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (١/ ٣١ رقم ٥٧) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٥ رقم ٥٦)] كلاهما من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف»[١] وهي تختلف عن التأنيب لأن «المُؤَنِّب رجلٌ قَصْدُه التعيير والإهانة وذم مَنْ أَنَّبه وشَتَمَه في صورة النصح، فهو يقول له يا فاعل كذا وكذا، يا مستحقًا الذم والإهانة في صورة ناصح مشفق»[٢]، «ومن الفروق بين الناصح والمؤنِّب أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته، وقال قد وقع أجري على الله قُبِلَتْ أو لم تقبل ويدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس، والمؤنِّب بَعُدَ عن ذلك»[٣]، فإذا علمت ذلك فاعلم أنه لا بد للناصح من توجيهين مهمين :

التوجيه الأول : ما يجب قبل النصيحة :

حيث يجب على الناصح قبل النصيحة معرفة أمرين :

الأول : معرفة وقوع الداء المراد إزالته من المتشبث به.

فإذا اعتاد الشخص إنْ مَرِضَ ذهب إلى الطبيب ليشخص له الداء، فإن عُرِف الداء نظر أحسن الأدوية النافعة وأعطاها المريض، فعاد بإذن الله صحيحًا معافى، فكذلك من وقع في الخطأ أو المعصية في نظر الناصح فإنه لا بد من التيقن من وقوع الخطأ قبل البدء في النصيحة، على أن يلتمس للمخطئ العلل والأسباب والمعاذير في وقوع ذلك منه، إذ لا يسلم أحد من الوقوع في الخطأ أو المعصية، وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[٤].

«[و] ليس الحديث تسليةَ المنهمكين في الذنوب كما يتوهمه أهل

---

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية (ص٢٥٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٢) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٣) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٤/ ٢١٠٦ رقم ٢٧٤٩)] من حديث أبي هريرة.

الغِرَّة[١] بالله فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب، بل بيان لعفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين ليرغبوا في التوبة»[٢].

فوجود العيوب والأخطاء أمر مفروغ من وجوده في بني آدم، ولكن يبقى معرفة صحة وقوعه وكيفية علاجه.

الثاني : قيام الحجة في كونه داءً.

فإن بعض الوعَّاظ والناصحين يتعجلون في نقد غيرهم بمجرد صدور ما ظاهره الخطأ دون تأمل في صحة كونه خطأً، أو دون النظر في قيام الحجة الشرعية في ذلك، فتجد نقد بعضهم في غير موضعه، إما لكونه ليس خطأً شرعًا، أو لكون المتكلم به أو العامل له متأولًا تأولًا صحيحًا، أو أن له مسوغًا شرعيًا أو كون ما تكلم به أو عمل به من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، فينقد غيره أو يناصحه في أمرٍ فيه سعة، ولا يعني هذا ترك النصيحة في الأمور المترجحة عند الناقد البصير، بل يجب النصح في ما يعتقد الناصح أنه يقربه إلى الله، ولكن بعلم وإلا سكت بحلم، **لذا يجب على الناصح** : أن يعلم الحجة الشرعية في أنَّ ما صدر ـ ممن يحتاج إلى نصح ـ خطأٌ ينافي الشرع المطهر بدليل أنه خالف أدلة الشرع، ثم إذا كان التعلق بمسألة علميةٍ لم يحوِ أصلها وفرعها لزمه تحرير المسألة قبل النقد أو النصيحة، مع النظر في ما يعاب فيه المخالف وما لا يعاب فيه مما لا يسع المقام بسطه.

وحاصل ذلك : أنه يلزم الناصح عرض ما ظاهره الخطأ على **الكتاب السنة** ففيهما الدواء النافع لكل داء، وبهما يُعرف الحق من الباطل والصواب من الخطأ فإن لم يجد نصًا واضحًا في المسألة فليفتش في آثار

---

(١) أهل الغفلة.

(٢) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٧/ ١٩٣)، مصدر سابق.

الصحابة أو ليسأل أهل العلم فإن الله ﷻ قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النّحل: ٤٣] وفي الحديث «**فإنما شفاء العِي**[١] **السؤال**»[٢].

التوجيه الثاني: ما يجب عند النصيحة:

إذا عرف الناصح الداء المراد إزالته من المتشبث به وقامت الحجة العلمية في كونه داءً يخالف الشريعة، لزم البدء بالنصيحة لكن يجب « **على الداعية عند النصح أن يحسن إلى المنصوح، فيتلطف في بذلها غاية التلطف، ويحتمل أذى المنصوح ولئامته، ويعامله معاملة الطبيب المشفق على المريض المشبع مرضًا، وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فذا شأن الناصح**[٣].

وهذا يعني أن الناصح حال نصحه يحتاج إلى عدة أمور:

الأول: حسن الطرح مع حسن الظن.

بحيث يختلي المسلم بأخيه ويحسن أسلوب الطرح وينبهه على العيب أو يرشده بما هو أولى وأجدر به شرعًا بأسلوب مقبول سائغ التداول، حتى يتم المقصود الذي لأجله قام دافع النصح، **فيحتال «على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة»**[٤] بالحجة والبرهان، ولا يباشره بخطئه بقوله: لقد أخطأت أو زلت قدمك في كذا وكذا، أو وقعت في باطل أو معصية أو يا عاصي، أو يا فاسق، أو يا ضال ونحوها من الألفاظ الخشنة، ولكن يطرح ذلك بذكر ما في المنصوح من وجوه الخير، أو يبدأ النصح بذكر ما كان عليه السلف من الخير والتناصح ونحو ذلك بحيث

(١) العِي: بكسر العين الجهل، والمعنى أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم [انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود (١/ ٣٦٧)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، (١/ ٩٣ رقم ٣٣٦)] من حديث جابر.

(٣) كتاب الروح لابن القيم (ص٢٥٧)، مصدر سابق.

(٤) جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي (ص١٣)، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى.

يجعل مقدمةً للنصح حتى لا يفاجئ المنصوح بعيبه وزلته فيقع في ما لا يحمد عقباه من ردة الفعل، فإن كان خطيبًا أو واعظًا فله أن ينصح دون أن يعين فيقول مثلًا «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ، أو يقولون كذا وكذا**» كما فعل النبي ﷺ[١] ويطرح المسألة طرحًا علميًّا مبنيًّا على أدلة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فإذا كان الناصح من أصحاب الولاية أو القَدْر العلي فله أن يُعيِّن في المواضع التي يغلب فيها الظن المصلحة الراجحة فيذكر الأسماء بجرح مباشر ليردع المخطئ ويعيده إلى صوابه بحسب معرفته بحال المنصوح ونفسيته ونحوها من المسوِّغات.

ومن ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل[٢] «**يا معاذ أفتان أنت**»[٣].

(١) ومن ذلك قوله ﷺ: «ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة مرة»، وقوله: «ما بال أقوم يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، ووعظ الناس بعد صلاة عشاء فقال: «أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا، فيقول هذا من عملكم وهذا أُهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يُهدى له أم لا؟»، و«رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس، فقال: ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه»، وقوله: «ما بال رجال يواصلون إنكم لستم مثلي، أما والله لو تماد لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تَعمقَهم»، وقوله: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ومرة «قام النبي ﷺ من العشي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فما بال أقوام إذا غزونا يتخلف أحدهم عنا له نبيب كنبيب التيس»، و«صنع رسول الله ﷺ أمرًا فترخص فيه فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك فقام خطيبًا فقال: «ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية» وهذه الروايات كلها في الصحيحين أو أحدهما، وهناك أخرى كثيرة تدل على حسن الآداء في النصح دون تسمية المخطئ إلاَّ مواضع قليلة لمصلحة راجحة كما سيأتي قريبًا.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي،المقدم في علم الحلال والحرام، كان من أجمل الرجال، شهد المشاهد كلها، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه ابن عباس وابن عمر وغيرهما، بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، وقدم منها في خلافة أبي بكر، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر،وعاش أربعًا وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك [أسد الغابة لابن الأثير(٥/ ٢٠٤)، مصدر سابق] وكذا [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/ ١٣٦)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجماعة والإمامة،باب من شكا إمامه إذا طول =

وقوله لأبي ذر «**إنك امرأ فيك جاهلية**»[(١)].

لذا ينبغي للناصح أن ينوِّع في الطرح العلمي مع النقد حسب المصلحة والمفسدة بحيث لا يُغَلِّبُ جانبًا على جانب، فإذا أظهر المنصوح التجاوب فاحمد الله واحمله على الظاهر وأحسن الظن به، ولا تقل: لعله خجل مني أو استحى، أو تظاهر لي بخلاف باطنه، فهذه ظنون لا يجوز للناصح أن يُغَلِّبها فقد تكون وساوس شيطانية، وعليه أن يحمل المنصوح على أحسن المحامل، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «**من أظهر لنا خيرًا أجبناه وواليناه عليه، وإن كانت سريرته بخلاف ذلك**، ومن أظهر لنا شرًا أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة»[(٢)].

= (١/٢٤٩ رقم ٦٧٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (١/ ٣٣٩ رقم ٤٦٥)] كلاهما من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري [واللفظ للبخاري] قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يصلي فترك ناضحه، وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذًا، فقال النبي ﷺ: يا معاذ أفتان أنت؟أو(فاتن) ثلاث مرات، فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة».

(١) أي خصلة جاهلية مع أن منزلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخَّه بذلك على عظيم منزلته عنده تحذيرًا له عن معاودة مثل ذلك، لأنه وإن كان معذورًا بوجه من وجوه العذر، لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه» [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٨٥)، مصدر سابق]، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإيمان،باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلَّا بالشرك (١/ ٢٠ رقم ٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (٣/ ١٢٨٢ رقم ١٦٦١)] كلاهما من حديث المعرور ابن سويد قال: «لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك؟ فقال: إني ساببت رجلًا فعيَّرتُه بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟! إنك امرؤٌ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

(٢) حكاه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (١/ ١٤٠)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

الثاني: التلطف في النصح.

وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النّحل: ١٢٥].

وفي الحديث: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلاَّ شانه**»(١)، وقال ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»(٢)، وقال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه**»(٣)، وقد قيل: «العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيِّمه، **والرفق والده**، واللين أخوه، والصبر أمير جنوده»(٤).

فعلى الناصح أن يتفطن لمثل هذا المقام، فبه أدَّبَ الله نبيه موسى وهارون عليهما السلام لما أرسلهما إلى فرعون، فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، رغم علم الله الأزلي أن فرعون لن يفيده نصح الناصحين ولا وعظ الواعظين، ولكن لمَّا كان المقام تربويًا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٤ رقم ٢٥٩٤)] من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإستئذان،باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام (٥/ ٢٣٠٨ رقم ٥٩٠١)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/ ١٧٠٦ رقم ٢١٦٥)] كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، ففهمتها، فقلت عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: فقد قلت وعليكم».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣ رقم ٢٥٩٣)] من حديث عائشة.

(٤) بنحوه في: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ لمحمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي (٣/ ١٨٦)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

أوجب الله على نفسه إرشاد عباده إلى مقوِّمات النصح، ومن ذلك التلطف حال النصيحة.

الثالث : الصبر على الأذى.

وهو أرفع المقامات التي يجب على الدعاة فعله، وبه يتبين قوة إيمان الداعية من ضعفه لأنه صبر على أذى الغير وعفا عن لئامته وأذاه وظلمه بقصد هدايته، إذ هو مقام الأنبياء والمرسلين الذين ظُلِمُوا و«ابتلوا به من دعوة الناس ومعالجتهم وتغيير ما كانوا عليه من العادات»[(١)]، ولا شك أن «العفو عن الظلم أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام قال تعالى : ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤].

وقال تعالى : ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشّورىٰ: ٤٠].

وقال تعالى :﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٩] .

وقال تعالى :﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النّحل: ١٢٦][(٢)].

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الصبر على الأذى، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟، قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٢/ ٤٣٦)، تحقيق محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (٢/ ٤٣٥)، مصدر سابق، والآية رقم (١٢٦) من سورة النحل.



أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثعالب[(١)] فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئتَ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[(٢)]؟ فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[(٣)].

مسائل ذات أهمية:

هناك مسائل يجدر بالأمة الإسلامية وأبنائها أن يتعرفوا عليها وذلك لأهميتها في هذا الباب:

الأولى: أن نصيحة السر أزين وأوقع، ونصيحة الجهر أهتك وأعير.

وقد «**كان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه ويحبون أن يكون سرًا فيما بين الآمر والمأمور، فإن هذا من علامات النصح، فإن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها**»[(٤)].

---

(١) قرن الثعالب: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير. [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٢/ ١٥٥)، مصدر سابق].

(٢) هما بفتح الهمزة وبالخاء والشين المعجمتين، وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.[انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٢/ ١٥٥)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (٣/ ١١٨٠ رقم ٣٠٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٤٢٠ رقم ١٧٩٥)].

(٤) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب الحنبلي (ص٢٨)، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان - مكتبة المؤيد،الطبعة الأولى،دمشق - بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظ أخاه علانيةً فقد فضحه وشانه**»[(١)].

وأنشد يومًا فقال:

تَعَمَّدني بِنُصحكَ في انفرادٍ	وجَنبني النصيحةَ في الجماعةْ
فإنَّ النصحَ بين الناسِ نوعٌ	من التوبيخِ لا أرضى استماعهْ
فإنْ خَالفتني وعصيتَ قولي	فلا تَجزعْ إذا لم تُعطَ طَاعةْ

وفي لفظ: «فعصيت أمري»[(٢)].

قال بعضهم: «مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وَبَّخَه»[(٣)]، وقال الفضيل بن عياض[(٤)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعيِّر ويفشي»[(٥)]، وسئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال: «إن كنت فاعلًا ولا بد ففيما بينك وبينه»[(٦)]، لأن النفوس مجبولة على الصفاء ولا

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٨٢)، مصدر سابق.

(٢) مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش [باب النون، النصح والوصية (٥)]، دار الرشيد للطباعة والنشر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي، ص (٤/ ٢٧٣)، مصدر سابق، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٩/ ١٤٠) دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ. وروي بنحوه عن أم الدرداء كما رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١١٢)، وعن عمر بن عبد العزيز كما في كتاب القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (ص٦٤)، تحقيق: ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

(٤) الفضيل بن عياض الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي، شيخ الحرم، حدث عن منصور بن المعتمر وبيان بن بشر وغيرهما، روى عنه ابن المبارك ويحيى القطان والشافعي وغيرهم، وكان إمامًا ربانيًا صمدانيًا قانتًا ثقةً كبيرَ الشأن، حتى قال ابن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض أفضل من الفضيل، توفي الفضيل يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة للهجرة [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٤٥)، مصدر سابق].

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ٩٥)، مصدر سابق.

(٦) العلوم والحكم لابن رجب (ص٨٣)، مصدر سابق.

ترغب العيب والنقائص وخصوصًا أن يُشْهِرَها الناس على الملأ بقصد النصيحة لأنها صارت في حق المنصوح حينئذٍ فضيحةً مشهورةً يتناقلها القاصي والداني، وقد «قيل لمسعر[١] أتحب من يخبرك بعيوبك، فقال: «إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم، وإن قَرَعَني بين الملأ فلا»[٢]، «وقد صدق فإن النصح على الملأ فضيحة، والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره، فيوقفه على ذنوبه سرًا، وقد يدفع كتاب عمله مختومًا إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختومًا ليقرأه، وأما أهل المقت فينادون على رؤوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيًا وافتضاحًا[٣]، وقد أحسن من قال:

لا تَلْتَمِسْ مِنْ مساويْ الناسِ مُسْتَتِرًا ... فيكشفِ اللهُ سِتْرًا عن مساويكا
واذكرْ محاسنَ ما فيهم إذا ذُكِرُوا ... ولا تَعِبْ أحدًا منهمْ بما فيكا

المسألة الثانية: ليس من النصيحة أن يتولى الناشئة التشهير بمثالب وزلات أئمة الملة الحنيفية السمحة بحجة أن كبار العلماء وقعوا فيما يخالف الشرع، ولا غرابة لو قلنا إن أمثال هؤلاء الناشئة يغلب عليهم الجهل أو الترفع أو حب الظهور أو أنهم أداة مسيرة بأيادي خفية أو أنهم لم يرتضوا طريقة علماء أهل السنة والأثر لضعف إيمانهم وقلة بصائرهم أو لكونهم ارتضوا فكرةً استأنست بها نفوسهم وشغفت بها

---

(١) مسعر بن كُدام الهلالي العامري الرواسي أبو سلمة الكوفي أحد الأعلام، مات سنة ٥٣هـ، روى عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة وعطاء وغيرهما، روى عنه سليمان التيمي وابن إسحاق وشعبة والثوري وغيرهم، وفيه يقول ابن المبارك: «من كان ملتمسًا جليسًا صالحًا فليأتِ حلقة مسعر بن كُدامٍ» [تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ١٠٢)، مصدر سابق].

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٨٢)، مصدر سابق.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٨٢)، مصدر سابق.

قلوبهم فاعتقدوا صحتها لكونها صادفت ذهنًا خاليًا وقلبًا صافيًا فَعَلِقَتْ به حتى حملهم واقعهم على رد ما خالف هواهم كما قال القديم:

عرفتُ هواها قُبلَ أنْ أَعرفَ الهوى فصادفَ قَلْبًا خاليًا فَتَمَكَّنا

ومتى استحكم صغار القوم بألفاظهم القبيحة على كبارهم من أهل العلم والفضل وسعوا في تضليلهم وتحذير الناس منهم، ظهرت المفاسد وعمت البلوى التي يجمهر شررها في أوساط أبناء الأمة الإسلامية وحينها يُطعنُ في الشهود أئمة الدين ليكون سُبْلَةً للطعن في الدين، وهذه طريقة المبتدعة وأهل الأهواء لتتأخر الأمة الإسلامية ردحًا من الزمن عن تحقيق وحدة صفها ونصرة دينها الإسلامي الحنيف ولإبعاد المسلمين عن علمائهم حفظة الشريعة.

والأصل: متى تبين للأمة الإسلامية الرجل العالم العامل الذي ينصر مذهب السلف ويَذُبُ عنه ويحارب أهل البدع والأهواء لزم عامة الناس ألا ينتقصوه لزلةٍ زلها أو غلطٍ وقع فيه أو قولٍ تأوَّله طالما ظاهره الحق والمدافعة عنه.

قال الخطيب البغدادي[1]: «**ليس من شريفٍ، ولا عالم، ولا ذي فضل غير الأنبياء إلاَّ وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغيً أن تذكر عيوبه فمتى كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله**»[2].

ويستثنى من ذلك أننا لا نوافق من وقع في زلةٍ أو خطأ أو بدعة مهما بلغ علمه حتى وإن كان من أجل علمائنا إلَّا أننا نناصحه بالحسنى على علم

(١) محدث الشام والعراق أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، ولد سنة ٣٩٢هـ، رحل في طلب العلم إلى الأقاليم، وبرع، وصنَّف، وجمع وسارت بتصانيفه الركبان، وتقدم في عامة فنون الحديث، قال ابن ماكولا: «كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفةً [انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٥)، مصدر سابق].

(٢) الكفاية في علم الرواية، لأحمد بن علي الخطيب (ص٧٩)، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة.

وبصيرة، ملتزمين الأدب، معترفين بالتقصير أمام من علا فضله وشرف قدره.

قال الإمام الذهبي[١] رَحِمَهُ اللهُ : «إن الكبير من أئمة العلم، إذا كَثُرَ صوابُه وعُلِمَ تحريمه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرِف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زَلَـلُه ولا نُضلله ونطرحه وننسى محاسنه، **نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك**»[٢].

ولا نشهد لمخطئ منهم بنار، ونرجو لهم التوبة والغفران، ونحب أن يعودوا إلى الصواب وأن يُحَكِّمُوا الكتاب والسنة في عامة أمورهم.

المسألة الثالثة : استعمال اللين والشدة حسب المصلحة والمفسدة.

لأن المقام يستدعي التوسط «بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف»[٣].

والمسألة اجتهادية بحسب المصلحة والمفسدة لمن يعرف ضوابط مثل هذا المقام، لأن «الدعوة إلى الله تكون بطريقين : طريق لين، وطريق

---

(١) مؤرخ الشام ومحدثه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الفارقي الأصل الدمشقي المعروف بالذهبي الشافعي صاحب كتاب تاريخ الإسلام، وسِير أعلام النبلاء والميزان وغير ذلك، ولد سنة ٦٧٣هـ، وسمع الحديث في سنة ٦٩٢هـ وهلم جرًا، فحدث عن عمر بن القواس والشرف بن عساكر وغيرهما، وشيوخه في معجمه الكبير نحو ألف وثلاثمائة بالسماع والإجازة، توفي سنة ٧٤٨هـ [انظر كتاب من ذيول العبر لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ص٢٦٨)، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت].

(٢) سِير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٧١)، تحقيق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، ، بيروت، الطبعة التاسعة.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٨٦)، مصدر سابق.

قسوة، أما طريق اللين فهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه»[١]، وهذه هي الطريق الأصل مع المؤمنين والكافرين، وقد تتعين الشدة مع عصاة المسلمين حسب حاجتها بقدر رفع الضرر، وهي للسلطان ومن كان له ولاية غالبًا كما تقدم وهذا مع أهل الإسلام، لكن قد تتعين الشدة مع الكافرين «بالسيف حتى يعبد الله وحده، وتقام حدوده، وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه»[٢].

والذي يهمنا في هذا المضمار هو بيان كيفية استعمال اللين والشدة حسب المصلحة والمفسدة بين أهل الإيمان، وهذا يتضح تمام الإتضاح من فعل النبي ﷺ وقوله وفعل السلف وأقوالهم، **وإليك بعض النماذج الحية** :

الأول : عن أبي هريرة قال : دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس، فصلى فلما فرغ قال: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا»، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «لقد تحجرت[٣] واسعًا»، فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي ﷺ «أهريقوا عليه سجلًا من ماء أو دلوًا من ماء، ثم قال : **إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»[٤].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (١/ ٤٦٤)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ، نقلًا من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخالد السبت (٢٤٧.٢٤٦)، مطابع أضواء المنتدى، غير مؤرخة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال الخطابي: أصل الحجر المنع، ومنه الحجر على السفيه وهو منعه من التصرف في ماله وقبض يده عنه، يقول له: لقد ضيقت من رحمة الله تعالى ما وسعه ومنعت منها ما أباحه [عون المعبود شرح سنن أبي داود للطيب آبادي (٢/ ٢٩) مصدر سابق].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [أبواب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض(١/ ٢٧٥ رقم ١٤٧)]، وسكت عنه، وأصله في الصحيح.

وجاء الحديث من رواية أنس[١] بلفظ: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه[٢]، فقال رسول الله ﷺ: لا تزرموه[٣]، دعوه فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن ـ أو كما قال رسول الله ﷺ ـ قال فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه[٤]»[٥].

الثاني: ما جاء عن السلف ومنه قول سفيان[٦] لأصحابه: تدرون ما الرفق؟

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري البصري خادم رسول الله ﷺ يكنى أبا حمزة، أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية، ويقال إن أنس بن مالك قدم من صلبه من ولده وولد ولده نحو من مائة قبل موته،وذلك أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم ارزقه مالًا وولدًا وبارك له»، مات ﵁ سنة **٩٣**هـ وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين، وقيل كانت سنه حينها مات مائة سنة وعشر سنين [الإستيعاب لابن عبد البر (١/ ١٠٩)، مصدر سابق].

(٢) بمعنى اكفف عن هذا الفعل.

(٣) لا تقطعوا عليه بوله.

(٤) أي صبه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٥/ **٢٢٤٢** رقم **٥٦٧٩**)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة ' باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذ حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها (١/ ٢٣٦ رقم ٢٨٥)].

(٦) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي سكن مكة، روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق السبيعي وغيرهما، وعنه الأعمش وابن جريج وشعبة والثوري وغيرهم، ولد سنة ١٠٧هـ، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، مات يوم السبت أول يوم من رجب سنة **١٩٨**هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ١٠٤ وما بعدها)، مصدر سابق] وقد عزا هذا القول بعض النساخ في بعض النسخ من فيض القدير إلى سفيان الثوري، وهذا خطأ من الناسخ فذاك كنيته أبو عبد الله، والصحيح ما أثبتناه.

قالوا : قل يا أبا محمد، قال : أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»[(١)].

وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

ووضــعُ الــنَّــدى فــي مــوضــعِ الــســيــفِ بــالــعُــلا
مــضــرٌ كــوضــعِ الــســيــفِ فــي مــوضــعِ الــنــدى

فالمحمود وسط بين العنف واللين[(٢)].

وهذا باب مهم غفل عنه أكثر الإخوان إلَّا من رحم الله.

توجيهات ونصائح نبوية :

المتأمل في سنة النبي ﷺ يجد نماذج كثيرة من التوجيهات والنصائح لصحابته وأمته من بعده ﷺ، ومن ذلك ما يأتي :

(١) حديث جابر قال: «أعتق رجل من بني عذرة عبدًا له عن دبر فبلغ ذلك رسول ﷺ، فقال ألك مال غيره؟، فقال: لا، فقال من يشتريه مني؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي[(٣)] بثمانمائة درهم، فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه، ثم قال: **ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك**، فإن فضل عن أهلك شيء فلذى قرابتك، فإن فضل عن ذى

(١) فيض القدير شرح الجامع الكبير للمناوي (٤/ ٥٦)، مصدر سابق.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٨٦)، مصدر سابق.
(٣) نعيم بن عبد الله بن أسيد العدوي المعروف بالنحام، قيل له ذلك لأن النبي ﷺ قال له: «دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم»، قيل: كان إسلامه قبل عمر، ولكنه لم يهاجر إلَّا قبيل فتح مكة، وذلك لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم، قال ابن البرقي: «يقول بعض أهل النسب: إنه قتل يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ» [الإصابة لابن حجر (٤٥٨/٦)، مصدر سابق].

قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»[١].

(٢) حديث أبي هريرة قال: «كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: أنظرت إليها؟، قال لا، قال: **فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا**»[٢].

ونحوهما من النماذج التي حرص النبي ﷺ من خلالها النصح لأمته.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة (٢/ ٦٩٢ رقم ٩٩٧)].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب النكاح٠، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها (٢/ ١٠٤٠ رقم ١٤٢٤)].

المبحث الثاني

حســـن الظـــن

ينقسم حسن الظن إلى قسمين:

الأول: حسن الظن بالله.

قال العلماء: «معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه»(١)، و«قيل معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو وهو أصح»(٢).

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي**، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(٣).

ومنه حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلَّا **وهو يحسن الظن بالله** ﷻ»(٤).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٧/ ٢١٠)، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق (١٧/ ٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التوحيد، وقوله جل ذكره «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك» (٦/ ٢٦٩٤ رقم ٦٩٧٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/ ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥)] كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٤/ ٢٢٠٥رقم ٢٨٧٧)].

«أي لا يموت أحدكم في حالٍ من الأحوال إلَّا في هذه الحالة، وهي حسن الظن بالله بأن يغفر له، فالنهي وإن كان في الظاهر عن الـمـوت، لكن في الحقيقة عن حالة ينقطع عندها الرجاء لسوء العمل كيلا يصادفه الموت عليها »[(١)].

قال المعتمر[(٢)] : «قال أبي حين حضرته الوفاة : يا معتمر حدثني بالرخص لعلّي ألقى الله **وأنا حسن الظن به**»[(٣)].

وقال إبراهيم النخعي[(٤)] : «كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته **لكي يحسن ظنه بربه**»[(٥)]

الثاني : حسن الظن بالخلق.

وهو محل بحثنا وذلك بحمل ما يظهر من الشخص على أحسن المحامل بحيث يطرح التهمة والشك وإن كانت محتملة، ويأتي بالظن الحسن، وفي مثل هذا المقام قال النبي ﷺ : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»[(٦)].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٨/ ٢٦٥)، مصدر سابق.

(٢) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري، قيل إنه كان يلقب بالطفيل، ولد سنة مائة، ومات سنة سبع وثمانين ومائة، روى عن أبيه وحميد الطويل وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهم، وعنه الثوري وهو أكبر منه وابن المبارك وهو من أقرانه وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم، إمام حافظ من رجال الكتب الستة [تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٢٠٤)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [باب في الرجاء من الله تعالى (٢/ ٧ رقم ١٠٠٨)].

(٤) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي الفقيه، روى عن علقمة ومسروق والأسود وطائفة،أخذ عنه حماد بن أبي سليمان الفقيه وسماك بن حرب والحكم بن عتيبة وخلق، وكان من العلماء ذوي الإخلاص، قال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم كما يُهاب الأمير، مات في آخر سنة خمس وتسعين كهلًا قبل الشيخوخة [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٧٣)، مصدر سابق].

(٥) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص٤٠)، تحقيق مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٦) تقدم تخريجه (ص١٤).

«أَراد الشكَّ يَعْرِضُ لك في الشيء فَتُحَقِقَهُ وتحكم به، وقيل أَراد إياكم وسوء الظَّن وتحقيقَه دون مبادئ الظُّنُون التي لا تُمْلَكُ وخواطر القلوب التي لا تُدْفع[1].

ولا زالت أمةُ الإسلام أمةَ الخير والصلاح ما حسُن ظَنُّ أبنائها بإخوانهم المسلمين، إذ حسن الظن طريقة الإسلام وشريعته التي دعا الخليقة للاعتصام بها والسير بسيرها لتكون رابطةً حيةً في المجتمعات الإسلامية.

ولا تعد المجتمعات نقيةً زكيةً خاليةً من الشوائب والمنغصات، وسوءُ الظن مُجَمْهِرٌ في نفوس الأبناء والآباء حتى يحسن ويرتفع شؤمه ودرنه، لأنه الداء العضال الذي حذر منه الشرع المطهر، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرَات: ١٢]، «أي لا تظنوا بأهل الخير سوءًا إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير»[2].

«فمَنْ يَحكم بشرٍ على غيره بالظن، بعثه الشيطان على أن يطوِّل فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه، وكل ذلك من المهلكات، ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم»[3].

فالواجب على المسلم إحسان الظن بغيره حتى لا يقع في أعراضهم، وإساءة الظن بنفسه حتى لا يغتر بصالح عمله، ولذا يجب أن «يرى نفسه دون إخوانه، ويحسن الظن بهم، ويسيء الظن بنفسه، فإذا رآهم خيرًا من

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٧٢)، مصدر سابق.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (١٦/ ٣٣١)، مصدر سابق.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ١٢٢)، مصدر سابق.

نفسه فعند ذلك يكون هو خيرًا منهم»(١).

قال أبو معاوية الأسود(٢) : «إخواني كلهم خير مني، قيل : وكيف ذلك؟، قال: كلهم يرى لي الفضل عليه، ومَنْ فَضَّلنى على نفسه فهو خير مني»(٣).

وقال الخليل بن أحمد(٤): «**أربع تُعرف بهن الأخوة : الصفح قبل الانتقاد له، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، وبذل الود قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العيب**»(٥).

وقيل «**أخوك الذي يعطيك قبل سؤاله ويصفح عند الذنب قبل التعتب، ويقدم حُسْنَ الظن قبل اتهامه ويقبل عذر المرء عند جهالته**»(٦).

ومما لا يخفى أن حسن الظن طاعة، والطاعة دليل على حسن العمل، فصلاح العمل بحسن الظن بالله ثم الخلق، وفساده بسوء الظن، ومن هنا كان التفاوت في الأعمال بين المؤمنين والمنافقين.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٩٠)، مصدر سابق.

(٢) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٧١) ولم يذكر له ترجمة وافية سوى أقوال وحوادث له تدل على صلاحه وزهده، ومن ذلك ما نقلناه عنه أعلاه، ولم أقف له على ترجمةٍ في مصادر أخرى.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ٢٧٢)، مصدر سابق.

(٤) القاضي الشاعر الورع أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل السجزي، حدث عن ابن صاعد ومحمد بن حمدان بن خالد وغيرهما جليل مكثر، روى عنه ابنه القاضي أبو سعد وأبو عمر النوقاني وعبد الرحمن الطبري الحافظ وغيرهم، سكن سجستان ثم انتقل إلى بلخ وسكنها وسمع الكبار في البلدان [تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٧/ ٣٤.٣١)،مصدر سابق] وكذا [الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى لابن ماكولا (٣/ ١٧٤) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ]، وهو غير الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العروض فهو متأخر وطبقة أبي سعيد متقدمة ومن تلاميذه محمد بن أبي الرجاء، وقد روى عنه ما سقناه من الأثر.

(٥) جزء ابن عمشليق لأحمد بن علي بن محمد الجعفري (ص٥٠)، تحقيق خالد ابن محمد بن علي الأنصاري، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٦) المصدر السابق (الموضع نفسه).

قال الحسن البصري: «إنَّ المؤمنَ أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإنَّ المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل»(١).

وقد عُدَّ سوء الظن بالخلق أشدَّ الكذب وأغلظه، كما أخبر بذلك الصادق المعصوم ﷺ محذرًا منه بقوله ﷺ كما تقدم: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»(٢).

ولما كان سوء الظن داء عضالًا، كان علاجه حسن الظن بالمجتمعات أفرادٍ وجماعات حتى يقوم فارض التهمة.

ولذا علَّم النبي ﷺ أصحابه إحسان الظن بالغير من خلال توجيهاته ونصائحه، والتماس الأعذار تلو الأعذار حتى لا يقعوا في أعراض غيرهم دون بينةٍ، رجمًا بالغيب وتعجلًا في إنزال الأحكام المختلفة التي تعم بها البلوى على الغير من غير تحرزٍ أو رويّةٍ، وعلى هذه الجادة جرى فعل السلف.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**لا تظن بكلمةٍ خَرَجَتْ مِنْ فِيِّ مسلمٍ شرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا**»(٣)، وكما قيل:

تأنَّ ولا تعجلْ بلومِكَ صاحبًا ... لعلَّ له عذرًا وأنت تلومُ

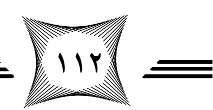
ولأهمية هذا المبحث فنقسمه إلى مطلبين مهمين:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، كلام الحسن البصري [(٧/ ١٨٧ رقم ٣٥١٩١)].

(٢) تقدم تخريجه (ص١٤).

(٣) مداراة الناس لابن أبي الدنيا (ص٥٠)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.



المطلب الأول
حسن الظن فيما ظهر من الأقوال

وردت جملةٌ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية في حسن الظن فيما ظهر من المتكلم وذلك بحمل كلامه على أحسن محامله، وأنه ما قصد إلَّا خيرًا، وعدم تصديق ما قيل فيه حتى يُتثبت من كلام الناقل كما أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: ٦].

وكذا التثبت من صحة وقوع التهمة، وهذا ما نص عليه الشرع المطهر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ﴾ [النُّور: ١١] - إلى قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النُّور: ١٢].

والشاهد في الآيتين السابقتين: أن أهل الإيمان لما سمعوا ما قيل في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الفحش أحسنوا الظن بها وبمن اتهم معها، وهذا واضح جلي في قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النُّور: ١٢].

قال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: «وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القول الذي رُمي به عائشة من الفاحشة كذب وإثم يبين لِمَن عَقِلَ وفَكَّر فيه أنه كذب وإثم وبهتان»[1].

بل لقد أحسن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظن بزوجته عائشة وصحابته، لما قيل له فلان تكلم في عرض عائشة، «فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يومه فاستعذر من

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٨/٩٦)، مصدر سابق.

عبد الله بن أُبي[(١)] وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل[(٢)] قد بلغني عنه أذاه في أهلي، **والله ما علمت على أهلي إلاَّ خيرًا**، ولقد ذكروا رجلًا[(٣)] ما علمت عليه إلَّا خيرًا، وما يدخل على أهلي إلَّا معي»[(٤)].

وجاء في حادثة الإفك أيضًا: أن النبي ﷺ استشار «أسامة بن زيد حين استلبث[(٥)] الوحي ... في فراق أهله (يعني عائشة) فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: **أَهْلَكَ ولا نعلم إلاَّ خيرًا**»[(٦)].

وقالت عائشة: «وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش[(٧)] عن أمري، فقال لزينب: ماذا علمتِ أو رأيتِ؟

---

(١) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وكانت سلول امرأة من خزاعة، وهو رأس المنافقين، كان يظهر الإيمان، ويبطن الكفر، وقد تولى كبر حادثة الإفك حتى فضحه القرآن وأظهر براءة عائشة من ذلك، وكان يظاهر اليهود على رسول الله وصحابته، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤]، فمات كافرًا عليه لعنة الله بشهادة القرآن الكريم [ترجم له الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة عند ترجمة ولده الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله (٤/ ١٥٥)].

(٢) يعني عبد الله بن أبي بن سلول.

(٣) يعني: صفون بن المعطل السلمي الذي اتهمه ابن سلول بالفاحشة ظلمًا وعدوانًا وهو منها بريئ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (٢/ ٩٤٢ رقم ٢٥١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٤/ ٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠)] كلاهما من حديث عائشة.

(٥) أي أبطأ.

(٦) هو الحديث المتقدم من الصفحة السابقة.

(٧) زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ أخت عبد الله بن جحش، وهي أسدية من أسد بني

فقالت : يا رسول الله **أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلاَّ خيرًا**»[(١)].

وروي أن أبا أيوب الأنصاري[(٢)] لما بلغه خبر الإفك، قال لزوجه : ألا ترين ما يُقال؟ فقالت له : لو كنتَ بدل صفوان[(٣)] أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءًا؟ قال : لا، قالت : «**ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خُنْتُ رسول الله فعائشة خير مني، وصفوان خير منك، قال: نعم**»[(٤)].

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ

= خزيمة وأمها بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ تزوجها ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله، ثم إن الله تعالى زوجها النبي ﷺ من السماء وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكانت زينب كثيرة الخير والصدقة، ولما دخلت على رسول الله ﷺ كان اسمها برة فسماها زينب، ماتت في زمن عمر وصلّى عليها عمر، قيل: هي أول امرأة صُنع لها النعش، ودفنت بالبقيع [أسد الغابة لابن الأثير (٧/١٣٨)، مصدر سابق].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المغازي، باب حديث الإفك (١٥١٧/٤ رقم ٣٩١٠)] عن عائشة.

(٢) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري أبو أيوب، معروف باسمه وكنيته، من كبار الصحابة، روى عن النبي ﷺ وعن أُبي بن كعب وجماعة، روى عنه البراء بن عازب وزيد بن خالد والمقدام بن معد يكرب وغيرهم، شهد العقبة وبدرًا وما بعدها ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده، وآخى بينه وبين مصعب بن عمير وشهد الفتوح وداوم الغزو، وكان مسكنه المدينة وحضر مع علي حرب الخوارج، مات ببلاد الروم غازيًا في خلافة معاوية سنة٥٢هـ [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/٢٣٤)، مصدر سابق].

(٣) صفوان بن المعطل بن ربيعة السلمي ثم الذكواني يكنى أبا عمرو، يقال: إنه أسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع وما بعدها، وقُتِل رضي الله عنه في غزوة أرمينية شهيدًا وأميرهم يومئذ عثمان بن أبي العاص سنة في خلافة عمر، وقيل: إنه مات بالجزيرة في ناحية شمشاط، ودفن هناك والله أعلم، وكان خَيِّرًا فاضلًا شجاعًا بطلًا، وهو الذي قال فيه أهل الإفك: ما قالوا مع عائشة فبرأهما الله مما قالوا [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٧٢٥)، مصدر سابق].

(٤) الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٢٢) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ولم أجد للأثر أصلًا يُعتمد عليه.

بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحُجرَات: ١٢]، «قيل: إنها: نزلت في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما وذلك [أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما، فضم سلمان إلى رجلين فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئًا، فجاءا فلم يجدا طعامًا وإدامًا، فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبي ﷺ طعامًا وإدامًا، فذهب، فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عندك فضل من طعام فليعطك ـ وكان أسامة خازن النبي ﷺ ـ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندي شيء فرجع إليهما فأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئًا، فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة[1] لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء، فرآهما النبي ﷺ فقال: ما لي أرى خَضِرَة اللحم في أفواهكما، فقالا: يا نبي الله، والله ما أكلنا في يومنا هذا لحمًا ولا غيره، فقال: «ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**» ذكره الثعلبي، أي لا تظنوا بأهل الخير سوءًا إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير»[2].

ومن شواهد ذلك أيضًا ما جاء في الصحيحين: «أن عَلِي بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بعثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اليمن بذهيبة[3] .. فقسمها بين أربعة نفر .. فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً، قال: فقام رجل غائرُ العينين[4] مُشْرِفُ[5] الوجنتين، ناشزُ الجبهة، كثُ

---

(١) بئر قديمة كثيرة الماء، كانت بالمدينة [انظر تاج العروس للزبيدي (٦/ ٤٨٦)، مصدر سابق].
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (١٦/ ٣٣١)، مصدر سابق، ولم أجد من أسند هذه الرواية بسند متصل سوى حكاية بعض المفسرين عن الثعالبي، وهو حاطب ليل في الحديث.
(٣) تصغير ذهبة.
(٤) عيناه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر الحدقة.
(٥) بارز.

اللحية محلوقُ الرأس، مشمِّرُ الإزار[(١)]، فقال: يا رسول الله اتق الله، قال: ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله، ثمَّ ولَّى الرجل، قال خالد بن الوليد[(٢)]: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، قال: **لا لعله أن يكون يصلي**، فقال خالد: وكم مِنْ مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»، ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ، فقال: إنه يخرج من ضِئْضِئ[(٣)] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[(٤)].

(١) إزاره مرفوع عن كعبه [هذا المعنى وما قبله من المعاني الثلاثة يُنظر لها في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٦٨)، مصدر سابق].

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أبو سليمان، وقيل أبو الوليد، سيف الله المسلول، وكان خالد على خيل رسول الله ﷺ يوم الحديبية وخيبر، وكانت هجرته مع عمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها». ولم يزل من حين أسلم يولِّيه رسول الله ﷺ أَعِنَّة الخيل فيكون في مقدمتها في محاربة العرب، وشهد فتح مكة فأبلى فيها، وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى وكان بيتًا عظيمًا لقريش وكنانة ومضر تبجله فهدمها، كما شهد المشاهد بعد أحد حتى توفي بحمص، وقيل بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين،والأول أصح [الأستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٤٢٧ وما بعدها)].، وفي رواية أن القائل: عمر بن الخطاب كما في رواية البخاري [(٣/ ١٣٢١ رقم ٣٤١٤)] وفيها قال أبو سعيد الخدري: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدلْ قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل، فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه..وذكر بقية الحديث]، قال الحافظ في الفتح (٦/ ٦١٨): «في هذه الرواية فقال عمر ائذن لي أضرب عنقه» لا ينافي قوله في تلك الرواية فقال خالد لاحتمال أن يكون كل منهما سأل في ذلك»أهـ.

(٣) بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة..[بمعنى النسل والعقب].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى آخره (٦/ ٢٧٠٢ رقم ٦٩٩٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤١ رقم ١٠٦٤)] كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري، وقوله «كما يمرق السهم من الرمية» أي يخرجون خروج السهم إذا نفذ من الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق به شيء منه، والرمية هي الصيد المرمي [كذا في شرح مسلم للسيوطي (٣/ ١٥٣)] وهو كناية عن بُعْدِهم عن الدين ومروقهم منه بتضليل الأمة وتكفيرها، والله أعلم.

مع أنه ﷺ أخبر عن الرجل أنه من الخوارج حيث ذكر من أوصافهم فقال: «**إنه يخرج من ضِئْضِئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**».

ولكن مع ذلك كله أراد أن يبني جيلًا خالٍ من الظنون السيئة والأدران المختلفة فقال لخالد: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»، وقال له: «**لعله أن يكون يصلي**» بمعنى وإن قال ذلك فأحسن الظن به.

وجاء في مراسيل الحسن البصري: «أن رسول الله ﷺ بعث خيلًا إلى فَدَك، فأغاروا عليهم، وكان مرداس الفدكي(١) قد خرج من الليل، وقال لأصحابه: إني لاحق بمحمدٍ وأصحابه فبصر به رجل فحمل عليه، فقال: إني مؤمن فقتله، فقال النبي ﷺ **هلا شققت عن قلبه**»(٢).

وعن أسامة بن زيد قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبَّحنا الحرقات من جهينة فأدركتُ رجلًا، فقال: لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ أقال «لا إله إلا الله وقتلته؟

قال: قلت يا رسول الله إنما **قالها خوفًا من السلاح.**

قال: **أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ**»(٣).

---

(١) مرداس بن عمرو الفدكي، وقال الكلبي: مرداس بن نهيك، قال أبو عمر: إنه فزاري نزل فيه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [أسد الغابة لابن الأثير (١٤٨/٥)، مصدر سابق]، وكذا [فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ١٩٥)، مصدر سابق]، وهو الرجل المذكور في رواية أسامة التالية على قول بعض أهل العلم.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٢/ ١٩٥)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (١/ ٩٦ رقم ٩٦)].

قال النووي[١]: «فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولى السرائر»[٢].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النِّسَاء: ٩٤].

قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله هذه الآية[٣].

وفي رواية أخرى: «بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأهوى عليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلًا شهد أن لا إله إلَّا الله؟ والله لأذكرنَّ ذلك للنبي ﷺ فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلًا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: ادعوا لي المقداد [ولما جاء، قال له] يا مقداد: أقتلت رجلًا يقول: لا إله إلَّا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله غدًا؟، قال: فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾ [النِّسَاء: ٩٤]، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجلًا

---

(١) يحيى بن شرف بن حسن محيي الدين أبو زكريا النووي الدمشقي، ولد بنوى، من قرى حوران سنة ٦٣١هـ، وقد حفظ القرآن ولزم المشايخ تصحيحًا وشرحًا، فكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئًا كثيرًا منها شرح مسلم، والروضة، والمنهاج، والرياض، والأذكار وغير ذلك، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم توفي ليلة أربع وعشرين من رجب سنة ٦٧٦هـ بنوى ودفن هناك [البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٧٨)، مصدر سابق].

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ (٤/ ١٦٧٧ رقم ٤٣١٥)].

مؤمنًا يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل»[١].

وهذا بمعنى ما سبق من قول عمر بن الخطاب: «**من أظهر لنا خيرًا أجبناه وواليناه عليه، وإن كانت سريرته بخلاف ذلك، ومن أظهر لنا شرًا أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة**»[٢] بمعنى نحمله على أحسن المحامل ونحسن الظن به في الظاهر حتى يتبين خلافه ولا نُصَدِّقُ فيه حتى نتبين وخصوصًا إذا كان المتكلم من أهل العلم والسنة وقد أجمل في كلامه، فإن الواجب حمل كلامه على أحسن محامله باعتبار أنه أراد المعنى المشروع فإن ذلك من حسن الظن.

قال أبو قلابة[٣]: «إذا بلغك عن أخيك شيء تجد عليه فيه فأطلب له العذر بجهدك، فإن أعياك فقل لعل عنده أمرًا لم يبلغه علمي»[٤].

وجاء من قول ابن سيرين[٥] أنه قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا فإن لم تجد له عذرًا فقل له عذر»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه مختصرًا [كتاب الديات، وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (٦/ ٢٥١٨ رقم ٦٤٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير واللفظ له (أحاديث عبد الله بن العباس، ١٢/ ٣٠ رقم ١٢٣٧٩)] كلاهما من حديث ابن عباس.

(٢) تقدم تخريجه (ص٩٥).

(٣) عبد الله بن زيد بن عمرو، ويقال عامر بن نابل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد أبو قلابة الجرمي البصري أحد الأعلام من رجال الكتب الستة، روى عن ثابت الضحاك الأنصاري وسمرة ابن جندب وأنس وغيرهم، وعنه أيوب وخالد الحذاء وأبو رجاء سلمان مولى أبي قلابة وغيرهم، قال ابن معين: أرادوه على القضاء فهرب إلى الشام فمات بها سنة ٦ ١٠ أو ١٠٧هـ [تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ١٩٧)، مصدر سابق].

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٢١)، مصدر سابق.

(٥) محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة البصري موطنًا، والأنصاري ولاءً، الإمام الحافظ من رجال الكتب الستة، ويُعَدُّ من جلة الفقهاء وسادة التابعين، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ، روى عن أنس، وزيد بن ثابت، وابن عباس وغيرهم، وروى عنه الشعبي، وثابت البناني وغيرهما.[الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٨)، مصدر سابق]، وكذا [تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ١٩٠، ١٩١)، مصدر سابق].

(٦) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٢٣)، مصدر سابق.

قال السبكي[(١)]: «إذا كان الرجلُ ثقةً مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يُحمل كلامه وألفاظ كتابته على غير ما تُعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن به وبأمثاله»[(٢)].

ومعنى ذلك «أنه يجب أن يُفسَّر كلام المتكلِّم بعضه ببعض، ويُؤْخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتُعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلّم به، وتُعرف المعاني التي عُرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عُرف عُرْفُه وعادتُه في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يُستعان به على معرفة مراده، وأما إذا استُعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه، وتُرِك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحُمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عُرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضًا، وترك حمله على ما يناسب سير كلامه، كان ذلك تحريفًا لكلامه عن موضعه، وتبديلًا لمقاصده، وكذبًا عليه، فهذا أصل من ضل في تأويل كلام الأنبياء على غير مرادهم»[(٣)]، «وهؤلاء قد يجدون من كلام بعض المشايخ، كلمات مشتبهة مجملة، فيحملونها على المعاني الفاسدة، كما فعلت النصارى فيما نُقِل لهم عن الأنبياء، فيَدَعون المحكم، ويتبعون المتشابه»[(٤)].

---

(١) عبد الوهاب بن علي الإمام العالم الفقيه المحدث النحوي الناظم، تاج الدين أبو نصر ابن العلامة قاضي القضاة السبكي، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٨هـ، سمع من المقدسي وطبقته بمصر ومن بنت الكمال وابن تمام ومن المزي، وأفتى ودرَّس ونظم الشعر وعمل الألغاز، وعمل مصنفًا صغيرًا في الطاعون وكتابًا في الأشباه والنظائر في مذهب الشافعي وشرح المنهاج في أصول الفقه للبيضاوي وغيرها من المصنفات، توفي سنة٧٧١هـ [الوافي في الوفيات للصفدي (ص٢٧٩٢)، مصدر سابق [كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى ابن عبد الله القسطنطيني الرومي (١/ ٣٩٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م].

(٢) قاعدة في الجرح والتعديل للحافظ تاج الدين السبكي (ص٩٣) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ببيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لابن تيمية (٤/ ٤٤)، تحقيق علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٣٧٤)، مصدر سابق.

فما سبق ونحوه يدعو أبناء الإسلام إلى حسن الظن في كل ما سمعوه أو قيل لهم عن إخوانهم المسلمين حتى يظهر خلافه سواء كان الكلام مجملًا أو مفصلًا، والإعتذار لموتاهم فيما قالوه بما عرفوا به من الخير بأحسن المقالات وأزكاها، وإذا اعتذر المتكلم في حال حياته عن مقالته فاقبل عذره فإن ذلك من حسن الظن، وكما قيل :

إذا اعتذرَ الجانيْ محا العُذْرُ ذَنْبَهُ وكلُّ امرئٍ لا يَقبلُ العذرَ مُذْنبُ

وقال آخر :

إذا ما امرؤٌ مِنْ ذنبهِ جاء تائبًا إليكْ فلم تَغْفِرْ لهُ فلكَ الذنبُ

❊ ❊ ❊

المطلب الثاني
حسن الظن فيما ظهر من الأفعال

وردت جملة من الأحاديث والآثار في حسن الظن **فيما ظهر من الأفعال**، وأن الفاعل يُحمل على أحسن المحامل لعل له عذرًا أو مسوغًا ونحوها من الالتماسات والأعذار.

ففي الصحيحين عن عَلِيّ بن الحسين ﵄: «أن صفية[1] زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعةً، ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها[2] حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة[3] مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما

---

(١) صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي حبيب من بني النضير، وهو من سبط لاوي بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام، كانت تحت سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق فقتل كنانة يوم خيبر فصارت صفية مع السبي فأخذها دحية ثم استعادها النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها كما في الصحيحين من حديث أنس، ماتت ﵂ سنة خمسين للهجرة [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧/ ٧٣٨ ـ ٧٤١)، مصدر سابق].

(٢) قوله « ثم قامت تنقلب» أي ترد إلى بيتها «فقام معها يقلبها» بفتح أوله وسكون القاف أي يردها إلى منزلها [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٤/ ٢٧٩)، مصدر سابق].

(٣) أم سلمة زوج النبي ﷺ [واسمها] هند بنت أبي أمية، كانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عمر وسلمة ودرة وزينب، يقال: إنها أول ظعينة دخلت المدينة شرَّفها الله تعظيمًا وتكريمًا مهاجرة، توفيت أم سلمة أول أيام يزيد بن معاوية، وقيل: إنها توفيت في شهر رمضان أول شوال سنة تسع وخمسين للهجرة، وصلّى عليها أبو هريرة، وقيل: صلى عليها سعيد بن زيد أحد العشرة [الاستيعاب بمعرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤/ ١٩٢٠)، مصدر سابق]، وكذا [أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٣١٢)، مصدر سابق].

النبي ﷺ : **على رسلكما**[١] **إنما هي صفية بنت حيي**»، فقالا : سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما.

فقال النبي ﷺ : إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا»[٢].

وفي هذا الحديث «بيان شفقته ﷺ على أمته وإرشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، قال ابن دقيق العيد : وهذا متأكد في حق العلماء ومن يُقتدى به فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلًا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص **لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم**»[٣].

وجاء الحديث عن أنس بلفظ : «أن النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر به رجل، فدعاه فجاء، فقال : **يا فلان هذه زوجتي فلانة، فقال : يا رسول الله مَنْ كنتُ أظنُّ به فلم أكنْ أظنُ بك ؟!**، فقال رسول الله ﷺ «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»[٤].

قال النووي بعد ذكر هاتين الروايتين : «الحديث فيه فوائد منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم وكان بالمؤمنين رحيمًا، فخاف ﷺ أن يُلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكا فان

---

(١) أي اتئدا ولا تعجلا، قال الحافظ: «لم أقف على تسميتهما في شيء من كتب الحديث إلَّا أن ابن العطار في شرح العمدة زعم أنهما أسيد بن حضير وعباد بن بشر ولم يذكر لذلك مستندًا» كذا في فتح الباري (٤/ ٢٧٩)، مصدر سابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الإعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد (٢/ ٧١٥ رقم ١٩٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب بيان أنه يُستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا له أن يقول هذه فلانة... (١٧١٢/٤ رقم ٢١٧٥)].

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٧٩)، مصدر سابق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به (٤/ ١٧١٢ رقم ٢١٧٤)].

ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع، والكبائر غير جائزة عليهم، وفيه أن من ظن شيئًا من نحو هذا بالنبي ﷺ كفر . **.وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء**، وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فإنه يجرى من الإنسان مجرى الدم فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره والله أعلم»[١].

وفي الصحيحين أيضًا عن كعب بن مالك[٢] يحدث حين تخلف عن تبوك، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلَّا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في بدر ولم يعاتب أحدًا تخلَّف في الحديث : «قال رسول الله ﷺ : ما فَعَلَ كعب ؟، فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه[٣]، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت، **والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلاَّ خيرًا**، فسكت رسول الله ﷺ»[٤].

وفي قول معاذ بن جبل بيانُ أن حسن الظن مطلوب ولذا أقره النبي ﷺ على هذا الظن الحسن بكعب ولم يعنِّف عليه قولَه للرجل الذي من بني سلمة : «بئس ما قلت» وفيه أن زيادة العلم يُحَصِّنُ المسلم من

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ١٥٦)، مصدر سابق.

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب أبو عبد الله الأنصاري السلمي، ويقال أبو بشير، شهد العقبة وبايع بها وتخلف عن بدر وشهد أحدًا وما بعدها وتخلف في تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، روى عن النبي ﷺ وأسيد بن حضير، روى عنه أولاده عبد الله وعبد الرحمن وعبيد الله ومعبد ومحمد وابن عباس وجابر وغيرهم، مات رضي الله عنه أيام قتل علي بن أبي طالب [الإصابة في تمييز الإصابة لابن حجر (٥/ ٦١٠)، مصدر سابق].

(٣) أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه، وبرداه مثنى برد، وهو الكساء وعطفيه بالجر : مثنى عطف وهو الجانب.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ (٤/ ١٦٠٣)، ومسلم في صحيحه [كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب ابن مالك وصاحبيه (٤/ ٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩)].

الوقوع في إخوانه المسلمين، وقد كان معاذ رضي الله عنه أعلم الصحابة بالحلال والحرام[١].

ومن ذلك حسن ظنه ﷺ واعتذاره لحاطب بن أبي بلتعة[٢] الذي «كتب إلى قريش كتابًا يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جعلًا على أن تُبلِّغه قريشًا»[٣].

فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فرد عليه بقوله «**إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٤]، وقد جاء أن النبي ﷺ سأل حاطبًا ليتبين هل له من عذر أو دافع يخرجه من مأزق ما ظاهره الموالاة للأعداء التي قد يظنها البعض، فقال له: «يا حاطب ما هذا؟ قال: **لا تعجل عليَّ يا رسول الله إني كنت امرأً ملصقًا في قريش ، وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ**

(١) أخرج الترمذي وغيره من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر. . .، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل..» وقال الترمذي: والحديث صحيح.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها مثناة ثم مهملة مفتوحات بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي رضي الله تعالى عنه، حليف بني أسد بن عبد العزى، وكان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها، فأسلم وشهد بدرًا، وبعثه رسول الله ﷺ بكتاب إلى المقوقس ملك الإسكندرية، مات حاطب رضي الله عنه في سنة ثلاثين في خلافة عثمان، وله خمس وستون سنة [الإصابة في تمييز الإصابة لابن حجر (٢/ ٤،٥)، مصدر سابق].

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٣/ ٣٩٨)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ الكويت، الطبعة: الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م..

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه[كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، وقول الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ (٣/ ١٠٩٥ رقم ٢٨٤٥) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٤/ ١٩٤١ رقم ٢٤٩٤) كلاهما من حديث علي.

فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام ، فقال النبي ﷺ : **لقد صدقكم**»[١].

ومن إحسان الظن ما رُوِيَ عن ابن عباس «أن هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النّحل: ١٠٦].

نزلت في عمار بن ياسر[٢] حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مُكرهًا وجاء مُعتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية»[٣].

وفي رواية «أن المشركين أخذوا عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : «**كيف تجد قلبك ؟**»، قال : مطمئنًا بالإيمان، قال النبي ﷺ : «**إن عادوا فعد**»[٤].

حيث نجد في هذه الرواية أن النبي ﷺ أحسن الظن بعمار لعلمه بأنه مكره وقلبه مطمئن بالإيمان بنحو ما عذره به الشرع فقبل عذره وحَمَلَه على ما عُرِف به من الإيمان.

وعلى هذا درج السلف الصالح بعد وفاة النبي ﷺ فعن جابر بن

---

(١) هو جزء من الحديث السابق.

(٢) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة المذحجي ثم العنسي أبو اليقظان، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام وهو حليف بني مخزوم. وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله ﷻ وهو وأبوه وأمه من السابقين، وأسلم عمار ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ، واستعمله عمر بن الخطاب على الكوفة، قتل يوم الجمل مع جيش علي سنة ٣٧هـ [أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٣٩ وما بعدها)، مصدر سابق].

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٨١/١٤)، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق (الموضع نفسه).

سمرة[١] أن أهل الكوفة شكوا سعدًا[٢] إلى عمر بن الخطاب فذكروا من صلاته فأرسل إليه عمر فَقَدِمَ عليه فذكر له ما عابوه من أمر الصلاة، فقال: «إني لأصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم[٣] عنها، إني لأركد[٤] بهم في الأُوليين، وأحذف[٥] في الأُخريين، فقال: **ذاك الظن بك أبا إسحاق**»[٦].

وأخرج الشيخان عن ابن عباس أنه قال: وُضِعَ عمر بن الخطاب على سريره فَتَكَنَّفَه[٧] الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أنْ يُرفع، وأنا فيهم، قال: فلم يرعني[٨] إلَّا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفتُ

(١) جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب بن حجير بن رياب بن حبيب ابن سواءة، وقيل جابر ابن سمرة بن جنادة بن جندب بن عمرو بن جندب بن حجير بن رياب السوائي، ومنهم من يسقط حبيبًا من نسبه فيقول جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب بن حجير بن رياب بن سواءة السوائي، صحابي جليل مشهور، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا خالد، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا في بني سواءة، وتوفي في إمرة بشر بن مروان عليها، وقيل توفي سنة ست وستين أيام المختار بن أبي عبيد [الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٢٢٤)، مصدر سابق].

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب القرشي الزهري يكنى أبا إسحاق، أسلم بعد ستة، وقيل بعد أربعة، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد العشرة سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها، وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمي بسهم في سبيل الله، توفي بالعقيق سنة ٥٥هـ، وهو آخر العشرة وفاةً [تقريب التهذيب لابن حجر (ص٢٣٢)، مصدر سابق، وكذا [أسد الغابة لابن الأثير (٢/ ٤٣٣ وما بعدها)، مصدر سابق].

(٣) ما أنقص.

(٤) أسكن وأمكث ومعناه أطول.

(٥) أقصر.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت (١/ ٢٦٢ رقم ٧٢٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر (١/ ٣٣٤ رقم ٤٥٣)].

(٧) أي أحاطوا به، كذا في فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٨)، مصدر سابق.

(٨) قال السيوطي في شرح مسلم (٥/ ٣٧٧) معناه: «لم يفجأني الأمر أو الحال إلَّا برجل»أهـ.

إليه، فإذا هو علي فترحم على عمر، وقال: «ما خلَّفت أحدًا أحب إلي **أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك**، وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، **فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما**»[(١)].

وهذا الظن الحسن من علي بن أبي طالب بعمر رضي الله عنه لِمَا عُرف به من الإخلاص والعمل الصالح، ولذا «يجب الاحتراز عن ظن السوء .. فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلَّا الشر فمهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس، طالبًا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو، **فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق**»[(٢)].

نماذج تطبيقية:

لا شك أن ما سبق يشمل نماذج مختلفة من الأمثلة التطبيقية لحسن الظن في العهود الزاهرة، وإليك أمثلةً أخرى لتمام الفائدة:

أولًا ـ أمثلة تطبيقية في حسن الظن بالله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر: «أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرَّق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣/ ١٣٤٨ رقم ٣٤٨٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٨ رقم ٢٣٨٩)].

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٣٦)، مصدر سابق.

أعرابي فقال: «إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثًا، ولم يعاقبه وجلس»(١).

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب أنه قال: «جاء أبو بكر(٢) رضي الله عنه إلى أَبِي في منزله فاشترى منه رحلًا.

فقال لعازب(٣): ابعث ابنك يحمله معي، قال: فحملته معه وخرج أبي ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله ﷺ قال: نعم أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد فَرُفِعَتْ لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس فنزلنا عنده، وسويت للنبي ﷺ مكانًا بيدي ينام عليه وبسطت فيه فروة، وقلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك.

فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براعٍ مقبل بغنمه إلى الصخرة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة (٣/ ١٠٦٥ رقم ٢٧٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس (٤/ ١٧٨٤ رقم ٨٤٣)]، (وقوله «القائلة» أي وسط النهار وشدة الحر، وقوله «كثير العِضاه»: كل شجر يعظم له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقًا، وقوله «تحت سمرة» أي شجرة كثيرة الورق، وقوله «صلتًا» بفتح المهملة وسكون اللام بعدها مثناة أي مجردًا عن غمده [انظر فتح الباري لابن حجر (٧/٤٢٧)، مصدر سابق].

(٢) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، وصحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات وكانت الراية معه يوم تبوك وحج في الناس في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع، واستقر خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله، وكانت وفاته يوم الاثنين سنة ١٣هـ، وهو ابن ثلاث وستين سنة [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/١٦٩)، مصدر سابق].

(٣) عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، والد البراء، قال ابن سعد: «قالوا: وكان عازب قد أسلم ولم يُسمع له بذكر في المغازي، وقد سمعنا بحديثه في الرَحْل الذي اشتراه منه أبو بكر حال الهجرة إلى المدينة» [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/ ٥٦٨)، مصدر سابق].

يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت: لمن أنت يا غلام، فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة، قلت: أفي غنمك لبن؟، قال: نعم، قلت: أفتحلب؟، قال: نعم فأخذ شاةً، فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقذى.

قال: فرأيت البراء يضرب إحدى يديه على الأخرى ينفض فحلب في قعب كثبة من لبن ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ فكرهت أن أوقظه فوافقته حين استيقظ، فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت اشرب يا رسول الله.

قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: ألم يأنِ الرحيل، قلت: بلى.

قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك(١)، فقلت أُتينا يا رسول الله، فقال: «**لا تحزن إن الله معنا**»، فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها ..

فقال: «إني أراكما قد دعوتما عليَّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا فجعل لا يلقى أحدًا إلَّا قال: كفيتكم ما هنا فلا يلقى أحدًا إلَّا رده، قال: «**ووفَّى لنا**»(٢).

---

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج المدلجي الكناني يكنى أبا سفيان كان ينزل قديدًا. يعد في أهل المدينة. ويقال: إنه سكن مكة، روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر، وروى عنه سعيد بن المسيب وابنه محمد بن سراقة، شاعر مجود، مات سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان، وقد قيل: إنه مات بعد عثمان [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٥٨١)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (٤/ ١٧١٢ رقم ٤٣٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٤ رقم ٢٣٨١)]، (وقوله «رحلًا» بفتح الراء وسكون المهملة هو للناقة كالسرج للفرس، وقوله «ينقد» يدفع، وقوله «فرفعت لنا صخرة» أي ظهرت، وقوله «وبسطت عليه فروة» هي معروفة ويحتمل أن يكون المراد شيء من الحشيش اليابس، وقوله «وأنا أنفض لك ما حولك» يعني من الغبار ونحو ذلك حتى لا يثيره عليه الريح،=

وفي حديث آخر «أن أبا بكر الصديق حدثه، قال: «نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: «يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[١].

ثانيًا - أمثلة تطبيقية في حسن الظن بالناس:

وقد سبق منها جملة من خلال بعض الأحاديث والآثار التي سبق ذكرها، ومن ذلك أيضًا ما أخرجه الشيخان أن «عتبان بن مالك الأنصاري[٢] رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ [قال] كنت أصلي لقومي ببني سالم، وكان يحول بيني وبينهم وادٍ إذا جاءت الأمطار فيشُقُّ عليَّ اجتيازه قبل مسجدهم فجئت رسول الله ﷺ فقلت له: إني أنكرت بصري وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق عليَّ اجتيازه فوددت أنك تأتي فتصلي من بيتي مكانًا أتخذه مصلى؟ فقال رسول الله ﷺ: سأفعل، فغدا عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه بعد ما اشتد النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك، فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي

= وقيل: معنى النفض هنا الحراسة، وقوله «لرجل من أهل المدينة» يعني من أهل مكة [والشك من أحد الرواة] والمراد بالمدينة مكة ولم يرد بالمدينة النبوية لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة، وإنما كان يقال لها يثرب، وأيضًا لم تجر العادة للرعاة أن يبعدوا في المراعي هذه المسافة البعيدة، قوله «كثبة» بضم الكاف وسكون المثلثة وفتح الموحدة أي قدر قدح، وقيل حلبة خفيفة، ويطلق على القليل من الماء واللبن وعلى الجرعة تبقى في الإناء وعلى القليل من الطعام والشراب وغيرهما من كل مجتمع، وقوله «فارتطمت» بالطاء المهملة أي غاصت قوائمها[انظر فتح الباري (٦/ ٦٢٤)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/١٣٢٣ رقم ٣٤١٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل (٤/٢٣٠٨ رقم ٢٠٠٩)] كلاهما من حديث أنس.

(٢) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي، بدري عند الجمهور، كان إمام قومه بني سالم، ذكر ابن سعد أن النبي ﷺ آخى بينه وبين عمر، مات في خلافة معاوية وقد كبر [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٤٣٢)، مصدر سابق].

فيه، فقام رسول الله ﷺ فكبر وصففنا وراءه، فصلى ركعتين، ثم سلم وسلمنا حين سلم، فحبسته على خزير يُصنع له، فسمع أهل الدار رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال في البيت، فقال رجل منهم: ما فعل مالك[١]؟ لا أراه، فقال رجل منهم: ذاك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: لا تقل ذاك ألا تراه قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، فقال: الله ورسوله أعلم، أما نحن فوالله لا نرى وده ولا حديثه إلَّا إلى المنافقين، قال رسول الله ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله[٢]».

والشاهد في الحديث: أن النبي ﷺ أحسن الظن بمالك بن الدخيشن وحمله على ظاهره لكونه قال: «لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» ولما أعاد عليه بعضهم قوله «أما نحن فوالله لا نرى وده ولا حديثه إلَّا إلى المنافقين، أجابه بقوله ﷺ: «**لا تقل ذاك ألا تراه قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** » ولكونه شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، ولا يصح عنه النفاق فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه»[٣].



(١) مالك بن الدخيشن بضم الدال المهملة وفتح الخاء المعجمة وسكون الياء التحتانية بعدها شين معجمة مكسورة ثم نون، وقيل أو ابن الدخشن بضم الدال والشين وسكون الخاء بينهما وحكى كسر أوله، ونقل الطبراني عن أحمد بن صالح إن الصواب الدخشم بالميم كذا في فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢١) وهو بدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [أبواب المساجد، باب المساجد في البيوت (١/ ١٦٤ رقم ٤١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (١/ ٤٥٤ رقم ٣٣)] كلاهما من حديث محمود بن الربيع الأنصاري، وقوله «على خزير» بالخاء المعجمة والزاي آخره راء، ويقال خزيرة بالهاء، قال ابن قتيبة: الخزيرة لحم يقطع صغارًا ثم يصب عليه ماء كثير، فإذا نضج در عليه دقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة، وقوله «فثاب رجال» بالمثلثة وآخره باء موحدة أي اجتمعوا من أهل الدار أي المحلة. [انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢١)].

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١/ ٢٤٣)، مصدر سابق.

۞ مسائل مهمة:

وهنا مسائل خطيرة تجاوزها البعض بسبب سوء الظن والأفهام الرديئة يجدر بنا أن نشير إلى أهمها، ومن ذلك:

١ ـ ظن بعضهم أن كبار العلماء لا يفقهون الواقع، ولا يدركون ما يدور حولهم، وأنهم مجرد علماء أحكام لا يدركون السياسات ومصالح العباد، وأن علمهم لا يؤهلهم لمعالجة قضايا الأمة.

وهذه تهمة الضعفاء ممن غابت بصيرتهم وتاهت سريرتهم حتى اتهموا علماءهم أُولي المناقب المأثورة والفضائل المذكورة بتهمٍ سبقهم إلى مثلها الأعاجم أبناء فارس والروم في أحبارهم ورُهبانهم حتى أهملوا شأنهم وقدرهم، ومِن ثَمَّ لم يعبئوا بتدينهم وما هم عليه فطعنوا في الشهود ليتوصلوا به إلى الطعن في الدين، فإنها بذرة متهورٍ ليوقع الأمة في التيه والانحراف.

وبعضهم يشغل نفسه بخلاف العلماء وردود بعضهم في بعض ليتخذ من ذلك سبيلًا للوقيعة فيهم أو في من يخالف من مالت نفسه إليه تعصبًا، وقد يسعى لنشر مثل هذه الردود في أوساط صغار الطلاب أو العوام بقصدٍ أو بغير قصد، وهذا من الإفساد في الأرض، وإن شجعه بعض من ينتسب للعلم، إذ لا يسلم حتى المتعلم من الهوى وحب الذات والظهور إلَّا مَنْ سلَّمه الله، فاللهم سلم سلم.

قال التاج السبكي: «ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلَّا إذا أُتي ببرهان واضح ثم إنْ قدرت على التأويل وحسن الظن فدونك وإلا فاضرب صفحًا عما جرى بينهم»[1].

---

(١) قاعدة في الجرح والتعديل للسبكي (ص٩٣)، مصدر سابق.

ثم هؤلاء أصناف فمنهم المتعمد الجاهل ومنهم صاحب النية الحسنة ممن خانته بصيرته، ومنهم المغفل، ومنهم غير ذلك طرائق قددًا، إلَّا أنَّ هذا النوع وإن تعددت أصنافه واقع في سوء الظن لا محالة، وأفعالهم مذمومة لا تبلغ بهم شرفًا ولا تأويهم منزلًا، فكم ضلالاتٍ اندثرت ومعالم انطمست؟؟ قام أصحابها على فُحْشٍ من القول وسوءٍ من الظن، وما هي إلَّا أيام حتى تبددت تلك الغشاوة وذلكم السراب.

وهكذا ينتهي غبار المتهورين ولن يبقى إلَّا نور المتنورين أعلام الهدى ومصابيح الدجى ومن سار سيرهم وحذا حذوهم.

النـاسُ شَـتَّـى إذا مـا أنـتَ نقـتـهـمُ لا يَسـتوونَ كما لا يستوي الشَّجرُ
هـذا لـه ثـمـرٌ حـلـوٌ مـذاقـتـُـهُ وذاكَ لـيـسَ لـهُ طـعـمٌ ولا ثـمـرُ

٢ ـ ظن بعضهم أن نصرة الإسلام قد تتم بإنشاء المؤسسات الخيرية التي يُعقد لها الولاء والبراء الصِّرْف معتقدين أن من حذَّر منها كونها سبيلًا للتحزب جريمة غير مستساغة شرعًا، وهذا فهم خاطئ إذ لا حرمة في إنشاء المؤسسات الخيرية البتة، إنما الحرمة في جعلها طريقةً يُعقدُ في سبيل تحقيقها الولاء لمن شاركهم، والبراء ممن نصحهم أو حذَّر من أفعالهم المخالفة.

ولكن لماذا الظنون السيئة من أولئك النفر الذين ألزموا أنفسهم ومجتمعاتهم بلوازم لا تلزم؟! إنه الفعل السيئ الذي بقي درنه في النفوس وشغفه في القلوب.

ولذا قال بعض الحكماء: **إذا ساء الفعل ساءت الظنون**، وقد أحسن من قال:

إذا سـاءَ فِعْلُ المرءِ سَـاءتْ ظُنونُـهُ وصَـدَّقَ مـا يـعـتـادُهُ مِـن تَـوهـمِ

وكان الأولى بأولئك النفر أن يعلموا يقينًا أنه ما مِنْ عمل خيري

فلن يسود المجتمعات ويرتفع ذكره حتى يكون أساسه خاليًا من الولاءات المتحجرة والبراءات المتوسعة التي ما أنزل الله بها من سلطان إلَّا سلطان قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

ومن هنا كان الولاء لكل مسلم والعداء لكل كافر، وهذا يعني أن المسلم يوالي أخاه المسلم في كل أمر مشروع ويبغضه في كل أمر ممنوع، وعلى قدر البغض والحب يكون الولاء.

ويخرج عن هذا الولاء موالاة المسلم لصديقه أو شيخه أو جماعته أو حزبه في كل شئ يفضي إلى التحزب الذي يعادي في سبيله ويناصر في سبيله، بحيث أن كل من وافق فلانًا من الناس على طريقته وفكره فأخي المسلم الذي أقرِّبُه مني وإن خالف الشرع.

هذا من البدع المضلة المفضية إلى منهج الخوارج والروافض والنعرات الجاهلية.

«فلا يفرق بين المؤمنين لأجل ما يتميز به بعضهم عن بعض مثل الأنساب والبلدان والتحالف على المذاهب والطرائق والمسالك والصداقات وغير ذلك، بل يُعطى كلٌّ من ذلك حقه كما أمر الله ورسوله ولا يجمع بينهم وبين الكفار الذين قطع الله الموالاة بينهم وبينه فإن دين الله هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا»(١).

«فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنون، وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو

(١) قاعدة في المحبة لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ص١٣٣)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة، مصدر سابق.

بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن [فقال سبحانه] : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١](١).

فكل المؤسسات الخيرية التي تسعى لمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين وتعمل في نشر العلم النافع وتدافع عن الكتاب والسنة وحملته خاليةً من المناهج المنحرفة والأفكار الدخيلة مؤسساتٌ مباركة لا ممانعةَ شرعًا من جوازها ومساعدتها والوقوف معها لكونها تؤدي رسالةً مشروعة لتدفع بالأمة إلى ما يرفع عنها الضرر ويخفف عنها وطأة الألم، وأما ما دونها مما هو مخالفٌ للمنهج الصحيح - الذي قام أصحابه لنصرة الأفكار الدخيلة والتجارب الخالية التي سقطت وانتهت عبر السنين ومحتها الأحداث وغيرها مما خالف الكتاب والسنة وطريقة السلف ـ فركامٌ يتبدد وبناء يضمحل، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

٣ ـ ظن بعض الأقوام أن المخالف له حلال العرض فوقع من لا أخلاق له في أعراض العلماء وطلبة العلم وعامة الناس دون تعقلٍ أو رويةٍ بل دون مراقبة الحي القيوم العليم بكل شيء: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

والأصل في الأعراض التحريم اتفاقًا، إلَّا أن ضعفاء الإيمان ممن لم يدركوا حقوق الأخوة الإيمانية وقعوا فيما ما هو محرم شرعًا ظنًا منهم أن ذاك يقربهم إلى الله. ولكن هيهات هيهات، فما ظنوه سوءٌ محض لا يقربهم إلى الله زُلفى، إلَّا أن الشيطان يزين للخلائق وضعفاء البصائر المنكرات بأجمل الحلل وأزين البهارج، ولكن أنَّى لأمثال هذا الصنف من زلفى؟!

سَارتْ مُشرِّقةً وسِرتُ مُغرِّبًا ... شَتَّانَ بينَ مشرقٍ ومُغرِّبِ

إنما الجائز ـ بل الواجب ـ ما كان تحذيرًا من المبتدع البين بدعته

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٤١٨)، مصدر سابق.

والضال البين ضلاله مما هو مخالف ما عليه أهل السنة والجماعة حتى لا يضر المجتمعات الإسلامية ببدعته وضلاله، قال الفضيل بن عياض «والله ما يحل لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا بغير حق فكيف تُوذي مسلمًا ؟!»[1]. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»[2].

وقال ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[3].

فلا فلاح للمجتمعات بمختلف طبقاتها ما انتشرت في أوساطها الظنون السيئة، بل لن تبلغ ذرة الإخاء والإيمان الصادقين حتى تحقق فرائض الأعمال وفضائلها وتحذر من سفسافها بمحض إرادتها وعقد عزيمتها تقربًا لله وحده دونما سواه.



---

(١) المنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي (١/ ٩٢)، مصدر سابق، نقله الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٩)، مصدر سابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٤/ ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤)] من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٤).

الفصل الثالث
الأخلاق الفاضلة
ودورها في تأصيل الأخوة الإسلامية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأخلاق القولية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأصيل النبوي للأخلاق القولية.

المطلب الثاني: حال السلف ومواقفهم الأخلاقية القولية.

المبحث الثاني: الأخلاق العملية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأصيل النبوي للأخلاق العملية.

المطلب الثاني: حال السلف ومواقفهم الأخلاقية العملية.



الأخلاق الفاضلة(١) ودورها في تأصيل الأخوة الإسلامية

لن تنجح أمة الإسلام إلَّا بإقامة الأخلاق الفاضلة ونشرها بين المجتمعات الإسلامية، لأنها من متممات الدين ومحاسنه التي شرعها الله وحث عليها في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ.

لذا يقول ﷺ : «**إنّما بعثتُ لأتمّم صالحَ الأخلاق**»(٢).

وقال أيضًا ﷺ : «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»(٣)

وقال ﷺ: «**أنا زعيم** ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، **وببيت في أعلى الجنة لمن حسَّنَ خلقه**»(٤)، ونحوها من الأحاديث المتكاثرة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق.

---

(١) الأخلاق: لغةً جمع خُلُق، والخُلُق بمعنى الطبع والسجية والدين، وقيل هو المروءة، والحُسْن: ضد القبح ونقيضه، والأخلاق اصطلاحًا: مجموعة السلوكيات سواء كانت حسنةً أم قبيحةً. فالسلوكيات الحسنة كالصدق وطلاقة الوجه والتواضع ونحوها، والسلوكيات السيئة كالكذب والتكبر والبخل ونحوها [للمزيد من الإيضاح انظر مختار الصحاح للرازي (ص٣٢٦)، مصدر سابق، ولسان العرب لابن منظور (١٠/ ٨٥)، مصدر سابق، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص١١٣٧)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [مسند أبي هريرة (٢/ ٣٨١ رقم ٨٩٣٩)]، والحديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (٢/ ٦٦٨ رقم ٤٧٩٩)] من حديث أبي الدرداء، والحديث حسن.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (٢/ ٦٦٨ رقم ٤٨٠٠)] =

وقد أحسن من قال:

كـلُّ الأمـورِ تَزُولُ عنكَ وتنقضـيْ ... إلا الـثـنـاءُ فـإنَّـهُ لـكَ بـاقـيْ
لـو أنـنـي خُـيِّـرتُ كـلَّ فـضـيـلـةٍ ... مـا اخـتـرتُ غـيـرَ مـكـارمِ الأخـلاقِ

ومهما يكن من شيءٍ فإن مجتمعاتنا الإسلامية تفتقر إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

وسبب افتقارها تَطَبُّعُ بعض أبنائها بطابع الشرق والغرب وانشغالهم بدنياهم عن آخرتهم إلَّا من رحم الله.

ومن شغلته دنياه عن آخرته انشغل عن شرائع الدين ومكملاته، وكل من ساءت أخلاقه جفت أخوته وفتر عن مكارم الأخلاق فضلًا عن معاليها، ومن كان كذلك فلا تُرجى مودته ولا صحبته لأنه لا يَجني من الشوك العنب.

أنواع الخلق:

الأخلاق نوعان:

الأول: الخلق الحسن.

وهو «صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين»[(١)]، وهو المراد عند الإطلاق.

= من حديث أبي أمامة، والحديث صحيح وقوله «زعيم» أي ضامن وكفيل، «ببيت» قال الخطابي: البيت هاهنا القصر، يقال: هذا بيت فلان أي قصره، «في ربض الجنة» بفتحتين أي ما حولها خارجًا عنها تشبيهًا بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع كذا في النهاية، «المراء» أي الجدال كسرًا لنفسه كيلا يرفع نفسه على خصمه بظهور فضله [انظر عون المعبود لآبادي (١٣/ ١٠٨)، مصدر سابق].

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٤٩)، مصدر سابق.

يروى عن عقبة بن عامر[١] رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فبدرتُه[٢] فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي فقال: «يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: **تصل مَن قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك ألا ومن أراد أن يُمدَّ في عمره، ويُبسط في رزقه فليصل ذا رَحِمَه**»[٣].

وقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك عن حسن الخلق ما هو؟ فقال: كف الأذى، وبذل المعروف، وبسط الوجه، وأن لا تغضب»، وقال غير ابن المبارك من أهل العلم «**حسن الخلق: كظم الغيظ لله تعالى، وإظهار الطلاقة والبشر إلاَّ للمبتدع والفاجر إلاَّ أن يكون فاجرًا إذا انبسطت إليه أقلع واستحيى، والعفو عن الزالّين إلاَّ تأديبًا أو إقامةَ حد، وكف الإذى عن كل مسلم ومعاهد إلاَّ تغييرًا عن منكر أو أخذًا بمظلمةٍ لمظلوم من غير تَعدٍّ**»[٤].

وجعله الشافعي ركنًا مهمًا في المروءة[٥] فقال رحمه الله: «**المروءة أربعة أركان: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك**»[٦].

---

(١) عقبة بن عامر الجهني، اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أبو حماد، روى عن النبي ﷺ، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأبو أمامة وجبير بن نفير وغيرهم، ولي إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، وكان فقيهًا فاضلًا، ومات في خلافة معاوية على الصحيح. [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٥٢٠) مصدر سابق، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١٠٧٣)، مصدر سابق، تقريب التهذيب لابن حجر (ص ٣٩٥)، مصدر سابق].

(٢) يقال بادرت فبدرني أي سبقني [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٥١٣)].

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه [كتاب البر والصلة،ولم يبوب له (٤/ ١٧٨ رقم ٧٢٨٥)]، وسكت عنه الذهبي، وضعفه العراقي في تخريج إحياء علوم الدين كما في حواشيه (١٤٨/٣)، مصدر سابق.

(٤) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٨٦٢ ـ ٨٦٣)، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥) المروءة كمال الرجولية، وقيل للأحنف ما المُرُوءة؟ فقال: العِفَّة والحِرْفة، وسئل آخَرُ عن المُروءة؟ فقال المُرُوءة: أَن لا تفعل في السِّر أَمرًا وأَنت تَسْتَحيِي أَن تَفْعَلَه جَهْرًا» [انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ١٥٤)، مصدر سابق].

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٩٥)، مصدر سابق، والنسك: بمعنى التعبد.

علامات حسن الخلق:

لِحُسْن الخلق علامات يتميز بها عن سيئه، وقد ذكر منها العلماء علاماتٍ كثيرة، من أشهرها ما جاء عن يوسف بن أسباط[١] حيث قال: «علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف، وحسن الإنصات، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه»[٢].

ولو نَظَرَ الناظر في هذه الخصال بعين الإعتبار وفَتَّش مجتمعاتنا الإسلامية لوجد هذه الفضائل ونحوها لا تكاد مجتمعةً عند أحدٍ من أهل زماننا إلَّا أن يشاء الله، لا لشيئ سوى ابتعاد البعض عن منهج السلف الصالح وانشغالهم بماديات العصر وزخارفه.

فكلُّ مَنْ صبر، وتحمل الأذى، ورفق بغيره، وتواضع، وأحسن الخطاب وعطف، ورحم الناس، وعفا وأصلح، وتجاوز عن المسيئ، واستوفى المحاسن والفضائل فقد استكمل الأخلاق وبلغ أعلاها، **لأن الخلق الحسن**: اسم جامع لكل فضيلة شرعها الإسلام وحث عليها الأنام.

الثاني: الخلق السيئ.

وهو سوء الأدب والرذيلة الذي يُنْتِجُ الأقوالَ والأفعالَ القبيحة المخالفة للشرع والفطرة.

---

(١) يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، نزل قرية بين حلب وانطاكية، حدث عن عامر ابن شريح وسفيان الثوري وياسين الزيات، روى عنه أبو الأحوص ومحمود بن موسى والمسيب بن واضح، قال ابن حبان: كان من عباد أهل الشام وقرائهم، سكن أنطاكية، وكان لا يأكل إلَّا الحلال فإن لم يجده استف التراب، وكان من خيار أهل زمانه، مستقيم الحديث ربما أخطأ، مات سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة [تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٥٨)، مصدر سابق].

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٧١)، مصدر سابق.

فـ «الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان،وجوار الرحمن، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب، وأسقام النفوس إلَّا أنه مرض يفوت حياة الأبد»[١].

«ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان:

الجهل والظلم والشهوة والغضب، فالجهل يُريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصًا والنقص كمالًا، والظلم يحمله على وضع الشيء في غير موضعه فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويُقْدِم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع، والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنَّهْمَة[٢] والجشع والذل والدناءات كلها، والغضب يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه.

ويتركب من بين كل خُلُقين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومة، **وملاك هذه الأربعة أصلان**: إفراط النفس في الضعف وإفراطها في القوة، فيتولَّد من إفراطها في الضعف: المهانة والبخل والخِسَّة[٣] واللؤم والذل

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٩).

(٢) النَّهْمَة: بُلُوغ الهِمة في الشيء [كما في مختار الصحاح للرازي (١/ ٢٨٤)، مصدر سابق، وقد وردت في سياق النفي.

(٣) النذالة.

والحرص والشح، وسفساف الأمور والأخلاق، ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم والغضب والحِدَّة والفحش والطيش... فالأخلاق الذميمة يولد بعضها بعضًا، كما أن الأخلاق الحميدة يولد بعضها بعضًا»(١).

ومن الأخلاق السيئة ما أشار إليه ﷺ بقوله: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء**»(٢).

فالزوجة السوء والجار السوء نسبةً إلى أعمالهم السيئة المنافية للشرع والفطرة ومن ذلك سوء الخلق.

قال وهب بن منبه: «**مَثَلُ السيء الخُلُق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تُعَاد طِيْنًا**»(٣).

وقال الفضيل: «**لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحبُّ إلي من أن يصحبني عابد سيي الخلق**»(٤).

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «من كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن كثر كلامه كثر كذبه، **ومن ساء خلقه عذَّب نفسَه**»(٥).

علامات سوء الخلق:

بما أنَّ لِحُسْنِ الخُلُق علامات، فكذلك لسوء الخلق علامات يتميز بها، وهي علاماتٍ كثيرة، مضادة لِعلامات حُسْنِ الخُلُق، من أشهرها:

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٠٩)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣.١٩٧٣.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه [كتاب النكاح، ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا (٩/ ٣٤٠ رقم ٤٠٣٢)] من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٤٩)، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٥) كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (ص٨٥)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

حب الإختلاف، وسوء الإنصات، وطلب العثرات، وإظهار ما يَخفى من السيئات، وعدم التماس الأعذار، الاعذرة وعدم احتمال الأذى، وعدم الرجوع بالملامة على النفس، والنظر في عيوب الآخرين دون النظر في عيوب نفسه، وتكشير الوجه للصغير والكبير، وعدم التلطف في الكلام لِمَنْ دونه ولِمَن فوقه، وحب الظهور، والتعالي على الناس، والإعجاب بالرأي ونحوها مما يُقَلِّلُ من مكانة المُبتلى بها وإن انتسب إلى العلم.

وقد سئل ذو النون المصري[١] مَنْ أدوم الناس عناءً؟ قال: أسوأهم خلقًا، قيل وما علامة سوء خلقه؟ قال: كثرة الخلاف على أصحابه»[٢].

وبالنظر إلى هذين النوعين نجد أن الخلق السيئ مذموم تأباه النفوس الزكية، والخلق الحسن محمود تأنسه النفوس الكريمة، وهذا النوع: هو محل بحثنا، ولأهميته في الإسلام، سنتحدث عن المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الأخلاق القولية.

المبحث الثاني: الأخلاق العملية.

(١) ذو النون بن إبراهيم أبو الفيض المعروف بالمصري، أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر، يقال لها أخميم، فنزل مصر، وكان حكيمًا فصيحًا زاهدًا، وجه إليه جعفر المتوكل على الله فَحُمِلِ إلى حضرته، رآه وسمع كلامه، ثم انحدر إلى بغداد فأقام بها مدة، وعاد إلى مصر وقيل إن اسمه ثوبان وذا النون لقب له، وهو ثقة، وقد أُسْنِد عنه أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على من دونه، وحكى عنه من البغداديين سعيد بن عياش الحناط، وأبو العباس بن مسروق الطوسي [تاريخ بغداد للخطيب (٨/ ٣٩٣ وما بعدها)، مصدر سابق].

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٦٠)، مصدر سابق.

المبحث الأول

الأخـلاق القوليــة

وتتمثل الأخلاق القولية الداعية إلى ترسيخ الأخلاق الفاضلة في المجتمعات الإسلامية في أقواله ﷺ، وأقوال صحابته الكرام، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين وهذا يتضح تمام الإتضاح من خلال هذين المطلبين :

المطلب الأول
التأصيل النبوي للأخلاق القولية

لقد دعا النبي ﷺ إلى الأخلاق الفاضلة وأسَّسَ هذه الدعوة المباركة على هذا الأصل من أول يومٍ عرفته البشرية، وذلك قبل مبعثه ﷺ حيث لم يَجدوا عليه ما يُعاب فيه، بلٍ كانوا يلقبونه بالصادق الأمين.

ولمّا نزل الوحي ووقع في صدره الفزع من عِبء الرسالة الإلهية، قال لزوجته خديجة[1]: «**لقد خشيتُ على نفسي**»، فقالت: كلا والله، لا

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، زوج النبي ﷺ، وأول من صدقت ببعثته مطلقًا، وولدت من رسول الله ﷺ أولاده كلهم إلَّا إبراهيم فمن مارية، كانت خديجة تكنى أم هند، وعن حكيم بن حزام أنها كانت أسنَّ من النبي ﷺ بخمس عشرة سنة، وتزوجها ﷺ قبل الهجرة بخمس عشرة سنة على المشهور، و«بشرها ﷺ ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» كما في الصحيحين، توفيت لعشر خلون من رمضان وهي بنت خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون، ونزل النبي ﷺ في حفرتها ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧/ ٦٠٠ ـ ٦٠٤)، مصدر سابق].

يخزيك الله أبدًا، **إنّك لتصِلُ الرحم، وتَصْدُق الحديثَ، وتَحمِل الكلَّ، وتقرِي الضيفَ، وتُعين على نوائِب الحق»**(١).

قال العلماء: «معنى كلام خديجة ﵂ إنك لا يصيبك مكروه لمَّا جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذكرت ضروبًا من ذلك، وفى هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سببُ السلامة من مصارع السوء»(٢).

لقد ذَكَّرتْهُ خديجة ﵂ بأخلاقه العظيمة من صلة الرحم وصدق الحديث وتحمل الأذى وإكرام الضيف وإعانة المعسر ونحوها من الفضائل.

ولقد أكد الله ﷻ هذا الخلق الكريم في نبيّه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤]، وماذا بعد تأكيد الله وشهادته لرسوله ﷺ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٧٩].

وسئِلت عائشة ﵂ عن خُلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: **«إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»**(٣).

قال ابن كثير: «صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيَّةً له، وخلقًا تطبّعه، وتركَ طبعَه الجبلي، فمهمَا أمرَه القرآن فَعَله، ومهما نهاه عنه ترَكه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصَّفح والحِلم، وكلِّ خلق جميل»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٤ رقم٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ١٣٩ رقم ١٦٠)] من حديث عائشة مرفوعًا، وأما قولها «وتعين على نوائب الحق» فالنوائب جمع نائبة، وهى الحادثة، وإنما قالت نوائب الحق لان النائبة قد تكون فى الخير وقد تكون فى الشر [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٢/٢٠٢)، مصدر سابق].

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٢/ ٢٠٢)، مصدر سابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (١/ ٥١٢ رقم ٧٤٦)].

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٠٣)، مصدر سابق.

ومن هنا كانت عنايته ﷺ من خلال توجيهاته ودعوته إلى الأخلاق الحميدة، ومن ذلك :

قوله ﷺ : «**إنّما بعثتُ لأتمّم صالحَ الأخلاق**»[١]، وفي رواية: «**بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»[٢].

وفي هذا الحديث «إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام قبله بُعِثُوا بمكارم الأخلاق وبقيت بقية، فبعث المصطفى ﷺ بما كان معهم وبتمامها.

وقال الحرالي[٣]: صالح الأخلاق : هي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها في قوله: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي [واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر]**»[٤].

وقال العارف[٥] ابن عربي[٦]: معنى الحديث أنه لما قُسِّمت الأخلاق إلى مكارم وإلى سِفْساف، وظهرت مكارم الأخلاق كلها في شرائع الرسل وتبين سِفْسافها من مكارمها عندهم وما في العالم إلَّا أخلاق الله، وكلها

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك [كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين، من كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة (٢/ ٦٧٠ رقم ٤٢٢١)] من حدبث أبي هريرة مرفوعًا، وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط مسلم».

(٣) هو أبو العباس أحمد الحرالي كما في بعض المواطن من فيض القدير للمناوي، ولم أقف له على ترجمة وافية.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٨٧ رقم٢٧٢٠)] من حديث أبي هريرة.

(٥) قال الرازي: والعَارِفُ بمعنى كالعليم والعالم [انظر مختار الصحاح (١٧٩)] وهو مصطلح صوفي، وقد شُهِر عندهم كوصف لبعض الأقطاب.

(٦) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المَرْسِي المعروف بابن عربي، ولد في رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية، وله مصنفات كثيرة كالفصوص وغيره، قال ابن مسدي: له كلام مريب، وكان ظاهري =

مكارم فما ثَمَّ سفساف أخلاق، فبُعِث نبينا ﷺ بالكلمة الجامعة إلى الناس كافة، وأُوتي جوامع الكلم .. فأخبر ﷺ أنه بُعِث لِتَتِمَ صالحُ الأخلاق»[١].

وعن أبي ذر أنه قال: لما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لأخيه إركبْ إلى هذا الوادي فاسمعْ مِنْ قوله، فرجع، فقال: **رأيته يأمر بمكارم الأخلاق**»[٢].

وقد أحسن من قال:

ولـمْ أرَ مِـنْ عـيـوبِ الـنـاسِ شـيـئًـا كـنـقـصِ الـقـادريـنَ عـلـى الـتَّـمـامِ

وقال ﷺ: «**ما مِنْ شيءٍ أثقلُ في الميزان من حُسْنِ الخلق**»[٣].

هذا الحديث دلالة على أن الأخلاق الحسنة تُجَسَّدُ وتوضع في الميزان فترجح فينال صاحبها الأجر العظيم من رب العالمين، وقيل «توزن صُحُفُها لأن الأعمال أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة،والحق عند أهل السنة أن الأعمال تُجسَّد أو تجعل في أجسام فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن»[٤].

وقال ﷺ « **أنا زعيم** ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان

= المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات، وقال الذهبي: في الاعتذار عنه: كان رجلاً قد تصوف وانعزل وجاع وسهر حتى فسدت مخيلته فصار يرى بخياله أشياء يظنها حقيقة ولا وجود لها، مات في شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة [طبقات المفسرين للسيوطي (١/ ١١٣)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.].

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٥٧٢)، مصدر سابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب فضائل الصحابة، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (٣/ ١٤٠١ رقم ٣٦٤٨)، ومسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه (٤/ ١٩٢٣ رقم ٢٤٧٤)] من حديث ابن عباس.
قوله «يأمر بمكارم الأخلاق» أي الفضائل والمحاسن لا الرذائل والقبائح [انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للقاري (٢٢/ ١١٨)، مصدر سابق.

(٣) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٥/ ٤٨٣)، مصدر سابق.

محقًا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، **وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَه**»[١].

«فجعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها، وهو ترك المماراة وإن كان معه حق، ولا ريب أنَّ حسن الخلق مشتمل على هذا كله»[٢].

وفي هذا الحديث تصريح منه ﷺ في كونه ضامنًا لكل مَنْ حسَّن خلقه بقصرٍ في أعلى الجنة، يُقال هذا قصر فلان بن فلان.

وقال ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجةَ الصائم القائم**»[٣].

وفيه دلالة على أن صاحب الخلق الحسن «في درجة الصائم القائم، بل فوق درجتهما، لأنَّ حسن الخلق لا يُحَمِّلُ غيرَه أثقالَه ويتحمل أثقالَ غيره وخُلقَهم»[٤].

فيكون بهذا التحمل ككف الأذى والعفو عن المسيئ والحلم عن الجاهل، والإحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل ونحوها قد بلغ هذه الدرجة العظيمة التي هي درجة رهبان الليل وصوَّام النهار.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا**»[٥].

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٠٦)، مصدر سابق.

(٣) أخرجه أحمد في المسند [مسند عائشة رضي الله عنها (٦/ ١٣٣ رقم ٢٥٠٥٧)]، والحديث صحيح لغيره.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٥/ ٣٦٥)، مصدر سابق.

(٥) أخرجه أبوداود في سننه [كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٢/ ٦٣٢ رقم ٤٦٨٢)]، والحديث صحيح.

قال الحليمي[١]: «فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيمانًا من بعض»[٢].

وقال ﷺ «**الا أنبئكم بشراركم، فقال: هم الثرثارون المتشدقون، ألا أنبئكم بخياركم أحاسنكم أخلاقًا**»[٣]

ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ «**إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[٤].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال «**إن الله سبحانه قسَّم بينكم أخلاقكم كما قسَّم بينكم أرزاقكم**، وإن الله يُعطي الدنيا مَنْ

---

(١) الشيخ الإمام الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم أبو عبد الله الحليمي صاحب المنهاج في أصول الديانه [وكتاب شعب الإيمان]، كان أحد مشايخ الشافعية، ولد بجرجان وحمل إلى بخارى وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين في عصره، وولي القضاء ببخارى، قال ابن خلكان انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر، وله وجوهٌ حسنةٌ في المذهب، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله [البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٤٩)، مصدر سابق].

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٦١)، مصدر سابق.

(٣) أخرجه أحمد في المسند [مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ٣٦٩ رقم ٨٨٠٨)]، والحديث حسن لغيره.

في النهاية: «الثرثارون» هم الذي يكثرون الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحق، والثرثرة كثرة الكلام وترديده، و«المتشدقون» المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل أراد بالمتشدق المستهزىء بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم انتهى، والشدق جانب الفم. [انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٦/ ١٣٦)، مصدر سابق].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق (٤/ ٣٧٠ رقم ٢٠١٨)] من حديث جابر، والحديث صحيح.

قوله «إنَّ مِن أحبكم إلي» أي في الدنيا «أحاسنكم أخلاقًا» نصبه على التمييز وجمعه لإرادة الأنواع أو لمقابلة الجمع بالجمع [انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٦/ ١٣٥)، مصدر سابق].

يُحب ومَنْ لا يُحب، ولا يُعطي الدين إلَّا مَنْ يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبَّه»[١].

وعن النّوّاس بن سمعان[٢] رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم، فقال: «**البرّ حسن الخلق**، والإثمُ ما حاك في صدرك، وكرهتَ أن يطّلع عليه الناس»[٣].

فحصر رسول الله ﷺ البر كله في حسن الخلق لواحدٍ من أمرين: إما لأهمية حسن الخلق في الإسلام، وإما لشدة حاجة النواس بن سمعان إلى الخلق الحسن، والثاني أظهر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند [مسند ابن مسعود رضي الله عنه (١/ ٣٨٧ رقم ٣٦٧٢)]، والحديث ضعيف في إسناده: الصباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسي الكوفي، قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (ص٢٧٤): ضعيف أفرط فيه ابن حبان.أهـ.
قوله «قسم بينكم أخلاقكم» قبل أن يخلق الخلق بزمن طويل «كما قسم بينكم أرزاقكم» أي قدَّر أخلاقًا لخلقه فيما يتخلفون فيها يتخلفون كل على حسب ما قُدِّر له كما قدر الأرزاق فأعطى كلاً من عباده ما يليق به في الحكمة، وكما قدَّر فيهم رحمة واحدةً فقسمها بينهم على التفاوت فيها يتراحمون. [فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٤٨٧)، مصدر سابق].
وحكى ابن بطال تبعًا للطبري خلافًا هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب؟ وتمسك من قال بأنه غريزة بحديث ابن مسعود «أن الله قسم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم» [فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٠/ ٤٥٩)، مصدر سايق].

(٢) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي له ولأبيه صحبة، وحديثه عند مسلم في صحيحه، معدود في الشاميين، روى عن النبي ﷺ، وعنه أبو إدريس الخولاني وجبير بن نفير الحضرمي، يقال: إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له وأعطاه نعليه فقبلهما رسول الله ﷺ وزوجه أخته، فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها وهي الكلابية [الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٥٣٤)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٨)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢٨)].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (٤/ ١٩٨٠ رقم ٢٥٥٣)].
قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الامور هي مجامع حسن الخلق، ومعنى حاك في صدرك: أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه شك وخوف كونه ذنبًا [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١١١)].

وعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبعِ السيئة الحسنة تمحها، **وخالق الناس بخلق حسن**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»(٢).

وقال النبي ﷺ قال «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالم، ولكن يسعهم منكم بسطُ الوجه وحسن الخلق**»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: لقى رسول الله ﷺ أبا ذر فقال: «يا أبا ذر ألآ أدلك على خصلتين هما أخفُ على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما؟

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (٤/ ٣٥٥ رقم ١٩٨٧)] وهذا حديث صحيح.

قوله «اتق الله» أي بالإتيان بجميع الواجبات والانتهاء عن سائر المنكرات فإن التقوى أساس الدين وبه يرتقي إلى مراتب اليقين، «حيث ما كنت» أي في الخلاء، وفي النعماء، والبلاء فإن الله عالم بسر أمرك كما أنه مطلع على ظواهرك، فعليك برعاية دقائق الأدب في حفظ أوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومساويه، «واتقوا الله إن الله كان عليكم رقيبًا»، «وأتبع» أمر من باب الأفعال وهو متعد إلى مفعولين، «السيئة» الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة على ما شهد به عموم الخبر وجرى عليه بعضهم، لكن خصه الجمهور بالصغائر، «الحسنة» صلاةً أو صدقةً أو استغفارًا أو نحو ذلك، «تمحها» أي تدفع الحسنة السيئة وترفعها، والإسناد مجازي، والمراد يمحو الله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفظة، وذلك لأن المرض يُعالج بضده، فالحسنات يذهبن السيئات، «وخالق الناس» أمر من المخالقة مأخوذ من الخُلُق مع الخَلْق أي خالطهم وعاملهم، «بخلق حسن» أي تكلف معاشرتهم بالمجاملة في المعاملة وغيرها من نحو طلاقة وجه وخفض جانب وتلطف وإيناس وبذل ندى وتحمل أذى، فإن فاعل ذلك يرجي له في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح [انظر تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٠٤)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (٤/ ٣٦٣ رقم ٢٠٠٤)]، وهذا حديث حسن، قوله «عن أكثر ما يدخل الناس الجنة» أي عن أكثر أسباب إدخالهم الجنة مع الفائزين، «تقوى الله» وله مراتب أدناها التقوى عن الشرك، «وحسن الخلق» أي مع الخلق وأدناه ترك أذاهم وأعلاه الإحسان إلى من أساء إليه منهم [انظر تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٢٠)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده [مسند أبي هريرة، حديث شهر بن حوشب عن أبي هريرة (١١/ ٤٢٨ رقم ٦٥٥٠)]، وحسَّنه ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤٥٩).

قال: بلى يا رسول الله.

قال: **عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمَّل الخلائق بمثلهما**»[(١)].

وكان يقول ﷺ في دعائه: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت، واصرف عنِّي سيئها لا يصرف عني سيئها إلاَّ أنت**»[(٢)].

ونحوها من الأحاديث التي أكَّد فيها النبي ﷺ أهمية الأخلاق الفاضلة من خلال توجيهاته ونصائحه لأمته.

ولو تأمل الناظر في دعوة النبي ﷺ أمته إلى الأخلاق الفاضلة لوجد الدور الإيجابي في تأصيل هذه الفضائل الحميدة التي تتلخص في عدة محاور، أهمها:

المحور الأول: مراعاة أحوال المخاطب واختيار ما يناسبهم من التوجيهات والنصائح حسب حاجته وفهمهم.

وهذا يظهر جليًا في خطاباته، ومن ذلك قوله للنّوّاس بن سمعان رضي الله عنه عندما سأل رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم، فقال له: «**البرّ حسن الخلق**»[(٣)].

فلما كان النواس أحوج ما يكون إلى الخلق الحسن حصر النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده [مسند أنس، حديث ثابت البناني عن أبي هريرة (٦/ ٥٣ رقم ٣٢٩٨)]، وفيه بشار بن الحكم الضبي وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ١٦): «قال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال ابن حبان: ينفرد عن ثابت بأشياء ليست من حديثه»أهـ

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧١)] من حديث علي بن أبي طالب.

قوله: «اهدني لأحسن الأخلاق» أي أرشدني لصوابها ووفقني للتخلق به، قوله: «واصرف عني سيئها» أي قبيحها. [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٦/ ٥٨)، مصدر سابق].

(٣) تقدم تخريجه (ص١٥٢).

البر في الأخلاق دون غيرها مع أن البر اسم جامع لكل خير لولا حاجة النواس لهذا التوجيه.

ومن ذلك حديث أبي هريرة: «أن رجلًا قال للنبي ﷺ **أوصني قال**: «**لا تغضب**» فردد مرارًا، قال: «لا تغضب»[(١)].

«قيل لعل السائل كان غضوبًا، وكان **النبي** ﷺ **يأمر كلَّ أحدٍ بما هو أولى به**، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب»[(٢)] رغم أن قول الرجل «**أوصني**» كلمة مجملة تشمل آحادًا كثيرة من التوجيهات والوصايا، فاقتصر النبي ﷺ على نهيه عن كثرة الغضب لكونه أحوج ما يكون إلى ذلك، مع أن الرجل كرر السؤال ثلاثًا، فكان الجواب النبوي: واحدًا.

لذا يجب على العلماء والدعاة إلى الله أن يَعُوا هذا العلاج النبوي الناجح وكيفية مخاطبة المجتمعات على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم، وأن يزنوا كلماتهم بميزان الحاجة الشرعية، وأن تكون التوجيهات والنصائح حسب مقتضى الحال أسوةً برسول الله ﷺ.

فمما يُؤسف له أن بعض الشباب والدعاة قد يذهبون إلى بعض الأماكن المختلفة ويلقون محاضراتهم وخطبهم وتوجيهاتهم دون أن يستفصلوا عن حال المجتمع الذي ذهبوا إليه وما يحتاج من أنواع الخطب والمحاضرات، فيحاضر أو يخطب في موضوع لا حاجة له في ذلك المجتمع وإنما يصلح هذا الموضوع في مجتمع آخر، كالذي يذهب إلى قرية لا تعرف التحزب الممقوت فيحاضر أهل تلك القرية ويحذرهم من خطر الحزبية وهم لا يعرفون هذا المسمى فضلًا عن كون التحزب غير موجود في مجتمعهم، وهم أحوج ما يكونون إلى التوحيد ونبذ الشرك، أو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٥/ ٢٢٦٧ رقم ٥٧٦٥)].

(٢) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٦/ ١٣٨)، مصدر سابق.

إلى فقه الصلاة ونحوها من الموضوعات، أو كالذي يذهب إلى بلدةٍ يحذرهم من مجالسة النصارى، وتلك البلد ليس فيها نصارى بل كلهم موحدون وحاجتهم إلى موعظة الموت أحرى لِما عرفوا به من قسوة القلب، وهلمَّ جرًا، فهذا التعجل يدل على جهل بعض الدعاة لفقه الدعوة، وبعدهم عن هدي نبيهم ﷺ.

ولعل من الواجب على هؤلاء القوم أن يسألوا قبل ذهابهم إلى تلك الأماكن عن أهم الموضوعات التي ينبغي أن تُطْرح لذلك المجتمع وعن مستواهم العلمي وفقههم في الدين، فإذا تنبه الداعية إلى الله لهذا الأمر وعمل بموجبه كان ناجحًا موفقًا بإذنه سبحانه.

المحور الثاني: بيانُ أنَّ كسب الناس لا يكون بالدينار والدرهم، وإنما يكون بالأخلاق الحسنة.

لأنَّ مَنْ كَسَبْتَهُ بمالك تخلَّى عنك يوم فقرك، فكأنك لم تربح شيئًا، لكونك علَّقت الآخرين بأشياء محسوسة، إن زالت زال ودهم ومالوا بالود إلى من هو أوفر منك مالًا، كما قال بعضهم:

رأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مالُ
ومَن لا عنده مالٌ فعنهُ الناسُ قد مالوا

لذلك قال النبي ﷺ لأمته «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسطُ الوجه وحسن الخلق**»(١).

وأثناء كتابة هذه الأحرف حدث في مثل هذه الأيام ما نشرته بعض وسائل الإعلام عن إمرأة ممثلةٍ، عُرِفت بالفن العفن، والأزياء الماجنة، والأدوار التمثيلية القبيحة، والأخلاق الرديئة حتى مال إليها جمهور الفن المزعوم، وصار يُشار إليها بالبنان فكثر جمهورها ومحبوها، لكنه جمهور

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥٣).

«على جرفٍ هار» حتى ناب إلى مسامعنا ومسامع ذلك الجمهور أنها شُلَّتْ بسبب حادث سيارة، فتخلى عنها أصدقاؤها وجمهورها ومَنْ أفسدتْهم من خلال الشاشات التي لا تخاف في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمة.

تقول هذه المرأة: «لقد أصبحت وحيدةً، وكلما اتصلت بنجم من نجوم السينما الذين تربطني بهم علاقة الصداقة والزمالة أغلق سماعة الهاتف في وجهي بمجرد أن يعرف صوتي، حتى أقاربي تخلوا عني، لقد صرت متسولةَ، من فقراء القاهرة، أتسول في شوارعها وما جمعته من الجنيهات والقروش، أسرعت إلى شراء القوت الضروري والدواء اللازم، رغم أن هذه الصدقات التي أجمعها لا تكفيني».

فهذه هي الدنيا وهؤلاء هم رُبَّانُها، وهذه هي أخلاقهم القائمة على المصالح الدنيوية الفانية، فإلى جحيم الدنيا والآخرة إلَّا من تاب وأصلح، فإن الله غفور رحيم.

لقد تعلَّقت نفوس أهل الدنيا «بالماديات المحسوسة ولم تتعلق بالله جل وعلا، حتى ظن الكثير من الناس أن التاجر وما ملك من الأموال لم يحصل عليها إلَّا بذكائه وتوقد فطنته ومحض إرادته!

فتقرَّب إليه البعض حبًا فيما عنده من حطام الدنيا، وبقي الحال كذلك حتى زال ذلك المال، وظهر الفقر، ومن ثَمَّ اختفت تلك المحبة وغاب صيتها وكأن الأمر لم يكن»[(١)].

فـ «**لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسطُ الوجه وحسن الخلق**» كما حدثنا بذلك الصادق المصدوق ﷺ»[(٢)].

المحور الثالث: أن كمال الإيمان يثبت بالأخلاق الفاضلة، وأن زوالها زوالٌ لكماله.

---

(١) الحب في الله على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة للمؤلف (ص٣٠ ـ ٣١)، مكتبة الأصالة والتراث الإسلامي، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) تقدم تخريجه (ص١٥٤).

وقد جاء ذلك صريحًا في قوله ﷺ «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا**»(١).

«فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق»(٢)، لذا فإن أهل الإيمان يسعون جادين لهذا الكمال و«يندبون إلى أنْ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر، والخيلاء والبغي والإستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سِفْسَافها، وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة»(٣)، وإقامتهم للأخلاق الفاضلة دليل على ذلك الاتباع الشرعي الذي يدفعهم إلى كمال الإيمان، فلا يكتمل إيمان الشخص إلَّا بها.

المحور الرابع: أن «**بسطِ الوجه وحسن الخلق**» سببٌ لمرافقة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة.

ويؤكد ذلك بقوله: «**إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»(٤).

ومفهوم الحديث: أنَّ أبغضهم إليه وأبعدهم منه أسوؤهم أخلاقًا، ومعناه: عليكم بحسن الخلق حتى تبلغوا قُرْبي.

فصاحب الخلق الحسن المطيع لربه هو القريب من الحبيب محمد ﷺ، وصاحب الخلق السيئ هو البعيد عن دينه في الدنيا والآخرة.

وإليك أخي القارئ الكريم هذا النموذج العملي من حياة الرسول

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥٤).
(٢) الزهد والورع والعبادة لابن تيمية (ص٩١)، تحقيق حماد سلامة،محمد عويضة، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ.
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٨).
(٤) تقدم تخريجه (ص١٥١).

الكريم ﷺ الذي يُظْهِر لنا مَنْ كان يَحْذَرُهم ويتقيهم لبعدهم عن هديه وقلبه ﷺ:

فعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة»، فلما جلس تطلّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتني فحَّاشًا إنَّ شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة مَنْ تركه الناس اتقاء شره**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا (٥/ ٢٢٤٤ رقم ٥٦٨٥)]، قال عياض: المراد بالعشيرة الجماعة أو القبيلة، وقال غيره: العشيرة الأدنى إلى الرجل من أهله وهم ولد أبيه وجده، قوله «فلما جلس تطلق» بفتح الطاء المهملة وتشديد اللام أي أبدى له طلاقة وجهه، يقال وجهه طلق وطليق: أي مسترسل منبسط غير عبوس.

قال الخطابي: جمع هذا الحديث علمًا وأدبًا، وليس في قول النبي ﷺ في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جُبِلَ عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته، قلت [القائل ابن حجر] وظاهر كلامه أن يكون هذا من جملة الخصائص وليس كذلك بل كل من اطلع من حال شخص على شيء وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور ما فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدًا نصيحته، وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي ﷺ أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليتجنبه المغتر ليكون نصيحةً بخلاف غير النبي ﷺ فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نصحه، وقال عياض: لم يكن عيينة [بن حصن] والله أعلم حينئذ أسلم فلم يكن القول فيه غيبة أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحًا فأراد النبي ﷺ أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي ﷺ وبعده أمور تدل على ضعف إيمانه فيكون ما وصفه به النبي ﷺ من جملة علامات النبوة، وأما إلانة القول له بعد أن دخل فعلى سبيل التأليف له ثم ذكر نحو ما تقدم وهذا الحديث أصل في المداراة، وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق ونحوهم والله أعلم.

قوله «اتقاء شره» أي قبح كلامه لأن المذكور كان من جفاة العرب [فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٠/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، مصدر سابق].

لقد كان هذا الرجل وهو عيينة بن حصن[١] ممن يتقي رسول الله ﷺ شره، فلم ينبسط له إلَّا عندما اقترب منه اتقاءَ قبح كلامه لأنه كان من جفاة العرب، أو لعله لم يكن أسلم قبل ذاك فخشي من لسانه وأذيته، وفي هذا النموذج طريقةُ نبوية في التعامل مع المخالفين وذلك بـ «مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤدِّ ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى ... والفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقولٍ فلم يناقض قولَه فيه فعلُه، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن العشرة»[٢]، وهكذا يجب على الدعاة إلى الله أن يحسنوا التعامل مع المخالف حتى لا يفحش شره، وأنَّ مثل ذلك لا يُعدُّ من المداهنة، بل أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، فلْيُقْصِر العبارة أولئك الذين ليس لهم إلَّا لمزُ الدعاة والعلماء واتهامهم بالمراوغة والتميع بسبب الحلم والفطنة اللتين تلقوهما من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

المحور الخامس: الدعاء بطلب الخلق الحسن من الواحد الواهب سبحانه.

فقد كان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلاَّ أنت**»[٣]،

---

(١) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك، يقال كان اسمه حذيفة فلقب عيينة، لأنه كان أصابته شجة فَجُحِظَتْ عيناه، قال ابن السكن: له صحبة وكان من المؤلفة، أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنينًا والطائف، وبعثه النبي ﷺ لبني تميم فسبي بعض بني العنبر، ثم كان مِمَنْ ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام، وكان فيه جفاء سكان البوادي، [وقد مات في خلافة عثمان، ولا يصح أن عمر قتله]، مات عن عشرة من الولد [انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/٧٦٧ ـ ٧٦٩)، مصدر سابق].

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٠/ ٤٥٤)، مصدر سابق.

(٣) تقدم تخريجه (ص١٥٤).

وهذا يدل على أهمية الأخلاق الفاضلة، وأنها صفة أهل الإيمان لا يهجرها إلَّا العصاة والمذنبون.

فينبغي لأهل الإيمان أن يسألوا الله ﷻ ما سأله نبيهم ﷺ من حسن الأخلاق وذلك بطلب **أكملها وأفضلها**.

المحور السادس : الترغيب في حسن الخلق :

وهذا يتجلى في كثير من أقواله ﷺ، ومن ذلك : قوله ﷺ : «**إنّما بعثتُ لأتمّم صالحَ الأخلاق**»[١]، وقوله ﷺ: «**ما مِنْ شيءٍ أثقلُ في الميزان من حُسْنِ الخلق**»[٢]، وقوله ﷺ « **أنا زعيم ببيتٍ** في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، **وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَه**»[٣]، وقوله ﷺ : « **إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم**»[٤] ونحوها من الأحاديث الصحيحة، ومن هنا تظهر أهمية الأخلاق في أقواله ﷺ وأنه لا غنى للمسلم عنها لأنها مصباحه الذي يضيئ له الطريق، فإذا انعدمت صار في الظلمات ليس بخارج منها حتى يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ ، لأنها كمال النفوس ورجاحتها.

وما الناسُ إلَّا مَنْ تكاملَ فيهمُ ... سماحةُ أخلاقٍ وعِفَّةُ أَنْفُسِ

الأمثلة التطبيقية لأخلاق النبي ﷺ القولية :

جاء في الصحيحين : «أن عَلِي بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بعثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اليمن بذهيبة[٥].. فقسمها بين أربعة نفر .. فقال رجل من

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٣) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٤) تقدم تخريجه (ص١٥٠).

(٥) تصغير ذهبة.

أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً، ... فقال : يا رسول الله اتق الله، قال : ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله، ثمَّ ولَّى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، قال : **لا لعله أن يكون يصلي** ، فقال خالد : وكم مِنْ مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ : «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»[1].

فقد وجَّه النبي ﷺ خالدًا رضي الله عنه إلى أحسن الخلق وأعلاه من خلال دعوته إلى حسن الظن بقوله : «**لعله أن يكون يصلي**» **وبقوله** : «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»، ولم ينتقم ﷺ لنفسه بل عفا وسامح، وهذا أكمل الخلق وأزكاه.

ومن أخلاقه ﷺ اعتذاره لحاطب بن أبي بلتعة الذي «كتب إلى قريشٍ كتابًا يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جعلًا على أن تُبلِّغه قريشًا»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فرد عليه بقوله «**إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[2].

فقوله ﷺ لعمر : «**إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» يدل على الخلق النبيل حيث التمس لحاطب العذر، ولم يعاقبه بسبب كتابه لقريش، واستفصله بقوله: «يا حاطب ما هذا ؟» قال : «**لا تعجل عليَّ يا رسول الله إني كنت امرأً ملصقًا في قريش ، وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ**

(١) تقدم تخريجه (ص١١٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٢٥).

فيهم يدًا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام ، فقال النبي ﷺ : **لقد صدقكم**»[(١)].

هذا هو رسول الرحمة واللين والخلق الحسن ﷺ ، وهذه هي أخلاقه النيِّرة :

سأجعلُ عروتيْ الوُثقى يقينيْ ... لصحَّةِ ما أتيتُ بهِ وحبّي
عسى ودٌّ ثوى لكَ في فؤاديْ ... على بُعْدٍ سيُوجِبُ منكَ قُربي
شهدتُ بأنَّ دينَكَ خيرُ دينٍ ... بلا شكٍ وصحبَكَ خيرُ صَحبِ

❁ ❁ ❁

---

(١) هو جزء من الحديث السابق.

المطلب الثاني
حال السلف ومواقفهم الأخلاقية القولية

لقد كان سلفنا الصالح «يدعون إلى مكارمِ الأخلاق ومحاسِن الأعمال»[١] من خلال توجيهاتهم ونصائحهم لإخوانهم المسلمين، وكان من تمام أخلاقهم أنهم يتواصَون بصلةِ الأرحام، وإفشاءِ السلام، وإطعام الطّعام، والرحمةِ للفقراء، والمساكين، والأيتام والاهتمامِ بأمور المسلمين، والتعفُّف في المأكلِ والمشرَب، والملبس، والمصرَف والسعيِ في الخيرات، والأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، والبدار إلى فضل الخيرات أجمَع، واتّقاء شرّ الطمع، ويتواصَون بالحقّ ويتواصَون بالصبر **ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها**[٢]**، وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ**[٣].

ومن هنا كانت عنايتهم رضي الله عنهم بالأخلاق الحميدة حتى قال ابن سيرين: «**كانوا يرون حسن الخلق عونًا على الدين**»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٥٨)، مصدر سابق.

(٢) السَّفْسَافُ: الرديء من كل شيء والأمر الحقير، وفي الحديث «إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها» [مختار الصحاح للرازي (ص٣٢٦)، مصدر سابق]، والحديث حسن لغيره جاء عن الحسين بن علي، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [(٣/١٣١ رقم ٢٨٩٤، وفي إسناده: خالد بن إلياس ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وبقية رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٣٤٤)، لكن له شاهدان يحسن بهما: الأول من حديث سهل في المعجم الأوسط (٣/ ٢١٠ رقم٢٩٤٠، والثاني عن جابر بنحوه في الأوسط أيضًا (٧/ ٧٨ رقم ٦٩٠٦)].

(٣) العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص٣٢)، تحقيق محمد ابن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٢٧٤).

ولمعرفة بعض أقوالهم وأقوال من تبعهم بإحسانٍ في هذا المضمار، هذه جملةٌ من الآثار المباركة :

جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «**خِلال المكارم عشر : تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يجعلها إليه حيث شاء: صِدْقُ الحديث، وصدق الناس، والمكافأة بالصنائع**(١)**، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم**(٢) **للجار، والتذمم للصاحب، وإعطاء السائل، وإقراء الضيف، ورأسهن الحياء**»(٣)، وقال عمر رضي الله عنه : «**حَسَبُ**(٤) **الرجل دينُه، ومروءته خُلُقُه، وأصله عقله**»(٥) وخطب رضي الله عنه الناس فقال : «**ما استفاد عبدٌ بعد إيمان بالله خيرًا من امرأة حسنة الخلق، ودود ولود، وما استفاد عبد بعد كفر بالله فاتنةً شرًا من امرأة حديدة اللسان**(٦)**، سيئة الخلق**»(٧).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «**التوفيق خير قائد، وحسن الخلق قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العُجْب**»(٨).

وسئل ابن عباس ما الكرم؟ فقال : هو ما بيَّن الله في كتابه العزيز «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**» قيل: فما الحسب؟ **قال : أحسنكم خُلُقًا أفضلكم حسبًا، وقال : «لكل بُنيانٍ أساس، وأساس الإسلام حسن الخلق»**(٩).

---

(١) بمعنى المجازاه على المعروف.

(٢) هو أن يَحْفظ ذِمَامَه [يعني حرمته] ويَطْرح عن نَفْسه [النهاية لابن الأثير (٢/ ١٦٩)، مصدر سابق].

(٣) الزهد لهناد (٢/ ٥٠٨)،تحقيق الفريوائي،دار الخلفاء بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦،هـ.

(٤) الحَسَبُ: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، وقيل: حسبه دينه، وقيل ماله، و[يقال] الرجل حَسِيبٌ [انظر مختار الصحاح للرازي (ص١٦٧)، مصدر سابق].

(٥) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (٥/ ٢١٢)، مصدر سابق.

(٦) وهي التي تخاطب زوجها بشدة وقسوة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩].

(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٨٢)، مصدر سابق.

(٨) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ١٦١)، مصدر سابق.

(٩) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٥٣)، مصدر سابق.

وعن أم الدرداء[١] قالت: «بات أبو الدرداء ليلةً يصلي، فجعل يبكي وهو يقول « **اللهم أحسنْتَ خَلْقي فَحَسِّن خُلُقي حتى أصبح فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلاَّ في حُسْن الخُلُق، فقال: يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حسن الخلق الجنة، ويسيء خلقه حتى يدخله سوء خلقه النار**»[٢].

وقال سعيد بن العاص[٣]: «**يا بَنِيّ إن المكارم لو كانت سهلةً يسيرة لسابقكم إليها اللئام، ولكنها كريمة مُرَّة، لا يصبر عليها إلاَّ من عَرَفَ فضلها رجاء ثوابها**»[٤].

وقال عطاء: «ما ارتفع مَنْ ارتفع إلَّا بالخُلُق الحسن، ولم ينل أحد كماله إلَّا المصطفى ﷺ، **فأقرب الخلق إلى الله** ﷻ السالكون آثارَه بحسن الخلق»[٥].

وكان جعدة بن هبيرة[٦]: «**إذا زوَّج شيئًا من بناته خلا بها فينهاها عن**

---

(١) أم الدرداء زوجة أبي الدرداء،وهي أم الدرداء الكبرى، وكانت من فضلاء النساء وعقلائهن، وذوات الرأي منهن مع العبادة والنسك، توفيت قبل أبي الدرداء بسنتين، وكانت وفاتها بالشام في خلافة عثمان، روت عن النبي ﷺ وزوجها أبي الدرداء، روى عنها صفوان بن عبد الله بن صفوان، وميمون بن مهران، وأم الدرداء الصغرى، وهي أيضًا زوج أبي الدرداء، وليس لها صحبة، قيل إن معاوية خطبها بعد أبي الدرداء فأبت [الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٩٢٣٤)].

(٢) الأدب المفرد للبخاري (ص١٠٨)، مصدر سابق.

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عثمان،ولم يكن للعاص ولد غير سعيد المذكور، قال أبو حاتم: له صحبة، قلت [القائل ابن حجر] كان له يوم مات النبي ﷺ تسع سنين وقتل أبوه يوم بدر قتله علي، وكان من فصحاء قريش، وولي الكوفة وغزا طبرستان ففتحها، وغزا جرجان وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة، وولي المدينة لمعاوية، مات في قصره بالعقيق سنة ٥٣هـ. [الإصابة لابن حجر (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، مصدر سابق].

(٤) شعب الإيمان (٦/ ٣٦٥).

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٥٣)، مصدر سابق.

(٦) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي المخزومي، ولد على عهد النبي ﷺ وأرسل عنه، =

سيء الأخلاق، ويأمرها بأحسنها»[١].

وقال الفضيل بن عياض: «**لأن يصحبني فاجر حَسَنُ الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني عابدٌ سيئ الخلق**»[٢].

ولما سئل عن سبب ذلك؟

قال: «لأن الفاجر الحَسَنَ الخلق يصلحني بحسن خلقه، ولا يضرني فجوره، والعابد السيء الخلق يفسدني في سوء خلقي ولا ينفعني بعبادته، لأن العبادة له وسوء خلقه عليّ، وفجور الفاجر عليه، وحسن خلقه لي»[٣].

وعن حكيم بن جابر[٤] قال قال رجل لرجل أوصني: قال: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس خُلُقًا حسناً**»[٥].

وعن معن[٦] قال: كان عبد الله[٧]: «مما يدعو يقول: اللهم أعني

= وولي خراسان لعلي، مات جعدة في خلافة معاوية، وقد اختلف في صحبته، والراجح أنه صحابي صغير له رؤية، وهو الأشجعي على الصحيح، وليسا اثنين، وقد فرق بينهما ابن عبد البر في الإستيعاب [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٥٢٧)، مصدر سابق].

(١) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (٣/ ٥٥٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣٩).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٥٢)، مصدر سابق.

(٤) حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسي، أرسل عن النبي ﷺ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم، وعنه إسماعيل بن أبي خالد وبيان وطارق بن عبد الرحمن، وهو ثقة، مات في آخر أمارة الحجاج، سنة ٨٢هـ، وقيل ٩٥هـ. [تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٨٢/٢)، مصدر سابق].

(٥) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (٥/ ٢١١)، مصدر سابق.

(٦) معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي أبو يحيى المدني، أحد أئمة الحديث، روى عن إبراهيم بن طهمان وغيره،روى عنه إبراهيم المنذر الحرمي وغير، مات بالمدينة في شوال سنة ١٩٨هـ، وكان ثقة كثير الحديث ثبتًا مأمونًا. [تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٢٦/١٠)، مصدر سابق].

(٧) عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله، ويقال أبو عبيد الله، ويقال أبو عبد الرحمن المدني، ويقال الكوفي، أدرك النبي ﷺ ورآه وروى عنه وعن عمه عبد الله بن مسعود وعمر وغيرهما، وعنه أبناه عبيد الله وعون وغيرهما، كان ثقة رفيعًا كثير الحديث، يؤم الناس بالكوفة، مات في ولاية بشر بن مروان سنة٧٤هـ[تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٢٧٢)، مصدر سابق].

على أهاويل[(١)] الدنيا، وبوائق[(٢)] الدهر، ومصائب الليالي، والأيام، واكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض، اللهم اصحبني في سفري، واخلفني في حضري، وإليك فحببني، وفي أعين الناس فعظمني، وفي نفسك فاذكرني، وفي نفسي لك فذللني، **ومن شر الأخلاق فجنبني يا رحمن**، إلى من تكلني، أنت ربي، إلى بعيد يتجهمني[(٣)]، أم إلى قريب ملكته أمري»[(٤)].

وعن جعفر بن بَرْقان[(٥)] قال بلغني: أن ابن منبه كان يقول: «**أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا**، وأوشكها ردًا اتباع الهوى، ومِنِ اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن استحلال المحارم يغضب الله، وغضب الله الداء الذي لا دواء له إلَّا رضوان الله، ورضوان الله دواء لا يضر معه داء، ومن يُرِدْ أن يُرضي ربه يُسْخِطْ نفسه، ومن لا يسخط نفسه لا يُرضي ربه، إنْ كان كلما ثَقُل على الإنسان شيء من دينه تَرَكَه أوشك أن لا يبقى معه شيء»[(٦)].

وقال رجل لأحنف بن قيس: دلني على مروءة بلا مؤونة[(٧)]، قال: «**عليك بالخلق الفسيح، والكف عن القبيح، وأعلم أن الداء الذي أعيا الأطباء اللسان البذيء، والفعل الرديء**»[(٨)].

---

(١) أي محنها وشدائدها.

(٢) غوائله وشره.

(٣) أَي يلقاني بالغِلْظة والوجه الكريه [انظر لسان العرب لابن منظور (١٢/ ١١٠)، مصدر سابق].

(٤) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (٦/ ٦٨)، مصدر سابق.

(٥) جعفر بن برقان، مفتي الجزيرة، ومحدثها الإمام أبو عبد الله الكلابي مولاهم الرقي، حدَّث عن يزيد بن الأصم وميمون بن مهران وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، عنه السفيانان ومعمر وزهير بن معاوية وغيرهم، مات ١٥٤هـ [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٧١)، مصدر سابق].

(٦) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (٧/ ١٨٤)، مصدر سابق.

(٧) كلفة.

(٨) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٢٤٦)، مصدر سابق.

وقال آخر للأحنف بن قيس : «يا أبا بحر دلني على أحمد أمرٍ عاقبةً ؟ فقال له: **خالق الناس بخلق حسن، وكف عن القبيح، ثم قال له** : «**ألا أدلك على أدوى الدواء ؟ قال : بلى، قال : اكتساب الذم بلا منفعة، واللسان البذيء، والخلق الرديء**»[١].

وقال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق»[٢].

وقال أيضًا : «**سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنةٌ لا تضر معها كثرة السيئات**»[٣].

وودَّع بعضهم أخًا له عند سفره فقال له : عظني، فقال:

وما المرءُ إلَّا حيثُ يجعلُ نفسَهُ ففي صالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجعلِ[٤]

ويُروى أنَّ ابن لقمان الحكيم قال لأبيه : «يا أبتِ أيُّ الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال : فإذا كانت اثنتين، قال : الدين والمال، قال : فإذا كانت ثلاثًا، قال: الدين والمال والحياء، قال : فإذا كانت أربعًا، قال: **الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال** : **فإذا كانت خمسًا، قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء**، قال: فإذا كانت ستًا، قال: يا بُني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقى ولله ولي، ومن الشيطان بري»[٥].

وصحب ابن المبارك رجلًا سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى، فقيل له في ذلك ؟ فقال : بكيته رحمةً له فارقتْه

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٢٤٧).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٥٢)، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق (٤/ ٥٢).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٥٧ رقم ٨٥٠٦)، مصدر سابق.

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي أبي حامد (٣/ ٥٢)، مصدر سابق.

وخلقه معه لم يفارقه»[١]، وقال الجنيد[٢]: «أربعٌ ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قلَّ عمله وعلمه: **الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان**»[٣].

ونحوها من الآثار الكثيرة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأمور.

وتتلخص دعوة سلفنا الصالح إلى الأخلاق الحسنة وتأصيلها في المجتمع الإسلامي في أمور، أهمها على سبيل الإيجاز ما يلي:

١. تجنب السخرية ومواطن التجريح.
٢. تقديم النصح وفق مقتضى الحال.
٣. التزام الحكمة.
٤. الدعاء بطلب حسن الخلق من الله وحده.
٥. المداراة من غير مداهنة.
٦. التوسط بين الإفراط والتفريط.
٧. إيثار المدعوين.
٨. الدعوة إلى الحلم واللين والعفو وحسن الظن والتماس الأعذار.
٩. نبذ مصاحبة اللئام.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٥٢).

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز، ويقال القواريرى كان أبوه قواريريًا، وكان خزازًا، وأصله من نهاوند إلَّا أن مولده ومنشأه ببغداد، سمع الحسن بن عرفة وتفقه على أبى ثور، وكان يفتى بحضرته وهو ابن عشرين سنة، وصحب جماعة من أهل الخير واشتهر بصحبة الحارث المحاسبى وسرى السقطى، ولازم التعبد حتى مات سنة ثمان وتسعين للهجرة [المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (١٣/ ١١٨)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.].

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٥٢)، مصدر سابق.

١٠. الإرشاد إلى قبول النصح، والاعتراف بالخطأ.

الأمثلة التطبيقية في حياة السلف من خلال حثهم الناس على الأخلاق :

لقد أرشد سلفنا الصالح هذه الأمة إلى الأخلاق الفاضلة ونصحوهم بمخالطة ذوي الأخلاق الكريمة، وحذروهم من مساوئ الأخلاق وأهلها أسوةً بالرسول ﷺ

وإليك جملةً من هذه الأمثلة التطبيقية :

قال عمر رضي الله عنه : «**خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال**»[١].

وقال الفضيل: «إذا خالطت فخالط حسن الخلق فإنه لا يدعو إلَّا إلى خير، ثم قال : ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال : بالسكينة والوقار، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال : إن جَهِلَ عليه حلم، وإن أسيء إليه أحسن، وإن حُرِمَ أعطى، وإن قطع وصل أولئك»[٢].

وعن معاذ بن سعد الأعور[٣] قال : «كنت جالسًا عند عطاء بن أبي رباح، فحدث بحديث فعرض رجل من القوم في حديثه فغضب، **وقال** : **ما هذه الأخلاق وما هذه الطبائع إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أني لا أحسن شيئًا منه**»[٤].

ويُروى عن سفيان بن حسين[٥] أنه قال : «ذكرت رجلًا بسوء عند

---

(١) مداراة الناس لابن أبي الدنيا (ص٣٧)، مصدر سابق.

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٨٦٤)، مصدر سابق.

(٣) روى عن عطاء،وعنه مهدي بن ميمون [تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ١٧٣)، مصدر سابق].

(٤) حلية الأولياء لأبي النعيم الأصبهاني (٣/ ٣١١)، مصدر سابق.

(٥) سفيان بن حسين بن الحسن أبو محمد ويقال أبو الحسن الواسطي،روى عن إياس بن معاوية والحكم بن عتيبة وغيرهما، وعنه شعبة وعمر بن علي المقدمي ومحمد بن يزيد الواسطي وغيرهم، مات بالري مع المهدي وكان مؤدبًا ثقة [انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٩٦)، مصدر سابق].

إياس بن معاوية[١]، فنظر في وجهي، وقال: أغزوت الروم؟! قلت: لا، قال: السند والهند والترك، قلت: لا، قال: **أفيسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم**[٢]؟!

قال: فلم أَعُد بعدها»[٣] ونحوها من الأمثلة التطبيقية التي تدل على

---

(١) إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني أبو واثلة البصري قاضيها، ولجده صحبة، روى عن أنس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم، وعنه أيوب وحميد الطويل والحمادان وسفيان وحسين وغيرهم، كان ثقة، مات سنة **١٢٢**هـ. [تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٤١)].

(٢) الناظر اليوم إلى مجتمعنا الإسلامي يجد ما يكدِّر الخاطر ويُدْمي القلب ويبهت العقل لما يقوم به بعض أفراد هذه الأمة من النقد اللاذع والفحش الظاهر لمن يخالفه الرأي ولو في مسألة سائغ فيها الخلاف، ناهيك عن جملة الافتراءات والشتائم والدعاوي التي لا تقوم على برهان، وهذا يُنبئ عن خطر عظيم وشر مستطير، والمؤسف من ذلك كله وجود من ينتسب للعلم الشرعي ممن لم يوطد نفسه بانتحاله هذا المنهج المخالف للفطرة فضلًا عن مخالفته الشريعة.

وقد يغلب على بعضهم النية الحسنة ودعوى التقرب إلى الله بنقد المخالف بقسوة تحت ستار «علم الجرح والتعديل» هذا العلم الذي لم يقم إلاَّ على ضوابطَ متينة وِفْقَ شروط رصينة يتصدره أكابر علماء كل عصر ممن شُهِد له بسعة العلم والورع والزهد، وكان إمامًا لأهل بلدته أو قبلةً لعلماء عصره ممن يشتغل بعيبه أكثر من شغله بعيب غيره إلاَّ ما أضطر إليه عند أن يجد أن المصلحة تدفعه لنقد المخالف الذي إن سكت عنه أفضى إلى مفسدة أعظم بعد أن يتحرى الصواب ويقدم نصيحة السر وليس ما أنكره على المخالف من المسائل المستصاغ فيها الخلاف ونحوها من الضوابط التي اعتمدها أهل هذا الشأن.

أمَّا شخصٌ لم يطلب العلم أصلاً أو طلب العلم خمس سنين ونحوها أو دونها ولم يملك آلة الاجتهاد ولم تنطبق في حقه شروط المُجَرِّح فلا يُعدُّ تجريحه حجة لأنه لا يخرج تجريحه عن ستة أمور: مبالغ في الجرح، أو ناقد لمن لا يستحق النقد، أو أراد التشفي، أو الانتقام، أو الظهور، أو التزلف من فلان الذي اتخذه قبلةً ودينًا يسير عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

وهذه الأمور سببها قلة العلم والتصدر قبل الأهلية وما أكثرهم اليوم!!

ومهما يكن من شيئ فإن صلاح الأمة لا يقوم على أساس الكراهية وإرساء العداوات وإجحاف الحقوق وإهمال ذوي القدرات العلمية بحجة خطأ أو هفوة، وإنما الصلاح بتتبع هدي الإسلام والوقوف حيث وقف سلفنا الصالح، فإن العبد يرتكب الذنب اليوم ويتركه غدًا لكونه مجبولاً على ذلك.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٣٦)، مصدر سابق.

حرص السلف على الأخلاق الحسنة وتعليمها للناس، فرضي الله على أولئك القوم الذين تدرَّعوا الإيمان والعمل:

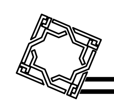
أَسلافُ خَيرٍ لِلكَمالِ تَسابقوا ... بِعَزيمةٍ وَتَدرَّعوا الإِيمانا
كانتَ قُلوبُهُمُ تَفيضُ بَرَحمةٍ ... لما اهتدوا وتدبروا القرآنا
رَفَعوا البِناءَ فَجاءَ خَلفٌ بَعدَهُم ... نَشَرَ الفَسادَ وَقَوَّضَ[1] البُنيانا
خُلِقَ العِبادُ إِلى السَعادةِ وَالصَفا ... لَكِن لِسوء الحَظِّ ما أَشقانا
حَسَدٌ وَبُغضٌ وَاِغتيابٌ قَد فَشا ... بَينَ الشُعوبِ وَهَدَّمَ الأَركانا
لَو كانَ فينا أَلفةٌ وَتَحاببٌ ... ما اِستَعبَدَتنا في الوَرى أَعدانا

❀ ❀ ❀

(١) قَوَّضَ البناء تقويضًا: نقضه من غير هدم، وتَقَوَّضَتِ الحِلَق والصفوف: انتقضت [انظر مختار الصحاح للرازي (ص٥٦٠)، مصدر سابق].

المبحث الثاني

الأخـلاق العمليـــة



وهي مجموعة السلوكيات التي دعانا الإسلام إليها وطلب منا فعلها، منها ما هو على سبيل الإلزام ومنها ما هو على سبيل الندب، وتتمثل في «سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس، وهو في ذات الله ﷻ أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه، يفعل ما فرض عليه طيبَ النفس به سلسًا نحوه، وينتهي عما حرم عليه واسعًا به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، وتَرَكَ كثيرًا من المباح لوجه الله تعالى إذا رأى أنَّ تَرْكَه أقرب إلى العبادة من فعله، متبشرًا لذلك غير ضجر منه، و لا متعسر به، وهو في المعاملات بين الناس أن يكون سمحًا بحقوقه لا يطالب غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليها منه، فإنْ مرض فلم يُعد أو قَدِم من سفر فلم يُزر أو سَلَّم فلم يُرد عليه أو ضاف فلم يُكرَم أو شفع فلم يُجب أو أحسن فلم يُشكر أو دخل على قوم فلم يُمَكَّن أو تكلم فلم يُنصت له أو استأذن على صديق فلم يَأذن له أو خطب فلم يُزوج أو استمهل الدَّين فلم يُمهل أو استنقص فلم ينقص وما أشبه ذلك لم يَغْضب و لم يُعَاقب ولم يتنكر من حاله حال ولم يستشعر في نفسه أنه قد جُفِي وأُوْحِش، وأنَّه يُقال كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل يُضَم أنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل كلًا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى، وأشبه بما يُحمد و يُرضى، ثم يكون في إتقاء ما يكون عليه كهو في حظ ما يكون له، فإذا مَرِض أخوه المسلم عاده، وإن جاءه في شفاعة [شَفعَ له] وإن استمهله في

قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى أنَّ الذي عامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا أو كيف يعامل الناس، **إنما يتخذ الأحسنَ إمامًا لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه،** والخلق الحسن: قد يكون غريزة[(١)]، وقد يكون مكتسبًا، وإنما يصح اكتسابه لمن كان في غريزته أصل منه فهو يضم ما اكتسابُه إليه ما يضمه، ومعلوم في العادات أن ذا الرأي بمجالسته أولي الأحلام و النهي [يزداد] رأيًا، وأن العالم يزداد بمخالطة العلماء علمًا، وكذلك الصالح والعاقل بمجالسة الصلحاء والعقلاء [يزداد صلاحًا وعقلًا]، **فلا يُنكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولي الأخلاق الحسنة**»[(٢)].

وها هو سبحانه يحث نبيه ﷺ على فعل هذه المكارم العظيمة بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال جعفر الصادق: «أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية»[(٣)].

وقد اشتملت هذه الآية، والتي بعدها[(٤)] «على أربع قواعد في التعامل مع الناس:

فأولها: أَخْذُ العفو.

---

(١) الصحيح في الأخلاق أنها مكتسبة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨] قال ابن خلدون في مقدمته (ص١٢٥): «إن الإنسان ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقًا وملكةً وعادة تنزل بمنزلة الطبيعة والجدة»أهـ، لكن قد يجبل الله الشخص على مكارم الأخلاق مِنَّةً يمنها على من يشاء من عباده كما مَنَّ بذلك على أنبيائه ومن ارتضى من خلقه.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٢٢٩)، مصدر سابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٧/ ٣٤٥)، مصدر سابق.

(٤) وهي في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وثانيها : الأمرُ بالمعروف.

وثالثها : الإعراضُ عن الجاهلين.

ورابعها : الإستعاذةُ بالله من نزغ الشيطان»[(١)].

ثم حُسْنُ الخُلُق عمليًا «يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلَّا عليها : **الصبر والعفة والشجاعة والعدل**»[(٢)].

فالصبر حبس النفس على طاعة الله وحبسها عن معصيته، وصاحب الخلق الحسن يحلم عمن **جَهِلَ عليه**، ويحسن لمن **أساء إليه**، ويعطي **من حرمه**، ويصل **من قطعه**، ويعفو عمن **ظلمه**، **ولا يتصف بمثل هذه الصفات إلاّ رجل عُرِف بالصبر**، فهذا ركن الصبر الذي قال الله عنه: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عِمرَان: ١٨٦].

وأما العِفَّة فهي «العفاف يعني التنزه عما لا يباح والكف عنه»[(٣)] وهذا الركن يُلزم صاحب الخلق الحسن بالتنزه «عن المحرمات والمكروهات وما يخل بكمال المروءة»[(٤)] فإنه لا يعد مرتكب المحرمات والمكروهات وما يخل بكمال المروءات من ذوي الأخلاق الحسنة.

وكذلك صفة الشجاعة صفة لازمة في حق ذوي الأخلاق الفاضلة، لأنها «فضيلة بين التهور والجبن، ومِنْ ثَمَّ عرفت بأنها ملكة متوسطة بين الجبن والتهور»[(٥)] فلا يكون الشجاع متهورًا فيسيئ إلى من أساء إليه ويظلم من ظلمه وينتقم لنفسه لأن هذا من الأمور المنافية للأخلاق الحميدة.

وأما ركن العدل الذي يعني الإنصاف والوسطية فهو الملكة التي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٨/ ٣٠٦)، مصدر سابق.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٣٠٨)، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٤) المصدر السابق (الموضع نفسه).

(٥) فيض القدير للمناوي (١/ ٤٩)، مصدر سابق.

يختص بها صاحب الخلق الحسن فيلتمس الأعذار تلو الأعذار للزالين ويقول «لعلَّ لأخي عذرًا غاب عني، فيجد له في الخير محملًا»، وكما قيل :

تأنَّ ولا تعجلْ بلومِكَ صاحبًا لعلَّ له عذرًا وأنت تلومُ

ولإيضاح هذه الأخلاق العملية الكريمة وفق ما كان عليه ﷺ من التطبيق العملي الخلقي، وما كان عليه سلف هذه الأمة، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، سنقف على هذين المطلبين المهمين :

المطلب الأول
التأصيل النبوي للأخلاق العملية

إن المتصفح في كتب الحديث والسير يجد أن النبي ﷺ «من أكمل الناس تربيةً ونشأةً، لم يزل معروفًا بالصدق، والبر [ومكارم الأخلاق] والعدل، وترك الفواحش والظلم، وكلِّ وصف مذموم، مشهودًا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة، ولا يُعرف له شيء يُعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ... ولم يزل قائمًا بأمر الله على أكمل طريقةٍ وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لا يُحفظ له كَذْبَةٌ واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال من حرب وسلم [وأمن] وخوف، وغنى، وفقر، وقدرة، وعجز، وتمكنٍ، وضعف، وقلة، وكثرة»[1].

لقد كانت أفعاله ﷺ تسبق أقواله لأنه المعلم الأول الذي أدبه الله

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٧١،٧٠)، مصدر سابق.

فأحسن تأديبه، لقد كان «في غاية الصدق و الأمانة و السمت الذي لم يَر أولو الألباب مثله ﷺ [في] العبادة لله، والخشوع له، والذلة له، والدعاء إليه، والصبر على أذى من خالفه، واحتماله، وزهده في الدنيا، وأخلاقه السنية الشريفة : من الكرم والشجاعة والحياء والبر والصلة إلى غير ذلك من الأخلاق التي لم تجتمع في بشر قبله ولا بعده إلَّا فيه»[(١)].

يقول عبد الله بن سلام[(٢)] رضي الله عنه، وهو يحكي لنا قصة معرفته برسول الرحمة والخلق الحسن ﷺ من خلال واقع حياته، يقول : «لما قدم رسول الله ﷺ انجفل الناس إليه، وقيل : قدم رسول الله ﷺ ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنْتُ وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال : «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام**»[(٣)].

لقد أيقن ابن سلام من أول نظرةٍ رأى فيها رسول الله ﷺ أن وجهه ليس بوجه كذاب، **وتمكن صدقه وأمانته في قلبه لمَّا سمعه يدعو إلى مكارم الأخلاق من إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وإقامة الصلاة للواحد الديان، ثم لقي** رسول الله ﷺ **مرة أخرى،** فتقدم إليه بثلاثة أسئلة «فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلَّا نبي، فما أول شرط الساعة، وما أول طعام أهل

---

(١) الفصول في سيرة الرسول، لإسماعيل بن كثير(ص٢٢٨)، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

(٢) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي ﷺ، حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفًا لهم، وكان من بني قينقاع، يقال كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ، روى عنه ابناه يوسف ومحمد وغيرهما، ومن الصحابة أبو هريرة وعبد الله بن معقل وغيرهما، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين للهجرة [الإصابة لابن حجر (١١٨/٤)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ٤٢ (٦٥٢/٤ رقم ٢٤٨٥]، والحديث صحيح.
قوله «انجفل الناس إليه»: أي ذهبوا مسرعين إليه، «استبنت وجه رسول الله» عرفته وتبينته [تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (١٥٨/٧)،مصدر سابق].

الجنة، وما ينْزِع الولدَ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني جبريل آنفًا»، قال: جبريل ؟!!

قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٩٧]، أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولدَ، وإذا سبق ماء المرأة نزعتْ».

قال : «**أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنك رسول الله**، يا رسول الله : إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ : أيُّ رجل عبد الله فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا.

قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام.

فقالوا : أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: **أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله**، فقالوا : شرنا وابن شرنا، وانتقصوه.

قال : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»[(١)].

وفي خبر الجَلَنْدى ملك عمان[(٢)] ـ لما بلغه أن رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام ـ قال الجلندى : «والله لقد دلَّني على هذا النبي الأمي أنه **لا**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة (١٦٢٨/٤ رقم ٤٢١٠)] من حديث أنس.
قوله «زيادة كبد الحوت» الزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة، ويقال إنها أهنأ طعام، قوله «فإذا سبق ماء الرجل نزع الولدَ» بالنصب على المفعولية أي جذبه إليه [كان الشبه له]، قوله «قوم بهت» بضم الموحدة والهاء ويجوز إسكانها، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب [فتح الباري لابن حجر (٢٧٣/٧)، مصدر سابق].

(٢) لم أقف له على ترجمة وافية سوى ما يذكره بعض أهل السير والمغازي من الأخبار، أشهرها ما ذكرناه في الأصل.

يأمر بخير إلاَّ كان أولَ آخذٍ به، و لا ينهى عن شيء إلاَّ كان أولَ تاركٍ له، وأنه يَغِلب فلا يَبْطَر، ويُغلب فلا يَضجر، ويفي بالعهد، وينجز الموعود، وأشهد أنه نبي»(١).

لقد دلت أخلاقه ﷺ على جميل أفعاله، فصدَّقه الناس، وقالوا عنه: إنه الصادق الأمين قبل أن يبلغهم الوحي، فلما نزل الوحي توثقت أخلاقه بالعروة الوثقى، كما قال ابن رواحة:

لَو لَم تَكُن فيهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كانَت بَديهَتُهُ تُنبيكَ بِالخَبَرِ

فَثَبَّتَ اللَهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ ... قَفَوتَ عيسى بِإِذنِ اللَهِ وَالقَدَرِ

يقول أنس رضي الله عنه: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍ قط، **وما قال لشيء صنعتُه لِمَ صنعتَه؟ ولا لشيءٍ تركتُه لِمَ تركتَه؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسنِ الناس خُلُقًا»**(٢).

وكل ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيرته وحلمه و كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله التي عُرِفَ بها ﷺ دليل على أخلاقه الكاملة الفاضلة.

وإليك أخي القارئ الكريم هذه المواقف النبوية الكريمة التي تدل على جميل معاملته للناس في زمانه حلمًا ولينًا وحكمةً وأدبًا وخلقًا:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟، قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي (١/ ١٩٠)، تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ص٤٢٥)، تحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، القاهرة،الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) أخرجه الترمذي [كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ (٤/ ٣٦٨ رقم ٢٠١٥)]، والحديث صحيح.

أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثعالب[١] فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئتَ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٢]؟ فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[٣].

هذا هو صبره ﷺ وتجلده، فإنه «لما مات أبو طالب [الذي كان ينافح ويدافع عنه] اشتد أذى قومه له، فخرج إلى الطائف رجاء أن يأووه وينصروه فأذاقوه أشدَّ من قومه، ورماه سفهاؤهم بالحجارة حتى دميت قدماه، ... حتى انصرف راجعًا إلى مكة محزونًا فعند ذلك أرسل إليه ربه ملك الجبال فسأله أن يطبق على قومه الأخشبين»[٤]، فأبى ذلك، بل عفا وسامح رجاء أن يهديهم الله ولو بعد حين، رغم شدة الأذى الذي لاقاه، فأين المتتبعون لأثره، المتمسكون بسنته، الدَّاعون إلى دينه، أين هؤلاء من هذه الأخلاق، وهذا الصبر الجميل، **إني أهمس في أُذُنِ كل داعيةٍ لأقول له: اجعل صدرك وطنًا فسيحًا لأمة محمد ﷺ، واحمل لواء الخلق الحسن قولاً وعملاً فإن نجاحك بعملك الصالح وأخلاقك الفاضلة لا بكثرة علمك ورونق أسلوبك وفصاحة لسانك** ، فالصبرَ الصبرَ، ولا تضجر فإن البناء لا يتم إلَّا بعد العناء:

---

(١) قرن الثعالب: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.[انظر المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ١٥٥)].

(٢) هما بفتح الهمزة وبالخاء والشين المعجمتين، وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله. [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٢/ ١٥٥)، مصدر سابق].

(٣) تقدم تخريجه (ص٩٨).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ١١٩)، مصدر سابق.

اصــبـرْ لـكـلِّ مُـلـمّـةٍ وتـجـلَّـدِ ... واعـلـمْ بـأنَّ الـمـرءَ غـيـرُ مُـخـلَّـدِ
وإذا ذكـرتَ مـحـمـدًا ومُـصـابَـهُ ... فـاذكـرْ مُـصـابك بـالـنـبـيِّ مـحـمّـدِ

ومن حسن أخلاقه ﷺ :

ما رواه الصعب بن جثامــة[(١)] قال: «**أهديت إلى رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا**[(٢)] **فرده عليَّ، فلما رأى ما في وجهي قال: «إنَّا لم نرده عليك إلاَّ أنَّا حُرُم»**[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **أن الرسول ﷺ استدان من رجل مالاً، فجاء الرجل يتقاضى من النبي ﷺ فأغلظ له القول، فهمّ به أصحابه، فقال ﷺ «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»**[(٤)].

وفي هذا الحديث مراعاة شعور الآخرين، وحسن التعامل معهم بألطف عبارة، وأحسن إشارة، مع التماس الأعذار لسوء ما بدر منه، وهذا الفعل منه ﷺ ينبئ عن عاقبة الأخوة الإسلامية، وكما قال بعضهم :

---

(١) الصعب بن جثامة بن قيس بن عبد الله بن يعمر الليثي الحجازي، وهو أخو محلم بن جثامة، روى عن النبي ﷺ، وعنه عبد الله بن عباس، هاجر إلى النبي ﷺ، وكان ينزل بودان من أرض الحجاز، ومات في خلافة أبي بكر الصديق، وقيل بعد خلافة أبي بكر فقد ذكر يعقوب بن سفيان عن عروة قال: لما ركب أهل العراق في الوليد يعني ابن عقبة كانوا خمسة منهم الصعب بن جثامة، قال، وقد أخطأ من قال مات الصعب في خلافة أبي بكر خطأً بينًا [تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٣٦٩)، مصدر سابق، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٧٢٩)،مصدر سابق].

(٢) وهو من حمر البر.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [مسند الصعب بن جثامة (٤/ ٣٨ رقم ١٦٤٧٠)]، والحديث في الصحيحين من حديث ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون (٢/ ٨٠٩ رقم ٢١٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب من استلف شيئًا فقضى خيرًا منه وخيركم أحسنكم قضاء (٣/ ١٢٢٥ رقم ١٦٠١)].

قوله: «فهم به أصحابه» أي أراد أصحاب النبي ﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل، لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ، قوله «فإن لصاحب الحق مقالاً» أي صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع [فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر(٥/ ٥٦)،مصدر سابق].

نـفـسـيْ أسـاءتْ كـمـا زعـمـتَ فـأيـن عـاقـبـةُ الأُخـوَّهْ
فـإذا أسـآتْ كـمـا أسـأتُ فـأيـن فـضـلُـكَ و الـمـروهْ

وعن أبي هريرة قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فصلى فلما فرغ قال: «اللهم واسعًا، فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي ﷺ: «أهريقوا عليه سجلًا من ماء أو دلوًا من ماء، ثم قال: **إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»[1].

وجاء الحديث من رواية أنس بلفظ: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه[2]، فقال رسول الله ﷺ: لا تزرموه[3]، دعوه فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن ـ أو كما قال رسول الله ﷺ ـ قال فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه[4] عليه»[5].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على حسن خلقه وجميل معاملته مع الزالين، وبيان كيفية الإنكار عليهم بالتي هي أحسن حسب مقتضى الحال، مؤكدًا لصحابته أن نجاح الداعية الناصح لا يكون بالعنف والشدة بل باللين والحكمة، فإن انكار المنكر بقسوة قد يؤدي إلى منكر أكبر، وقد حَسَم ديننا الإسلامي هذا الباب بسد الذرائع، لقد ذكرهم ﷺ بأنه سبحانه إنما جعلهم رحمة للعالمين «**ميسرين غير معسرين**» ومن كان من أهل التيسير فلا يعسر

(١) تقدم تخريجه (ص١٠٣).
(٢) بمعنى اكفف عن هذا الفعل.
(٣) لا تقطعوا عليه بوله.
(٤) أي صبه.
(٥) تقدم تخريجه (ص١٠٤).

على عباد الله، وكانت هذه هي وصيته لمعاذ وأبى موسى[(١)] حين بعثهما الى اليمن «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[(٢)].

وقال ﷺ : «**إن الله لم يبعثني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا ولكن بعثني معلمًا ميسرًا**»[(٣)]، وأمثال ذلك كثير.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر : «أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرَّق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال : «إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال من يمنعك مني؟ فقلت : **الله** ثلاثًا، **ولم يعاقبه** وجلس»[(٤)].

---

(١) عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري، استعمله النبي ﷺ على بعض اليمن كزبيد وعدن، واستعمله عمر على البصرة فافتتح الأهواز وأصبهان،واستعمله عثمان على الكوفة،وكان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين، روى كثيرًا من الأحاديث، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، مات سنة ٤٢هـ على المشهور [تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٣١٧)، الإصابة (٤/ ٢١١)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٣/ ١١٠٤ رقم ٢٨٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (٣/ ١٣٥٩ رقم ١٧٣٣)] كلاهما من حديث أبي موسى.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلّا بالنية (٢/ ١١٠٤ رقم ١٤٧٨)] من حديث جابر بن عبد الله.
قوله «إن الله لم يبعثني مُعَنِّتًا» أي شقاء على عباده، «ولا مُتَعَنِّتًا» بتشديد النون مكسورة أي طالب للعنت، وهو العسر والمشقة، «ولكن بعثني معلمًا» بكسر اللام مشددة، «ميسرًا» من اليسر.
قال الحرالي: وهو حصول الشيء عفوًا بلا كلفة، وهذا قاله لعائشة رضي الله عنها لما أمره الله بتخيير نسائه فبدأ بها فخيرها فاختارته، وقالت: «يا رسول الله لا تقل إني اخترتك» [فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٢٥٤)،مصدر سابق].

(٤) تقدم تخريجه (ص١٢٩).

وفي هذا الحديث دليل على صبره وصفحه على مَنْ جَهِلَ عليه علَّ مثل هذا الصنف يراجع نفسه ويهتدي لدين الحق، وهذا ما تحقق حيث أعلن هذا الأعرابي إسلامه[١] بعدما رأى من أخلاق النبي ﷺ ما رأى من عصمة الله له، ومن عفوه وصفحه وثقته بالله رب العالمين.

وقال أنس كما في الصحيحين: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جَبْذته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، **فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء**»[٢].

«وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام»[٣]، فما أحوج العاملين اليوم في الحقل الدعوي إلى مثل هذا الخلق الرفيع، فإن سآت أخلاق الجاهلين فإن هناك من يقيمها من الدعاة المخلصين بالعلم والحلم:

---

(١) حيث جاء في بعض الروايات «فدفع جبريل عليه السلام في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ، وقال: من يمنعك أنت مني اليوم؟، قال: لا أحد، فقال: قم فاذهب لشأنك، فلما ولى قال: أنت خير مني، فقال: أنا أحق بذلك منك، ثم أسلم» وفي لفظ: «قال: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام» [انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١٤/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الخمس، باب ما كان للنبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٣/ ١١٤٨ رقم ٢٩٨٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب إعطاء من يسأل بفحش وغلظة (٢/ ٧٣٠ رقم ١٠٥٧)].

قوله «وعليه برد» أي رداء، قوله «نجراني» بفتح النون وسكون الجيم نسبة إلى نجران بلد معروف بين الحجاز واليمن، قوله «فجبذه» بفتح الجيم والموحدة بعدها ذال معجمة وهي بمعنى جبذ، قوله «صفحة عاتق» في رواية مسلم عنق وكذا عند جميع الرواة [انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٠/ ٥٠٦)، مصدر سابق].

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٠/ ٥٠٦)، مصدر سابق.

أذنــبــتُ ذنــبًــا عــظــيـمًــا وأنـــت أعـــظـــمُ مـــنـــهُ
فَـــجُـــدْ بـــعـــفـــوكَ أو فـاصـفـحْ بـحـلـمـك عـنْـهُ
إنْ لـــم أكـــنْ فـــي فـــعـــالـــيْ مِـــنَ الـــكـــرامِ فـــكـــنْ هـــوْ

أي فكن ذلك العافي.

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[١].

وفي هذا الحديث بيان رحمته ﷺ بالناس وحرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم، وهذا من كمال أخلاقه الشريفة.

هذه هي المعاملة النبوية التي افتقدتها أمة محمد ﷺ إلا من رحم الله، لقد كان نبينا ﷺ أفضل الناس «مروءةً، وأحسنهم خُلُقًا، وأكرمهم مخالطةً، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حِلمًا وأمانةً، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا»[٢]، واسع الصدر، سليم القلب، منزهًا عن الهوى، جميل الخلق، رحيمًا، ودودًا، عطوفًا، لين الجانب، متواضعًا، يسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلَّا حلمًا، لقد جمع الخير كله، فكان أكمل البشرية خُلُقًا على الإطلاق باتفاق البرية، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله:

مـحـمـدٌ سـيِّـدُ الـسـاداتِ مِـنْ مُـضـرٍ حاميْ الحِمَى فرعُ أَصلٍ طيِّبٍ زاكيْ
هـدايـةُ الـلَـهِ فـي شـامٍ وَفـي يَـمَـنٍ وَخَـيـرةُ الـلَـهِ مِـنْ رُسْـلٍ وأَمْـلاكِ
مـهـذبٌ قـرشـيُ الأصـلِ يُـشْـرِفُ عَـنْ حـــامٍ وَســـامٍ وعـــنْ رُومٍ وأَتْـــراكِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام (١/ ٤٥٥ رقم ١٢٩٠)].

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢٨٧)، مصدر سابق.

مُسْتَجْمِعُ الحُسْنِ والإحسانِ وَالكرمِ الْ ... فيّاضِ فاضَ فَلَم يُعْرفْ بإمْساكِ
لسانُهُ الوحيُ وَالتَنزيلُ معجزةٌ ... يُنْسيكَ عُجْمةَ قِبْطِيٍّ وأنْطاكيْ
طَلْقُ المحيا لكلِّ النازلينَ بهِ ... وَفي الكَريهةِ حَتْفُ الفارسِ الشاكيْ
وَراسِخُ العلمِ وَالصفحِ الجَميلِ إذا ... يُرجى وَلَيسَ لذيْ سِتْرٍ بِهَتَّاكِ

المطلب الثاني
حال السلف ومواقفهم الأخلاقية العملية

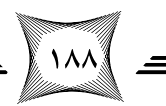
لقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في الأخلاق الفاضلة التي أقاموها في مجتمعاتهم وفق مراد الله جل وعلا، فكانوا « يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبَّهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون أماناتهم، ويوفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم[(١)]، ولا يستنكفون[(٢)] عن أقاربهم، فاصلح الله لهم بذلك أمرهم»[(٣)]، فهم خير أهل الأرض بعد الأنبياء والمرسلين، وفي مقدمة السلف صحابة رسول الله ﷺ فهم اتقى الناس وأبرهم، وأحسنهم خُلقًا، وأجملهم سيرةً، كيف لا يكونون بهذه المنزلة وقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم وامتدحهم في غير ما آية، وجعل رضاه مُقدَّمًا لهم على غيرهم من عامة الناس.

قال جلَّ في علاه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

(١) أمثالهم.

(٢) يستكبرون، وقال البغوي في تفسيره (١/ ٥٠٣): قيل: الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار هو العلو والتكبير عن غير أنفة.أهـ

(٣) مقتبس من الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤٤)، دار الفكر، بيروت،الطبعة الأولى ١٩٩٣م.



ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الشاطبي[(١)]: «وما ذاك من جهة كونِهم رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط.

إذ لا مزية في ذلك، وإنما هو لشدة متابعتهم له، وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته ونصرته، **ومن كان بِهذه المثابة حقيقٌ أن يتُخذَ قدوةً وتُجعل سيرته قبلة**»[(٢)].

قال ابن مسعود: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثُم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد **فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ**»[(٣)].

قال حذيفة: «يا معشر القراء استقيموا، **وخذوا سبيل من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا**»[(٤)].

---

(١) أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، كان أصوليًا مفسرًا فقيهًا محدثًا لغويًا، أخذ العربية وغيرها عن أئمة وقته، اجتهد وبرع، والتحق بكبار الائمة في العلوم، من مصنفاته: شرحٌ على الخلاصة في النحو، والموافقات في أصول الفقه، والمجالس، وكتاب الافادات والانشادات وغير ذلك، توفي يوم الثلاثاء من شعبان سنة ٧٩٠هـ [معجم المطبوعات ليوسف إلياس (ص١٠٩٠)، مصدر سابق، هداية العارفين لإسماعيل باشا (١٨/٥)، مصدر سابق].

(٢) الموافقات للشاطبي (٤/ ٧٩)، مصدر سابق.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [مسند عبد الله بن مسعود (١/ ٣٧٩ رقم ٣٦٠٠)]، والأثر حسن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦/ ٢٦٥٦ رقم ٦٨٥٣)].

قوله: «يا معشر القراء» بضم القاف وتشديد الراء مهموز جمع قارئ والمراد بهم: العلماء =

وقال ابن مسعود : «**مَنْ كان منكم مُسْتنًّا فليستن بمن قد مات، أولئك اصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لِصُحْبةِ نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم**»(١)، وأخلاقهم ظاهرةٌ واضحةٌ في محياهم وأقوالهم، وصفحات أعمالهم، وإن تاريخهم لشاهد بحقائق ذلك ووقائعه، وها هي كتب الآثار والسير قد بسطت لنا جملةً من هذه الوقائع التاريخية التي عاشوها في زمانهم، وبهم اقتدى مَنْ بعدهم من سادة العلماء والصالحين الذين اقتفوا أثرهم، ورغبوا في أخلاقهم، واستنوا بهديهم وسننهم الوضاءة الكريمة من إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والحلم عن الجاهلين، والإحسان إلى المسيئين، وصلة القاطعين، والعفو عن الظالمين ونحوها من الطبائع والخلائق الحسنة.

وإليك أخي القارئ الكريم بعض هذه الدلائل والمواقف المشرقة :

جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس قال : «أتى رجلٌ رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه**

= بالقرآن والسنة العبَّاد، قوله «استقيموا» أي اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركًا، وقوله «سبقتم» هو بفتح أوله كما جزم به ابن التين وحكى غيره ضمه، والأول المعتمد، وقوله «سبقًا بعيدًا» أي ظاهرًا ووَصَفَه بالبعد لأنه غاية شأو السابقين،والمراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير لأن من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام والا فهو أبعد منه حسًا وحكمًا، قوله «فإن أخذتم يمينًا وشمالاً» أي خالفتم الأمر المذكور، [فيه] الإشارة إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين مضوا على الاستقامة [فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣/٢٥٧)، مصدر سابق].

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق خان القنوجي (ص١٦٥)،تحقيق عاصم عبد الله القريوتي،شركة الشرق الأوسط للطباعة، ماركا الشمالية، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته ضيفُ رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلّا قوت الصبية، قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم[١] وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله ﷻ أو ضحك من فلان وفلانة»، فأنزل الله ﷻ «**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**»[٢].

فما أجمله من خلق وسخاء وإيثار، لقد دفع الزوجين خُلُقُهما إلى تحمل الجوع إكرامًا لضيف رسول الله ﷺ، ذلك الرسول الأعظم، المعلم الأول، والقدوة المربي، الذي أخذوا عنه هذه المحاسن الكريمة، القائل «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام**»[٣].

ومن أخلاقهم رضوان الله عليهم البشارة لأخوانهم بالمسرات والمفرحات التي تبعث السرور في نفوس أصحابها، فينال المبشر لأخيه صلة القرب والود من قلب أخيه المسلم، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها الإ في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف ـ وفي الحديث: «حتى إذا صلى رسول الله ﷺ الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر... **فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيْ فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ**، واستعرت ثوبين

---

(١) هذا محمولٌ على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلى الطعام حاجة ضرورية، لأن العادةَ أن الصبي وإن كان شبعانًا يطلبُ الطعام إذا رأى مَن يأكلُه، ويُحمل فعلُ الرجل والمرأة على أنهما آثرا بنصيبهما ضيفهما واللّه أعلم [كتاب الأذكار للنووي (ص١٨٩)، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م].

(٢) تقدم تخريجه (ص١٤٨).

(٣) تقدم تخريجه (ص١٧٨).

فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ **فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهونني بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك** ، قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، **فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني**»(١).

وفي هذا الحديث تظهر أخلاق الصحابة رضوان الله عليهم من خلال فرحتهم ومسرتهم بما يمنُّه الله على إخوانهم المسلمين، فقد أقبلوا فوجا فوجا يهنون كعبًا بالتوبة، ويقولون لتهنك توبة الله عليك، وقام له طلحة بن عبيد الله يهرول من شدة فرحه لكعب حتى صافحه وهنَّأه، فما أحوجنا لمثل هذه الأخلاق.

لقد بلينا في هذا العصر بأزمة أخلاقٍ واسعةِ النطاق، حتى فشا في مجتمعنا مَنْ بلغ به درجةُ حسده وحقده على أخيه ألا يذكره بحسنة من حسناته، والأدهى من ذلك أنَّ كثيرًا من المنتسبين للعلم إلَّا من رحم الله طاف عليهم طائف من الشيطان، فأوغل صدورهم على إخوانهم حتى ساءت أخلاق بعضهم الذي إن ظفر بزلة لأخيه طار بها شرقًا وغربًا، وإن رأى حسنةً أخفاها، وإن نزلتْ مصيبة على أخيه فرح بها، وإن أقبلت مسرة اسودَّ وجهه كأن فيه قترة، وإذا فتشت سبب هذه البغضاء والكراهية وجدت السبب الرئيس ظنَّ السوء أو اختلافًا في الرأي أو كلامًا منقولًا لم يُتثبت منه، أو خطأ غير مقصود رغم اتفاق الطرفين في العقيدة والمنهج، فإين هؤلاء من منهج السلف، الذي لسان حال الواحد منهم نحو أخيه يقول:

لمْ أَرَ أخذَكَ إذ جنيتُ لأننيْ ... واثقٌ مِنْكَ بالإخاءِ الصحيحِ
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ ... وقبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ

ومن جميل أخلاق سلفنا الصالح عفوهم عن المسيئ وإعراضهم عن جهله، ومن ذلك ما جاء في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٢٤).

عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس[١] وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا، فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي: لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين.

والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله»[٢].

والشاهد في الحديث: أن الحر بن قيس ذكَّر أمير المؤمنين عمر بخلق العفو والإعراض عما زلَّ به عيينة مستندًا إلى الآية الكريمة حيث طالبه بالمساهلة فيما صدر منه لأن هذا خلق رسول الله ﷺ، فلما سمعها عمر استرجع وصفح وعفا، لكونه كان وقَّافًا عند كتاب الله، فلا يتجاوز أمره ونواهيه.

قال القرطبي: «هذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ الحض على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه

---

(١) الحر بن قيس بن حصن الفزاري ابن أخي عيينة بن حصن ذكره ابن السكن في الصحابة، كان أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من فزارة مرجعه من تبوك، وكان من القراء ومستشاري عمر وجلسائه [أسد الغابة لابن الأثير (١/٥٧٦)، مصدر سابق، الإصابة لابن حجر(٢/٥٨)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف (٤/١٧٠٢ رقم ٤٣٦٦)].

عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة»[١].

وجاء في الصحيح من حديث أبي هريرة: «أن رجلًا قال يا رسول الله : **إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم، ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي.**

فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُمُ المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[٢].

وهذا الحديث يُظْهِر لنا ما تحلَّى به هذا الصحابي من الأخلاق الحسنة من صلة الأرحام والحلم والإحسان لقرابته رغم جهلهم عليه وقطيعتهم له وإساءتهم إليه، فبشره النبي ﷺ بالمعين والدافع لأذاهم طالما وهذه أخلاقه معهم، وقال له : كأنما تطعمهم الرماد الحار لأنهم لم يلقوا منك نظير ما هم عليه من الأذى، أو أنه : ينالهم الوزر إزاء أذاهم لك.

ويُروى أن رجلًا جاء إلى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال له : «إن فلانًا قد آذاك، ووقع فيك، قال : فانطلقْ بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه، قال : يا هذا إنْ كانَ ما قلتَ فيَّ حقًّا فغفرَ الله لي، وإن كان ما قلت فيَّ باطلًا فغفر الله لك»[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٧/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/ ١٩٨٢ رقم ٢٥٥٨)].

قوله «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك» المل بفتح الميم الرماد الحار، و«تسفهم» بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء، والظهير المعين والدافع لأذاهم، وقوله «أحلم عنهم» بضم اللام، «ويجهلون» أي يسيئون، والجهل هنا القبيح من القول، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شئ على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وادخالهم الأذى عليه [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١١٥)،مصدر سابق].

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٩٤)، مصدر سابق.

و«كان لأبي حنيفةَ[(١)] جارٌ بالكوفة إسكافي[(٢)] يعمل نهاره أجمعَ حتى إذا أجنّه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحمًا فيطبخه أو سمكة فيشويها ثم لم يزل يشرب حتى إذا دبّ فيه، غَرَّد بصوتٍ وهو يقول:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغرِ

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جَلبته كل ليلةٍ، ففقد أبو حنيفة صوته ليلة فسأل عنه، فقيل أخذه العَسَسُ منذ ليال وهو محبوس فصلّى أبو حنيفة الفجر وركب بغلته واستأذن على الأمير، فلما دخل قال: لي جار إسكافي أخذه العَسَس منذ ليال يأمر الأمير بتخلية سبيله، فقال: نعم، وكل من أُخِذ تلك الليلة، فَتُرِكُوا أجمعين، وخرج أبو حنيفة والإسكافي يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفةَ رضي الله عنه مضى إليه، وقال: يا فتىَ أضعناك؟!، فقال: لا بل حفظتُ ورُعيتُ جزاك الله خيرًا عن حُرمة الجِوار ورعاية الحق، **وتاب ذلك الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه**»[(٣)].

و«قال يونس الصدفي[(٤)]: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا

(١) أبو حنيفة الإمام، فقيه العراق النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي مولاهم الكوفي، مولده سنة ثمانين للهجرة، روى عن عطاء بن أبي رباح، ونافع مولى بن عمر وخلق كثير، تفقه به زفر بن الهذيل، وداود الطائي، والقاضي أبو يوسف الأفريقي، ومحمد بن الحسن وغيرهم، وحدث عنه وكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون وغيرهما، وكان إمامًا، ورعًا، عالمًا، عاملاً، متعبدًا، كبير الشأن، لا يقبل جوائز السلطان، بل يتجر ويتكسب، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، توفي على المشهور سنة ١٥٠هـ. [تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٦٨، ١٦٩)، مصدر سابق].

(٢) تطلق هذه المهنة على مصلح الحذاء.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي (ص**٣٣٥٣**)، مصدر سابق.

(٤) يونس بن عبد الأعلى عالم الديار المصرية الإمام أبو موسى الصدفي المصري الحافظ المقرىء الفقيه، مولده في آخر سنة سبعين ومائة، قرأ القرآن على ورش وغيره، سمع من سفيان بن عيينة والوليد بن مسلم وابن وهب والشافعي، حدث عنه أبو بكر بن زياد وابن أبي حاتم وأبو الطاهر المديني وخلائق، توفى في ربيع الأول سنة**٢٦٤**هـ[تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٥٢٧)، مصدر سابق].

في مسألة، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى **ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإنْ لم نتفق في مسألة**»[(١)].

ما أجملها من كلمات «**ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإنْ لم نتفق في مسألة**».

هذا هو المنهج الشرعي الأخلاقي السلفي الذي تغافل عنه كثير من أبناء الإسلام وخصوصًا بعض المتعلمين الذي يرعون قطيعًا غفيرًا من أبناء الأمة.

إذا سألت بعضهم لِمَ لمْ تقف مع أخيك صفًا واحدًا لدفع ما حل بالمسلمين في الحادثة الفلانية؟ ولِمَ لا تبادله حقوق الإخاء ولو الحقوق العامة وإن وقع الإختلاف؟

قال لك: أنا مختلفٌ معه في كيت وكيت، ولا بدَّ لي منه من موقفٍ واضحٍ حتى يتراجع عن زلته.

فإذا قلت له: ذاك شرٌ وبلوى، وخلافك معه في مسائل يصوغ فيها الخلاف، ويمكن أن يزول مثل ذلك بالحوار والنقاش العلمي.

قال لك: وإن عمت البلوى، ولن أجالسه أو أحاوره، **ففيه نظر**.

فإذا قلت له: وما النظر المقصود حتى نناصحه، فإما أن يُحْجِم ويتركك وشأنك، وإما يعيد مثل العمومات السابقة ونحوها بغرض التهرب من الجلوس مع من يدَّعي أنه يخالفه الرأي.

فأقول: مثل هذا الصنف لا ينفع أن يكون قدوةً حسنةً، بل لا يؤتمن عليه في تربية الأجيال إذ جعل خلاف الفروع سبيلًا لإرساء خلاف التضاد فبمجرد خلافه مع فلان من الناس أرسى مبدأ المفاصلة له ولمن أثنى عليه ولو في أمرٍ مجمعٍ على شرعيته، وإن أدى ذلك إلى الإضرار بالمجتمع كله

---

(١) سِيَر أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ١٦)، مصدر سابق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٦] وقال: أنا أختلف مع فلان!!.

ومتى رأيت الشخص يجعل مسائل الفروع مسائل تُفضي إلى التفرقة والقطيعة فاعلم أنه دسيسة أو جاهل أو مكابر أو أحمق وإن ربط عمامةً وذَيَّلَها.

ومما يؤسف له أن بعضهم ربما يتمسك ببعض أقوال وأفعال السلف فينزلها على أخيه الذي يتفق معه على الأصول العامة، وهي في أهل الأهواء والبدع أو يجد قولًا عن بعض السلف أخطأ فيه أو اجتهد فيه فيجعله حجةَ الله في أرضه رغم أن جماهير السلف على خلافه فيجعل ما وافق هواه في مقام الكلام المنزل الذي لا يحتاج إلى مخالف، بل ربما جعل شيخه في مقام الاحتجاج دون غيره، فإذا غضب من شيخه جعله مرمى السهام فيزيد الفتنة ويوقدها بين أبناء الأمة دون تورع أو روية، وقد يتبعه على طريقته أحداث كثيرون وهكذا تتسلسل الأحزاب والعصبيات وأساس ذلك كله التقليد العاطفي الذي لم يقم على صفاء المنهج مِمَّا أدى إلى الفرقة المفضية إلى عدم التعاون مع أبناء الإسلام في الأمور المسلمة فيها.

في الوقت نفسه يتعاون أهل الباطل والكفر والإلحاد وأهل الملل والنحل والمناهج المنحرفة على ضرب الدعوة وأبنائها ويتربصون بها الدوائر وتجتمع كلمتهم على الباطل رغم أنهم فيما بينهم لا يتفقون في شئ، ونحن معاشر الدعاة وطلبة العلم لم نقف يومًا واحدًا لإرساء قاعدة الأخوة الصحيحة التي توحد كلمتنا[١] ومن قام بذلك وجد من يخذله أو ينقده أو يحذر منه لا لشئ سوى التقليد أو الحسد أو الجهل بواقع الأمة،

---

(١) ولا شك أن قاعدة الأخوة معلومة ظاهرة في الكتاب والسنة، والمقصود أن تُلَخص هذه الأحكام السلوكية وفق منهج السلف لتكون سهلة المتناول، وقد تولى ذلك كثير من المؤلفين وكلٌ أدلى بدلوه حسب ما يراه مناسبًا.

أو زلَّةٍ قلم يمكن تصحيحها بالنصيحة، أو مسألةٍ يسع فيها الخلاف فيجعلها الناقد المتعجل من الأمور المسلَّمة الفاصلة، فليت شعري من المستفيد؟!!.

لقد كان «سلف الأمة من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة [ومن اتبعهم بإحسان] **يتسامحون في الاختلاف فيما يجوز الاختلاف فيه حفاظًا على الوحدة في الأمة**»[١] حتى تكون الأخوة الإيمانية قائمةً على مبدأ الشريعة السمحة التي توحد المتفرقين وتجمع كلمتهم تحت لواء واحدٍ، شعاره قول رب العالمين: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]».

أمثلة تطبيقية من أخلاق السلف العملية:

جُلُّ ما تقدم في هذا المطلب من الروايات والآثار والحكايات أمثلة تطبيقية تشرح وتوضح منهج السلف الأخلاقي الذي كان قائمًا في تلك العصور المباركة.

ولتمام الفائدة إليك أخي القارئ الكريم ما ذكره بعض أهل السير من تصبّر وتجلّد بعض الصالحين وإرسائهم مبدأ الأخلاق الرفيعة، ولو تحملوا في سبيل إقامتها العناء ومرارة العيش:

يُحكى أن مريم امرأة أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري[٢] قالت: صادفت من أبي عثمان خلوةً فاغتنمتها، فقلت يا أبا عثمان أي عملك أرجى عندك؟

---

(١) الأصول والثوابت وأثرها في وحدة الأمة الإسلامية للشيخ الدكتور زكريا المصري (ص٤٠).

(٢) سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ الزاهد الحيري، ولد بالرى ونشأ بها، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها، سمع من محمد بن مقاتل وموسى بن نصر وغيرهما، ومن جميل أقواله يقول «موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم»، توفى ليلة الثلاثاء لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ١٩٨هـ [تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ٩٩)، مصدر سابق].

فقال : يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري كانوا يريدونني على التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة، فقالت يا أبا عثمان قد أحببتك حبًا اذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك أن تتزوج بي، فقلت : ألكِ والد ؟

قالت : نعم فلان الخياط في موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجها مني ففرح بذلك، وأحضرت الشهود فتزوجتها، فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء شوهاء الخلق، فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدرته لي، وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك وأزيدها برًا وإكرامًا إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها فتركت حضور المجالس إيثارًا لرضاها وحفظًا لقلبها، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر، وأنا لا أبدي لها شيئًا من ذلك إلى أن ماتت، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي»[١].

ويُحْكى عن المقنع الكندي[٢] الحضرمي اليماني أحد أعيان القرن السابع الهجري هذه الأبيات التالية التي يصور فيها ما كان عليه إخوانه وأبناء عمه من الإساءة إليه والجهل عليه رغم إحسانه إليهم وحلمه عليهم، فيقول :

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٩/ ١٠١)، مصدر سابق، صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ١٠٥،١٠٦)، مصدر سابق.

(٢) محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر الكندي، الملقب بالمقنع، [المتوفى عام ٧٠هجرية]، والمقنَّع لقب غلب عليه لأنه كان أجمل الناس وجهًا، وكان إذا سَفَرَ اللثام عن وجهه أصابته العين، وقد كان كان متخرقًا في عطاياه سَمْحَ اليد بماله، لا يرد سائلًا عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه بأموالهم وجاههم، وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردوه وعيَّروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين، فقال هذه الأبيات المذكورة «وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي..إلى آخرها». [الوافي بالوفيات للصفدي (ص٣٧٠)، مصدر سابق، لأبي (١٧/ ١١٣ ـ ١١٤)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م].

وَإِن الَّذي بَينـي وَبَين بَني أَبي ... وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفُ جِدّا
أَراهُم إِلى نَصري بِطاءً وَإِن هُمُ ... دَعَوني إِلى نَصرٍ أَتيتُهُم شَدّا
فَإِن يَأكُلوا لَحمي[1] وَفَرتُ لحومَهُم ... وَإِن يَهدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مَجدا
وَإِن ضَيَّعوا غيبي حَفظتُ غيوبَهُم ... وَإِن هُم هَوَوا[2] غَييْ هَوَيتُ لَهُم رُشدا
وَإِن زَجَروا طَيرًا[3] بِنَحسٍ تَمرُّ بي ... زَجَرتُ لَهُم طَيرًا تَمُرُّ بِهِم سَعدا
وَإِن هَبطوا غورًا[4] لأَمرٍ يَسوؤني ... طَلَعتُ لَهُمْ ما يَسُرُّهُمُ نَجدا
فَإِن قَدحوا ليْ نارَ زندٍ[5] يَشينُني ... قَدَحتُ لَهُم في نار مكرُمةٍ زندا
وَإِن بادَهوني بِالعَداوَةِ لَم أَكُن ... أَبادهُهُم إلا بِما يَنعَت الرُشدا
وَإِن قَطَعوا مِنّي الأَواصِر ضَلَّةً[6] ... وَصَلتُ لَهُم منّي المَحَبَّةِ وَالوُدّا
فذلك دأبي في الحياة ودأبهم ... سجيسَ[7] الليالي أو يزيرُونني اللحدا
لهم جل مالي إن تتابعني غِنَىً ... وإنْ قلَّ ماليْ لم أكلِّفهم رِفْدا[8]
وإني لعبدُ الضيف ما دام نازلًا ... وما شيمة لي غيرها تُشْبِهُ العبدا
على أنَّ قوميْ ما ترى عينُ ناظرٍ ... كشيبهمُ شيبًا ولا مُرْدُهمْ مُرْدا
بفضلٍ وأحلامٍ وجُودٍ وسُؤددٍ ... وقوميْ ربيعٌ في الزمانِ إذا شَدَّا[9]

❀ ❀ ❀

---

(١) كناية عن الكلام في عِرْضه، أو استجلاب الشر له منهم.

(٢) أي أرادوا شقاوتي وضلالي.

(٣) كناية عن التفاؤل بالخير وتمني السعادة لهم بعكس ما هم عليه نحوه.

(٤) سهلًا.

(٥) العود الذي تُقدح به النار [انظر مختار الصحاح للرازي (١١٦)، مصدر سابق].

(٦) يقال فلان يلومني ضَلَّةً إذا لم يوفق للرشاد في عذله [انظر مختار الصحاح للرازي(ص٤٠٣)].

(٧) ويقال لا آتيك سَجِيسَ الليالي أي آخِرَها [انظر لسان العرب (٦/ ١٠٤)].

(٨) أي عطاء.

(٩) الوافي بالوفيات للصفدي(ص٣٧٠)، وكتاب الأغاني للأصفهاني(١٧/ ١١٣، ١١٤)، ديوان الحماسة لأبي تمام برواية الجواليقي (٢/ ٣٨)، دار القلم، بيروت، ولألفاظ القصيدة سياقات كثيرة على اختلافٍ في أبياتها.

الفصل الرابع
الآثار الاجتماعية
لروابط الأخوة الإسلامية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الإيجابية على الفرد.

المبحث الثاني: الآثار الإيجابية على المجتمع.



الآثار الاجتماعية على الفرد والمجتمع

لروابط الأخوة الإيمانية آثارٌ كثيرةٌ تكشف عن مدى أهمية إقامة الإخاء الإيماني الذي دعانا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسار عليه سلف هذه الأمة، ومن تبعهم بإحسان.

ولا شك أن هذه الآثار المباركة قد تحققت منذ مبعث النبي ﷺ ـ ذلك النبي الأمي ـ الذي سعى جادًا لإرساء أركان أخوة الإسلام ومات على ذلك، فأخذ صحابته رضوان الله عليهم بطريقته وهديه، ثم كان الأمر كذلك في التابعين ومن بعدهم من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة فكانوا خير خلف لخير سلف.

ويمكننا الوقوف على هذه الآثار في الجملة من خلال مرحلتين مهمتين مرت بها المجتمعات الإسلامية :

المرحلة الأولى ـ مرحلة العهد النبوي :

وتبدأ هذه المرحلة بمبعث النبي ﷺ وتنتهي بوفاته، وقد كان أول أعماله دعوة الناس إلى توحيد الخالق ونبذ الشرك، فحقق الله على يديه **أثر تصحيح العقيدة الإسلامية**، فكل من آمن به وبما جاء به من عند الله انضم إلى هذه الجماعة الإسلامية التي أميرها محمد ﷺ، فكانوا جميعًا إخوةً متحابين على عقيدةٍ سماويةٍ واحدة، معتقدين الإعتقاد الجازم أن العبادة لا تجوز إلَّا لله الواحد القهار، وبذلك جاء الوحي السماوي يناشد الكافرين

ويدعوهم إلى توحيد العقيدة الصحيحة، حيث خاطبهم بالعودة إلى أصل الفطر السليمة، فكان الخطاب السماوي **حوارًا للتأمل** في واقعهم وما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان من دون الله الذي خلقهم ورزقهم ثم هم بعد ذلك يشركون، **ودعوةً لنبذ** الشرك وأهله، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النَّمل: ٥٩ ـ ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القَصَص: ٧١، ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [سَبَإ: ٢٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المُلك: ٢٨].

لقد خاطبهم الوحي بما يعقلون من الكلمات الواضحات الجليلات، وقال لهم: إنكم تعبدون أصنامًا مخلوقةً لا تضر ولا تنفع، لا تخلق ولا ترزق، فربكم هو الذي خلقكم وخلق السموات والأرض ورزقكم من الطيبات فأنزل المطر وأنبت به الزروع والثمار المختلفة ومع ذلك تجعلون

العبادة لغيره سبحانه، وهو وحده الذي جعل لكم الأرض ثابتةً ولو كانت متحركةً من غير أوتادٍ لما استقر عليها عيشكم، وهو الذي يجيب المضطر الذي يقصده بالدعاء عند الملمات والشدائد، ومِنْ فضله أنه جعلكم خلفاء الأرض، فيذهب جيل ويليه آخر حتى صارت هذه الأرض معمورةً بكم وبأبنائكم مِنْ بعدكم.

لقد منَّ الله عليكم بالأمن والأمان في البر والبحر، وأرسل الرياح رحمةً بكم فأنزل المطر فسُقيتم وسقى زرعكم وثماركم، وصارت الأرض مُخْضَرَّة ذات ثمار يانعة، وهو الذي بدأ خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون.

فيا أيها الناس كيف لو جعل الله عليكم الليل دائمًا من غير نهار فمن يأتيكم بالنهار الذي يعينكم على طلب معاشكم، وكيف لو جعل نهاركم دائمًا من غير ليل فكيف لكم بليلٍ تسكنون فيه.

لقد خاطبهم القرآن الكريم بلغة الحوار والتفكر والتأمل فيما حولهم وما يعيش في فلكهم من ملكوت السماوات والأرض وما فيهن من النعم العظيمة **علَّهم أن يراجعوا أنفسهم** ويتركوا الشرك ويُخْلِصوا التوحيد للواحد سبحانه.

فقرأ النبي ﷺ هذه الآيات ونحوها على العامة والخاصة، وقال لهم: «**اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم**»(١).

فكثر الأتباع الموحدون، ومن هنا تحقق أثر التوحيد للجماعة الإسلامية في العهد النبوي، ثم لما هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة أصلح بين الأوس والخزرج و«آخى بين المهاجرين والأنصار وكانوا تسعين رجلًا: نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة وعلى أن يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى وقعة بدر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٧ رقم ٧)] من حديث ابن عباس.

فلما أنزل الله : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ [الأنفال: ٧٥] رد التوارث إلى الأرحام دون عقد الأخوة»[(١)] لكن بقيت المواساة والعطاءات فتحققت ثمرة التكافل والألفة بين المهاجرين والأنصار. ومن هنا ظهرت آثار عظيمة من أهمها **الألفة والراحة النفسية وروح التكامل**، فوطَّد بذلك قاعدة أخوة الدين على أسس متينة.

ثم دعا النبي ﷺ إلى بناء المسجد فقام ومعه صحابته من المهاجرين والأنصار وبنوا المسجد المدني، فكان المرتع المبارك لجمع المسلمين كي يتلقوا التعاليم والوعظ والإرشاد من الرسول الأعظم ﷺ، فتحقق أثر **التواصي بالخير، والشعور بالطمأنينة والراحة الإيمانية** من خلال مجالس العلم والوعظ والذكر، فتخرَّج من هذا المسجد العلماء والأمراء والقادة، **فكان الجامعةَ الإسلاميةَ الأولى في الإسلام.**

ثم فرض الله سائر العبادات وكان أولها الصلاة التي فرضت في مكة ثم نزلت أحكامها مفصلة بالمدينة ثم تلاها بقية العبادات من صيام وزكاة وحج وأحكام أخرى، ثم فرض الله الجهاد فجمع النبي ﷺ المسلمين وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال لهم ﷺ : «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق**»[(٢)].

---

(١) مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي(ص١٣٧)، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، مطابع الرياض بالرياض، الطبعة: الأولى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو (٢/ ٩٣٨ رقم ٢٥٠٩) من حديث ابن مسعود.

فاستجاب له هؤلاء الأتباع فخذل الله بهم الكفر وأهله وفتح الله مكة فصار العرب يدينون بدين الإسلام فظهر أثر **القوة** الذي كان يخشاه الفرس والروم وغيرهم من الأعاجم، وقبل وفاته ﷺ قال لصحابته الكرام في حجة الوداع: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضُكم رقاب بعض**»(١).

لقد حثهم على رابطة الإخاء وبقاء العزة والقوة والوحدة الإسلامية التي أقامها فيهم وحذرهم الفرقة والشحناء بعد موته ﷺ، فكانت هذه الثمار ظاهرة في حياته ﷺ فانتفع بها صحابته حتى ساروا يدعون إليها مِنْ بعده رضوان الله عليهم.

المرحلة الثانية ـ مرحلة ما بعد وفاة النبي ﷺ:

وأصحاب هذه المرحلة هم أهل القرون المفضلة الثلاثة ومن تبعهم بإحسان. وأهل القرون المفضلة هم الذين قال فيهم النبي ﷺ «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادتَه**»(٢).

وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن تبعهم بإحسان بكافة توجيهاته ﷺ ووصاياه حتى ظهرت فيهم آثارُ وثمارُ هذه الأخوة الإيمانية فصاروا يدًا واحدة ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وكان من ذلك الخير الذي حققوه أنْ فتحوا الأمصار وغنموا الغنائم فظهر أثر الرزق وبركته وأثر التمكين وشرفه بهذه الأخوة الصادقة وهذا التكاتف الإيماني، حتى علا صيتهم في أرجاء المعمورة فَخَشِيَ صولتهم وقوتهم وشجاعتهم ملوك العالم أجمع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء (١/ ٥٦ رقم ١٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» (١/ ٨١ رقم ٦٥) من حديث جرير.

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٩).

وإليك أيها القارئ الكريم هذا المثل الرائع الدال على **أثر هذه القوة والمنعة التي صنعها رجال محمد** ﷺ بأمر الله حتى أخافوا بها الشرق والغرب : ومن ذلك ما حدث في موقعة القادسية[١] التي كان فيها سعد بن أبي وقاص قائدًا للمسلمين ورستم قائدًا لقوات فارس المجوسية، و«كان المسلمون ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية، و[جيش] رستم ستين ألفًا»[٢].

وقبل بدء المعركة «بعث رستم إلى سعد أنْ يبعث اليه برجل عاقل عالم بما يسأله عنه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة[٣] رضي الله عنه فلما قدم عليه جعل رستم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا، فقال له المغيرة : **إنا ليس طلبُنا الدنيا وإنما همُّنا وطلبُنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً، قال له : إني قد سَلَّطت هذه الطائفة على من لم يَدِنْ بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرِّين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلاَّ ذُلَّ ولا يعتصم به إلاَّ عُزَّ**، فقال له رستم : فما هو ؟

فقال : أمَّا عموده الذي لا يصلح شيء منه إلَّا به فشهادة أن لا إله

---

(١) القادسية موضع بالعراق، وقد كانت في شوال، وقيل كانت في أول سنة ١٦هـ في زمن عمر ابن الخطاب، وقد انتصر المسلمون فيها على مجوس فارس، فقتل رستم والجالينوس وذو الحاجب، وفيها افتتحت الأردن كلها عنوةً إلَّا طبرية فافتتحت صلحًا [انظر كتاب العبر للذهبي ص ١/ ١٩)، مصدر سابق].

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٣١)، مصدر سابق.

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي أبو عيسى أو أبو محمد، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان، وحدث عن النبي ﷺ، روى عنه أولاده عروة وعقار وحمزة وغيرهم، كان يقال له مغيرة الرأي، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق وكان من دهاة العرب، وقال قبيصة بن جابر: صحبت المغيرة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يُخرج من بابٍ منها إلَّا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها، وولاه عمر البصرة ففتح ميسان وهمذان وعدة بلاد، ثم بايع معاوية وولاه الكوفة ثم توفي سنة٥٠هـ. [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/ ١٩٧)، مصدر سابق].

إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال : ما أحسن هذا وأيُّ شيء أيضًا ؟

قال : واخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، قال : وحَسَنٌ أيضًا، وأيُّ شيء أيضًا ؟

قال : والناس بنو آدم فهم إخوة لأب وأم، قال : حسن أيضًا، ثم قال رستم : أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا ؟

قال : إي والله، ثم لا نقرب بلادكم إلَّا في تجارة أو حاجة، قال : وحَسَنٌ أيضًا . . . ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأَنِفُوا[١] ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قَبَّحهم الله وأخزاهم وقد فعل، ثم بعث إليه سعد رسولًا أخر بطلبه وهو ربعي بن عامر[٢] فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق[٣] المذهبة، والزرابي[٤] الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة[٥] وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبَها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته[٦] على رأسه، فقالوا له : ضع سلاحك، فقال : إنى لم آتكم وإنما جئتكم حين

(١) فاستكبروا.

(٢) ربعي بن عامر بن خالد بن عمر، وكان عمر أمدَّ به المثنى بن حارثة، وكان من أشراف العرب، أدرك النبي ﷺ، وشهد فتح دمشق، ثم خرج إلى القادسية مع هاشم بن عتبة، وشهد فتوح خراسان، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان،وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يُؤَمِّرون إلَّا الصحابة [تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٤٩/١٨)،مصدر سابق، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤٥٤/٢)، مصدر سابق].

(٣) الوسائد.

(٤) البسط المخملية.

(٥) ضعيفة النَّسْج فإذا لبسها أحد لَصِقَتْ بأَرْدافِه [انظر لسان العرب لابن منظور (١٨٠/٩)، مصدر سابق].

(٦) ما يلبسه الجندي على رأسه لحمايته من ضربات الرماح والسيوف.

دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فَخَرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: **الله ابتعثنا لِنُخْرِج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام** فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نَفْضِى الى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتالِ مَنْ أبى والظفر لِمَن بَقِي»[1] ثم أبى رستم ومن معه الإسلام فدارت المعركة، فَنَصَرَ الله المسلمين وأذل الكافرين فذهبت دولتهم وسقطت معاقلهم، فكان النصر حليفًا لدولة العدل والإيمان بهذه العزة وهذا الشرف.

اللَّهُ أكبرُ إنّ العدلَ مُشتهرٌ ... والجور مُنطمِسٌ والحقَّ مُنتصرُ
ونارُ أهل الخَنا والجَورِ خامدةٌ ... ونورُ أهل الهدَى والدِّينُ مُزْدَهِرُ
ودولةُ العدل لا زالتْ مظفرةً ... ودولةُ الجهل معدومٌ بها الظفرُ
لو أنّ ثَمّ عُقولا يَفقهون بها ... تَفكّرُوا في خطوبِ الدهر وادَّكرُوا

ولبيان هذه الآثار وإيضاحها بشئ من التفصيل فسيكون كلامنا عن هذين المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الآثار الإيجابية على الفرد.

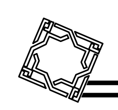
المطلب الثاني: الآثار الإيجابية على المجتمع.

❀ ❀ ❀

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٩)، مصدر سابق.

المطلب الأول



الآثار الإيجابية على الفرد

الآثار المثمرة من روابط الأخوة الإسلامية كثيرة ولا يمكن حصرها من خلال هذا المختصر، ولكن حسبنا أن نتحدث عن أهمها.

فأهم هذه الآثار على الفرد المسلم ما يأتي :

الأثر الأول ـ اعتزاز المسلم بدينه :

وهذا الأثر منبثق من رابطة التآزر ووقوف المسلم مع أخيه المسلم لنصرة الدين، فإنَّ من اعتز بالعبد أذله الله كما أذل المشركين والفرس والروم وعامة الكافرين الذين كانوا يعتزون بقوتهم وملوكهم، ومن اعتز بالله ودينه أعزه الله.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقد قيل إن «العزة صفة : يرى صاحبُها أنه لا يقدر عليه غيره»[١]، لكنَّ هذا المعنى فيما إذا كان المسلم يظن أنه انتصر على عدوه بمحض إرادته وقوة عُدَّته، أما إذا ربط ذلك بالله وحده فلا تعارض لصريح الآية السابقة، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : «**إن الله أعزكم بالإسلام فمهما طلبتم العزة في غيره أذلكم**»[٢].

(١) التحرير والتنوير من التفسير، لمحمد الطاهر التونسي (٢/ ٢٧١)، دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص٢٢٩)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

ومن المعلوم أن طبائع البشر تفخر بما لديها من الأحساب والأنساب نسبةً لجذورها التاريخية التي تتحدث عن قوتها ومنعتها وجميل خصالها، ولما جاء الإسلام أقر ما كان موافقًا للفطرة غيرَ معارض للشرع، فإن أبا سفيان(١) قال يوم بدر [قبل أن يسلم] «اعْلُ هُبَلُ، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا ما نقول؟

قال: **قولوا اللّه أعْلَى وأجَلّ.**

قال أبو سفيان: **لنا العُزَّى ولا عُزَّى** لكم.

قال النبي ﷺ: أجيبوه.

قالوا ما نقول؟

قال: **قولوا الله مولانا ولا مولى لكم**»(٢).

فذكر أبو سفيان ما يعتز به المشركون، فقابله النبي ﷺ وصحابته بما يعتزون به لبيان أن عزة المسلم ثمرةٌ وأثرٌ عظيم من آثار وحدة المسلمين.

وقد أحسن من قال:

إذا اعتزَّ باللَه القدير مجاهدٌ ... أذلَّ ألوفَ الظالمينَ مِن الجُنْدِ

الثاني ـ شعور المسلم بطمأنينة النفس.

الطمأنينة «سكونُ أمنٍ فيه استراحةُ أُنْس»(٣).

---

(١) صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان الأموي، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح وشهد حنينًا والطائف، كان من المؤلفة، ورأس المشركين يوم أحد والأحزاب، وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ وجهه إلى مناة فهدمها، وتزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم، وكانت أسلمت قديمًا وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فمات هناك، روى عن النبي ﷺ، روى عنه ابن عباس وقيس بن حازم وابنه معاوية، مات لست خلون من خلافة عثمان [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/ ٤١٢،٤١٤)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والإختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٣/ ١١٠٥ رقم ٢٨٧٤)] من حديث البراء بن عازب.

(٣) منازل السائرين لعبد الله الأنصاري الهروي (ص٨٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وهذا الأثر يظهر نتيجةَ سببين :

السبب الأول : لوجود ما يحمله المسلم في قلبه من إيمان.

السبب الثاني : بسبب ما يعايشه المسلم من المودة والعطف والتراحم ونحوها مما يتبادله مع أخيه المسلم.

فأما السبب الأول : فيوضحه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النّحل: ١٠٦].

نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مُكرهًا وجاء مُعتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية»[١].

وفي رواية «أن المشركين أخذوا عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : «**كيف تجد قلبك؟**»، قال : مطمئنًا بالإيمان، قال النبي ﷺ : «**إن عادوا فعد**»[٢].

فكلُّ مَن آمن واستقر الإيمان في قلبه وشعر بطمأنينة نفسه وانثلاج خاطره لهذا الدين وما جاء به الوحي فقد حقق أثر الطمأنينة وانشراح الصدر.

وأما السبب الثاني فذاك يعود إلى ما يلقاه المسلم مِنْ حُسْن المعاملة من إخوانه المسلمين حيث تطمئن نفسُه أَنَّه إنْ مرض أو غَرِمَ أو أصيب بمكروه فإن هناك من يقف معه في محنته ويواسيه بالقليل والكثير، فـ «**إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس**»[٣].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري(١٤/ ١٨١)، مصدر سابق.

(٢) تقدم تخريجه (ص١٢٦).

(٣) هذا حديث أخرجه أحمد في مسنده [مسند سهل بن سعد الساعدي (٥/ ٣٤٠ رقم ٢٢٩٢٨)]، وهو حديث ضعيف، في إسناده: مصعب بن ثابت الأسدي، لين الحديث كما في تقريب التهذيب لابن حجر (ص٥٣٣).

و«هذا بيان لوجه الشبه، فمن آذى مؤمنًا واحدًا فكأنما آذى جميع المؤمنين، ومن قتل واحدًا فكأنما أتلف من الجسد عضوًا وآلم جميع أعضاء ذلك الجسد، ففرض على أهل الإيمان تعظيمه ورفع محله وحمل مؤونته وحفظ جانبه والتألم لألمه والسرور بسلامته والاستضاءة بنوره إلى غير ذلك، وأعضاؤه مع الرأس كالجسد»(١).

وفي حديث آخر: «**المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته(٢) ويَحُوطُه من ورائه**»(٣).

ومن هنا كانت «طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه»(٤) أثرًا من آثار هذه الروابط الأخوية.

الأثر الثالث: أمن المسلم على نفسه وماله وأهله.

وذلك أن روابط الإخاء لما اقتضت تأمين النفوس والأعراض من اعتداء بعض الناس على البعض الآخر شعر المسلم بالأمن والأمان اللذَيْن هما من أهم عوامل نجاح الأمة المسلمة، وبذلك جاءت الأدلة الداعية إلى أمن النفوس والأموال والأعراض، ومن ذلك:

قوله ﷺ يوم حجة الوداع: «يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم، وفي أي يوم أنتم، وفي أي بلد أنتم؟

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٥٤)، مصدر سابق.

(٢) قوله «يكف عنه ضيعته» أي يمنع تلفه وخسرانه فهو مرآة من الضياع، وقال في النهاية: وضيعة الرجل ما يكون من معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك، أي يجمع إليه معيشته ويضمها له، وقوله «ويحوطه من ورائه» أي يحفظه ويصونه ويذب عنه بقدر الطاقة [انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب آبادي (١٧٨/١٣)، مصدر سابق].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة (٢/ ٦٩٧ رقم ٤٩١٨)]، والحديث حسن.

(٤) كتاب الروح لابن القيم (ص٢٢٠)، مصدر سابق.

قالوا : في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام.

قال : **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه.**

ثم قال : اسمعوا منى تعيشوا، أَلا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، **إنه لا يحل مال امرئ إلاَّ بطيب نفسٍ منه**»[(١)].

وقوله ﷺ «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»[(٢)].

وقال ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[(٣)].

وقال ﷺ : «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[(٤)].

وقال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»[(٥)].

فهذه الأحاديث ونحوها تجعل المجتمع الإسلامي مجتمعًا آمنًا في جميع المجالات طالما وقد تمسك ذووه بهذه التوجيهات التي تثمر ثمرة الأمن والأمان، فتحقق ذلك في القرون المفضلة لالتزام الناس بشريعة ربهم سبحانه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [حديث عم أبي حرة الرقاشي عن عمه (٥/ ٧٢ رقم ٢٠٧١٤)]، وفي إسناده: علي بن زيد بن جدعان، ضعيف كما في تقريب التهذيب (٤٠١)] وأصله في الصحيحين، من غير طريق ابن جدعان.

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٥/ ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٠)] من حديث أبي شريح، وقوله «بوائقه» يعني شروره، واحِدها بائِقَة [انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثير، مصدر سابق].

(٥) تقدم تخريجه (ص٨٧).

وقد شرع الله القصاص لبقاء الأمن وتأمين المسلم على نفسه فقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

أي «ولكم في تشريع القصاص وتنفيذه حياة آمنة -يا أصحاب العقول السليمة- رجاء تقوى الله وخشيته بطاعته دائمًا»[١].

قال ابن القيم: وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يُقتل قصاصًا بمَن قتله كف عن القتل وارتدع وآثر حب حياته ونفسه، فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله»[٢].

وشرع سبحانه حد السرقة حفاظًا على أموال المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨﴾ [المَائدة: ٣٨].

وأدلة كثيرة تدل على هذه الثمرة العظيمة التي هي أساس بقاء الحياة السعيدة للفرد والمجتمع.

الأثر الرابع ـ شعوره بالحياة الكريمة:

وهي الحياة السعيدة في ظل رابطة الإخاء الإيماني ـ تلك الحياة ـ التي قوامها الإيمان الصحيح والعمل الصالح اللذان يؤهلان صاحبهما للفوز في الدارين كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النّحل: ٩٧].

وسبب وجود هذه الحياة الكريمة «أن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والإبتهاج

---

(١) التفسير الميسر لنخبة من الأساتذة (ص٥٩)، مصدر سابق.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٩٦)، مصدر سابق.

وأسباب القلق والهم والأحزان، يتلقون المحاب والمسار بقبولٍ لها، وشكرٍ عليها، واستعمال لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه أحدث لهم من الإبتهاج بها، والطمع في بقائها وبركتها ورجاء ثواب الشاكرين، أمورًا عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتها هذه المسرات التي هي ثمرتها»(١) فمورد هذه الثمرة من أصلين أساسيين الأول: الإيمان، والثاني: وجود روابط الإخاء التي يتقوى بها هذا الإيمان من خلال النصائح والعمل بموجبها سواء كانت الأعمال أعمال القلب أو الجوارح.

لذلك «فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلَّا نعيم الجنة كما كان بعض العارفين، يقول: «**إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب**»، وقال غيره: «**إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا**»، وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح فإنه مَلِكُها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره وهي عكس الحياة الطيبة»(٢).

ميثاقُنا نَسْجُ الحياةِ لأمّةٍ	تَبغِي الحياةَ كريمةَ الأنوالِ
يا قومُ لا تَرِدُوا الخلافَ فإنّه	وِردُ الطَّغامِ ومنهلُ الأرذالِ
سيروا على نُور الأئمّةِ وانهضوا	نَهضاتِ لا الواني ولا المِكسالِ
صَخَبُ التّنازُعِ في الممالكِ مُؤذِنٌ	أُممَ الزّمانِ بضجّةِ الإعوالِ

الأثر الخامس ـ ظهور الأُلفة الإيمانية:

وهذا الأثر يذكرنا بقول الصادق المصدوق ﷺ «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»(٣).

---

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للسعدي (ص٤)، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (ص٣/ ٢٥٩)، مصدر سابق.

(٣) تقدم تخريجه (ص٥٦).

فالمسلم بطبيعة إيمانه وأخوته يألف أخاه المسلم الذي يبادله كل معاني الود والإخاء ظاهرًا وباطنًا، كما أن العاصي يألف صاحب المعصية، لكن ثمرة الصالحين الإلفة الإيمانية الناجحة، وثمرة العصاة الإلفة الشيطانية التي لا تأتي بخير، «فإذا تلاقت الاجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خُلِقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار»[١].

وكما قيل:

ولا يـصـحـبُ الإنـسـانَ إلَّا نـظـيـرُهُ ... وإن لـم يـكـونـوا مِـنْ قـبـيـلٍ ولا بَـلَـدْ

وقيل: انظر مَنْ تصاحب، فقلَّ مِنْ نواةٍ طُرِحتْ مع حصاة إلَّا أشبهتها، ولهذا قال الإمام الغزالي تبعًا لبعض الحكماء: لا يتفق اثنان في عشرة إلَّا وفي أحدهما وصف من الآخر حتى الطير،ورأى بعضهم مرة غرابًا مع حمامة فاستبعد المناسبة بينهما ثم تأمل فوجدهما أعرجين، فإذا أردت أن تعرف من غابت عنك خِلالُهُ بموت أو غيبة أو عدم عِشْرة فامتحن أخلاق صاحبه وجليسه بذلك، وذلك يدل على كماله أو نقصه كما يدل الدخان على النار، ولهذا قيل فيه:

وإذا أَرَدْتَ تَـرى فَـضـيـلَـةَ صَـاحِـبٍ ... فَـانْـظُـرْ بِـعَـيْـنِ الـبَـحْـثِ مَـنْ نُـدْمـانُـهُ
فَـالـمَـرْءُ مَـطْـويٌّ عَـلـى عِـلَّاتِـهِ ... طَـيَّ الكِـتـابِ وصَـحْـبُـهُ عُـنْـوَانُـهُ[٢]

وكما قيل: يعرف الصديق بصديقه.

ومن هنا كان قوله ﷺ: «فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» واقعًا ملموسًا يوضح منهج الإلفة بين البشرية.

الأثر السادس ـ ميول المسلم إلى مصاحبة الصالحين:

فإن إقامة الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة من الأمور المؤثرة

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١٨٥)، مصدر سابق.
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٥٥٢)، مصدر سابق.

في المجتمعات لتنقلها من مجتمع الجهل والضلال إلى مجتمع العلم والنور فيظهر أثر ذلك من خلال التغيير الجذري للفرد من حال إلى آخر.

وهذا أثر بارز مشاهد، فإن أصحاب الفطر السليمة تميل إلى أصحاب الطباع التي تبادلها حقيقة الوفاء وإنجاز الموعود وجلب النفع ودفع الضر وإخلاص الود والإخاء ومثل هذه الأمور تنعدم إلَّا في المؤمن الذي يدين الله بروابط الأخوة.

ولتحقيق هذا الأثر يجب على المسلم اختيار الرفقة الصالحة وذلك باختيار الصديق بعد التحقق من صفاته وأحواله الحميدة.

وقد حث الإسلام على حسن اختيار الصديق، وحبب إليه لكونه يرشد صديقه وجليسه إلى فضائل الأمور ومحاسنها ويدله على ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وفي الحديث قال النبي ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك، ونافخ الكير**، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا منتنة»[١].

ومما يؤسف له أن كثيرًا من أبناء الأسلام صاروا لا يبالون بالصديق مهما كان توجهه وميوله طالما هناك مصلحة دنيوية، حتى وإن كان هذا الرجل من دعاة الفسق والفجور.

فهذا النوع من الأصدقاء لا يكون ناصحًا ومرشدًا إلى الخير، بل يوقع صاحبه في المهالك ومفاسد الأمور ومساوئ الأخلاق لكونه قد تربَّى أو عاش على ذلك من زمن بعيد، ولذا قال أحدهم:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٢/ ٧٤١ رقم ١٩٩٥)، ومسلم في صحيحه، [كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين (٤/ ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٨)] كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري.

واختر صديقك واصطفيه تفاخرًا إن القرين بالمقارن يقتدي

وقد جاء في الحديث : «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١).

فالصديق المخلص هو الذي يخبر صديقه بعيبه، بخلاف الصديق السيئ، فإنه لا يزيد صاحبه إلَّا سوءًا، وقديمًا قالوا : **الصديق قبل الطريق.**

وحتى يستطيع الفرد الصالح أن يختار صديقه الناصح عليه أن يراعي شروط الصداقة التي من أهمها : الدين والخلق والحلم والأناءة وحسن المنطق ونحوها.

الأثر السابع ـ صلاح الحال والسريرة.

إنَّ وجود روابط الإخاء التي تقوم على أساس التناصح والوعظ والإرشاد تُصْلِح شأنَ المنصوح وتنقله من حال الهوان والذل والمعصية إلى مرتع الإيمان والعز والصلاح.

فقد كان الناس في العهد الجاهلي يعبدون الأصنام والأوثان فجاءهم الله بهذا النبي الكريم فهدى به من الضلالة وبَصَّر به مِنَ العمى، ففتح الله به قلوبًا غُلْفًا وآذنًا صُمًّا وأعينًا عميًا، وشرح الله به إلى الإسلام من شاء من عباده فـ «**ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح**»(٢) وهكذا من التزم بدينه أخذ بهديه واستنَّ بسنته وسار على نهجه.

وقد ذَكَّر النبي ﷺ الأنصار بهذه النعمة العظيمة فقال لهم يومًا : «**يا**

(١) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب الزهد، باب ٤٥ (٤/ ٥٨٩ رقم ٢٣٧٨)] من حديث أبي هريرة، والحديث حسن.

(٢) ما بين القوسين حديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير، باب: «إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا» (٤/ ١٨٣١ رقم ٤٥٥٨)] من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

معشر الأنصار ألم أجدْكم ضُلالاً، فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالةً فأغناكم الله بي»(١).

فكان ﷺ رحمةً بالعالمين، بتوجيهاته ونصائحه، ولما توفاه الله كان صحابته على طريقته وهديه فعم الخير، وأصلح الله بهم العباد، وهذه هي ثمرة روابط الإخاء التي تحوط المسلم بالوعظ والإرشاد حتى يكتب الله للناس صلاح الحال والسريرة.

وقد أحسن من قال:

كم أفلقوا بالوعظِ قلبًا جامدًا   بِهِمْ استلانَ وكانَ أعظمَ قاسِ

الأثر الثامن ـ حصول الرزق وبركته:

فقد تقدم أن الأخوة الإيمانية تدفع المسلم إلى مواساة أخيه المسلم بالنفقة حسب الطاقة، وبهذه النفقة يتحقق حصول الرزق وبركته، وقد جاء في الحديث: «**أن أخوين على عهد النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال: «لعلك ترزق به»**(٢).

فهذان «أخوان على عهد رسول الله ﷺ كان أحدهما يأتي النبي ﷺ لطلب العلم والمعرفة والآخر يكتسب أسباب المعيشة فكأنهما كانا يأكلان معًا، فشكا المحترف عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته وفي كسب آخر لمعيشته فقال: لعلك ترزق به، بصيغة المجهول أي أرجو وأخاف أنك مرزوق ببركته لأنه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٤/ ١٥٧٤ رقم٤٠٧٥)، ومسلم في صحيحه، [كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه (٢/ ٧٣٨ رقم ١٠٦١)] كلاهما من حديث عبد الله بن زيد.

(٢) تقدم تخريجه (ص٥٣).

(٣) انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٧/ ٨) بتصرف.

وفي ذلك دلالة واضحة في كون رابطة المواساة بالنفقة أو التصدق تثمر أثر حصول الرزق وبركته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلَّا ملكان ينزلان، فيقول : **أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(١).

وفي هذا الحديث دلالة على أن رابطة النفقة تثمر عن أثرين الأول ما سبق ذكره، والثاني وجود المعين والظهير من الملائكة بالدعاء لمن كان من المنفقين كما سيأتي في الأثر التالي.

الأثر التاسع ـ وجود الإعانة والتأييد من الله وملائكته :

ويوضح هذا الأثر الحديث المتقدم، فقد جاء فيه أن ملكين يُصبحان كلَّ يوم فيقول : **أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا**».

ويَظْهرُ هذا الأثر من خلال رابطة الصفح والحلم والإحسان، فعن أبي هريرة: «أن رجلًا قال يا رسول الله : **إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم، ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي.**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، «اللهم أعط منفق مال خلفًا» (٢/ ٥٢٢ رقم ١٣٧٤)، ومسلم في صحيحه [كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك (٢/ ٧٠٠ رقم ١٠١٠)] كلاهما من حديث أبي هريرة.

قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفًا، والامساك المذموم هو الامساك عن هذا [انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٧/ ٩٥)، مصدر سابق].

فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهمُ المَلَّ **ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»**(١).

الأثر العاشر ـ القناعة بالقليل :

ولا يقنع بالقليل إلَّا من قنَّعه الله وهذه صفة الإخوان الأتقياء، فإن ضعاف الإيمان لا يقنعون مهما امتلكوا من الأموال والتجارات وترى الواحد منهم ينشغل عن الدار الآخرة بكثرة انشغاله بالدنيا.

ولا شك أن روابط الأخوة تُعَلِّم النفوس القناعةَ وعدم الإمساك عن المال والطعام ونحوه، ومن هنا قال النبي ﷺ لأمته : «**إنما يكفي أحدهم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب**»(٢).

وقال ﷺ: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة،**

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٩٣).

قوله «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك» المل: بفتح الميم الرماد الحار، و«تسفهم» بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء، والظهير المعين والدافع لأذاهم، وقوله: «أحلم عنهم» بضم اللام، «ويجهلون» أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شئ على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/ ١١٥)، مصدر سابق].

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه [كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا (٢/ ١٣٧٤ رقم ٤١٠٤)] من حديث أنس، والحديث صحيح، وقوله «إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا» أي مدة كونه فيها، «مثل زاد الراكب» هو ما يوصل لمقصده بقدر الحاجة من غير فضلة في مأكله ومشربه وما يقيه الحر والبرد، وهذا إرشاد إلى الزهد في الدنيا والاقتصار فيها على قدر الحاجة فإن التوسع فيها وإن كان قد يعين على المقاصد الأخروية لكن النعم الدنيوية قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها، فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله استكثار بقصد صرف الفاضل إلى ما يوصل إلى منازل الأبرار وإلا فالبعد البعد والفرار والفرار عن مظان الأخطار [فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣/ ١٠)، مصدر سابق].

وطعام الأربعة يكفي الثمانية»[١]، «**والغرض من هذه الأحاديث الحث على المكارمة والتقنع بالكفاية والمواساة بأنه ينبغي إدخال ثالث لطعامهما ورابع أيضًا حسبما يحضر، وأن البركة تنشأ من كثرة الاجتماع»**[٢].

«فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلَّا ما لا بد له منه، فمن كثر خَروجُه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن، ويقنع بأي طعام كان، ويقلل من الإدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه، وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد، ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة، ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه»[٣].

الأثر الحادي عشر ـ رحمة الله وعفوه، وردُّ النار يوم القيامة عن وجه المسلم الذاب عن أخيه:

وهذا الأثر ينشأ من ذكرك أخاك المسلم بمحاسن أموره، والذب عن عرضه لحديث: «**مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»**[٤].

وقد تقدم أنه ﷺ رد غيبة مالك بن الدخشم، وقال للقائل الذي قال: إنه منافق لا يحب الله ورسوله، **لا تقل ذاك»**[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الأشربة، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك (٣/ ١٦٣٠ رقم ٢٠٥٩) من حديث جابر، وأصله في الصحيحين.

(٢) حاشية تقي الدين الندوي على موطأ مالك (٣/ ٣٥٨)، دار القلم،دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٢٤١)، مصدر سابق.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة، باب «ما جاء في الذب عن عرض المسلم»، (٤/ ٣٢٧ رقم ١٩٣١)] من حديث أبي الدرداء،والحديث صحيح.

(٥) تقدم تخريجه (ص١٣٢).

ورد معاذ بن جبل[١] غيبة كعب بن مالك[٢]، لما قال الرجل فيه عند النبي ﷺ حبسه النظر في برديه، فقال معاذ : **بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلاَّ خيرا»**[٣].



(١) تقدم ترجمته (ص٩٢).
(٢) تقدم ترجمته (ص١١٩).
(٣) تقدم تخريجه (ص١٢٤).

المطلب الثاني

الآثار الإيجابية على المجتمع

هناك آثار كثيرة تحصدها المجتمعات الإسلامية من روابط الأخوة التي عم نفعها كافة المجالات المختلفة، ومن أبرز هذه الآثار وأهمها ما يأتي:

الأثر الأول ـ وحدة المسلمين:

وهذا الأثر أهم آثار روابط الأخوة الإيمانية على الاطلاق، وينشأ من تكاتف المسلمين وترابطهم والتزامهم بدينهم فيثمر وحدةً إسلاميةً قوية.

وقد تحققت هذه الوحدة الإسلامية في زمن النبي ﷺ واستمر الأمر حتى قبيل سقوط الدولة العباسية، ثم بدأت تضعف الخلافة الإسلامية حينما دبَّ في أوساط المجتمع الإسلامي «التفكك والتشرذم والتناحر والتباغض والحقد والحسد والكراهية، وبروز الاهتمام بالمنافع الخاصة والمصالح الشخصية، وتبلدت المشاعر والأحاسيس لدى الكثير من المسلمين العصاة منهم أو المنافقين والمندسين حيال القضايا العامة المشتركة على مستوى الأمة خارج إطار الفرد أو الأسرة أو القبيلة وإن كان على حساب الأخلاق والمعتقد والسلوك الشرعي والمطلوب، رافعين مختلف الشعارات البراقة تضليلًا للعامة من الناس عن هذه الحقيقة»(١)، ولإعادة البناء من جديد فإنه يلزم الانقياد بأصول الدين ومحاسنه التي دعا إليها الإسلام والتي تكفل للمسلمين الوحدة الإسلامية الشاملة.

---

(١) الأصول والثوابت وأثرها في وحدة الأمة الإسلامية للشيخ الدكتور زكريا المصري (ص٤٦)، مصدر سابق.

وتبدأ هذه الأمور بإصلاح العقيدة والنفس والمجتمع الإسلامي من الداخل وفق الطريقة المحمدية متمثلةً بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه**»(١).

وقال: «**مَثَلُ المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»(٣).

ولا شك أن مثل هذه الأدلة ونحوها تثمر عند التطبيق بأثر هذه الوحدة الإسلامية التي تعتبر من توحيد الله تعالى، وتفريق الأمة من الشرك به كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، [وقال تعالى]: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١،٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩](٤).

فيبدأ تحقيق هذا الأثر بتحقيق توحيد الله الخالص الذي يربط العبد بربه ثم بربط المسلمين بروابط الأخوة الإسلامية التي تقوي علاقتة بعضهم ببعض.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٢).
(٢) تقدم تخريجه (ص٢٢).
(٣) تقدم تخريجه (ص٢٢).
(٤) انظر كتاب الأصول والثوابت وأثرها في وحدة الأمة الإسلامية للشيخ الدكتور زكريا المصري (ص٦٩)، مصدر سابق.

ولله در من قال :

تــوحــيــدُكــمْ للهِ مــنــهُ وحــدةٌ	لـجـموعِـكـمْ فـخـذوا بـرأيِ مُـدبّـرِ
وتـجـمّـعـوا أُمـمًـا وصـيـروا أُمَّـةً	فـالـملـكُ أعظـمُ بـالـعديـدِ الأكـثـرِ
كـونـوا كـبـنـيـانٍ يـشـدِّدُ بـعـضُـهُ	بـعـضًـا فـيـأمـنْ كـلَّ ريـحٍ صـرَصَـر
واللهِ لا حــــريــــةٌ إلَّا الــــتــــي	كُـتِـبَـتْ بـصـفِّ الـجـيشِ لا بـالأسـطـر
لا شـيءَ يـفـصـلُـكـمْ وهـذا ديـنُـكـمْ	ولـسـانُـكـم فـتـمسـكـوا بـالـجوهـرِ

الأثر الثاني ـ هيبة الأمم والشعوب لأمة الإسلام :

لقد وحَّد النبي ﷺ أمته وجعل منهم أمةً قويةً متماسكة تخاف صولتها وجولتها الملوك والعظماء رغم قلة الأتباع والعدة، **وإليك أخي القارئ الكريم هذين المثالين** :

المثال الأول : يقول أبو سفيان «إنه كان بالشأم في رجال من قريش قدموا تجارًا في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، قال أبو سفيان : فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء فأُدْخِلْنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم فقال لترجمانه : سلهم أيهم أقرب نسبًا إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

قال أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم إليه نسبًا، قال : ما قرابةُ ما بينك وبينه ؟

فقلت : هو ابن عمي وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر : أدنوه وأمر بأصحابي فَجُعِلُوا خلف ظهري عند كتفي ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي فإن كَذَبَ فكَذِّبُوه، قال أبو سفيان : والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني عنه ولكني استحييت أن يأثروا

الكذب عني فَصَدَقْتُه، ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت : هو فينا ذو نسب، قال فهل هذا القول أحد منكم قَبلَه؟ قلت : لا، فقال كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت : لا، قال : فهل كان من آبائه من مَلِك؟ قلت : لا، قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت : بل ضعفاؤهم، قال : فيزيدون أو ينقصون؟ قلت : بل يزيدون، قال فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت : لا، قال : فهل يغدر؟ قلت : لا، ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر - قال أبو سفيان ولم يمكني كلمة أن أدخل فيها شيئًا أنتقصه به لا أخاف أن تؤثر عني غيرها - قال : فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت : نعم،قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟ قلت : كانت دُوَلًا وسِجالًا يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى، قال : فماذا يأمركم؟ قال : **يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة** ...، قال : وهذه صفة النبي قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم، **وإن يك ما قلت حقًا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين**»[(١)].

مثال آخر:

ذكر بعض أهل السير أن الحجاج بن يوسف الثقفي[(٢)] طلب العديل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله (٣/ ١٠٧٤ رقم ٢٧٨٢)] من حديث ابن عباس.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم أبو محمد الثقفي، ولد سنة تسع وثلاثين وقيل سنة أربعين، سمع ابن عباس، وروى عن أنس بن مالك وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وغيرهم، وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير، ثم عزله عنها وولاه العراق، ثم قدم دمشق وافدًا على عبد الملك [تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٢/ ١١٣)، مصدر سابق].

ابن الفرخ العجلي[١] في قودٍ عليه، فخاف من الحجاج وهرب إلى الروم، ولجأ إلى قيصر فآمنه من الحجاج، فبعث الحجاج إلى قيصر «**لتبعثن إليَّ به أو لأغزونك بجيش أوله عندك وآخره عندي، فخاف قيصر وبعث به**»[٢]، ونحوها من الأمثلة الكثيرة.

وقد كانت هيبة الأمم والشعوب لأمة الإسلام حين كان المسلمون يدًا واحدة تطلب النصر أوالشهادة في سبيل الله وتعتز بدينها فلما دخلها حب الدنيا وشهواتها فقدت هذه الهيبة ولم يخشها الأعداء وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟، قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل[٣]، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟، قال «حب الدنيا وكراهية الموت»[٤].

الأثر الثالث ـ القوة والشجاعة الإيمانية.

فقد ضرب النبي ﷺ وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان أروع أمثلة البطولة والبسالة التي شهد لها العالم أجمع نتيجةَ ترابطهم وتكاتفهم في جميع الميادين على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وفي مقدمة تلك المواقف المشرفة كافة غزوات الرسول الأعظم الذي كان أشجع الناس.

---

(١) العديل بن الفرخ بن معن العجلي، وكان العديل هذا شاعرًا إسلاميًا مقلًا، وهو معروف في كتب السير بالشاعر العجلي، ولم أجد من توسع في ترجمته سوى ما وقفت عليه في قصته مع الحجاج في كتاب الوافي في الوفيات للصفدي (١٩/٢٥٣)، مصدر سابق.

(٢) انظر كتاب الوافي في الوفيات للصفدي (١٩/٢٥٣)، مصدر سابق.

(٣) ما يحمله السيل من وسخ.

(٤) تقدم تخريجه (ص٣٠).

قال ابن عمر: ما رأيت أحدا أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أضوأ وأوضأ من رسول الله ﷺ»[(١)].

ومن هذه المواقف العظيمة لسلف هذه الأمة التي تدل على أثر هذه القوة والشجاعة الإيمانية هذان المثالان:

الأول: ما حدث في غزوة مؤتة[(٢)] حيث خرج صحابة النبي ﷺ وعددهم ثلاثة آلاف لمقاتلة جيش هرقل، فبلغهم أن هرقل نزل بمآب[(٣)] في مائة ألف من الروم ومائة الف من المستعربة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعَان[(٤)] ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: **يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به،فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة.**

فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس»[(٥)] وأبلوا بلاء حسنًا رغم قلة عددهم وعدتهم لولا ما حباهم الله به من إيمان.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه بإسناد لا بأس به [في المقدمة، باب في حسن النبي ﷺ (١/٤٤ رقم ٥٩)].

(٢) موضع بالشام.

(٣) مآب: كورة من كور الشام كما في معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي (٢/٤٣٦)، مصدر سابق.

(٤) معان: بين الحجاز والشام حصن كبير على خمسة أيام من دمشق بطريق مكة [انظر معجم ما استعجم للبكري (٤/ ١١٧٢)،تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب،بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ].

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٢٤٣ ـ ٢٤٤)، مصدر سابق.

المثال الثاني :

ولَّى الروم نقفور ملكًا عليهم في زمن هارون الرشيد[(١)] «فكتب نقفور هذا الكتاب : من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد : فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق[(٢)]، فحملت إليك من أموالها وذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل قِبَلَك وافتدِ نفسك، وإلا فالسيف بيننا، فلما قرأ الرشيد الكتاب اشتد غضبه وتفرق جلساؤه خوفًا من بادرة تقع منه، ثم كتب بيده على ظهر الكتاب:

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم: قرأت كتابك يا ابن الكافرة. والجواب ما تراه دون ما تسمعه، ثم ركب من يومه وأسرع حتى نزل على مدينة هرقلة[(٣)] وأوطأ الروم ذلاً وبلاءً، فقتل وسبى، وذل نقفور، وطلب الموادعة[(٤)] على خراج يحمله، فأجابه فلما رد الرشيد إلى الرقة[(٥)] نقض

(١) أمير المؤمنين هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، وكان يكنى أبا موسى فتكنى بأبي جعفر، مولده بالري سنة ١٤٨هـ، حدث عن أبيه و جده و مبارك بن فضالة، وروى عنه ابنه المأمون وغيره، وكان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، كثير الغزو والحج، يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص، وكان يبكي على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وُعِظ [تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٨٣)، مصدر سابق].

(٢) الرخ والبيدق ويقال البيذق كلمتان أعجميتان، فالبيذق يطلق على سلطان الرجَّالة كما في تاج العروس (٢٥/ ٣٧) وأما الرخ فيقال في العربية: مشى فلان مشي الرخ، وكأنها كلمة مستقبحة فيها معنى الجور والتكبر، والله أعلم، ولم أجد لها تفصيلًا في المعاجم التي بحوزتي.

(٣) موضع في بلاد الروم كما في تاج العروس للزبيدي (١٢٨/٣١)، مصدر سابق.

(٤) الهدنة.

(٥) الرقة: مدينة بالعراق، وكل أرض إلى جانب وادٍ ينبسط عليها الماء أيام المد ثم ينحسر عنها فتكون مكرمة للنبات فهي رقة، وبذلك سميت المدينة [انظر معجم ما استعجم للبكري (٦٦٦/٢)، مصدر سابق].

نقفور، فلم يجسر أحد أن يبلغ الرشيد حتى عملت الشعراء أبياتًا يلوحون بذلك، فقال: أوقد فعلها فكرَّ راجعًا في مشقة الشتاء حتى أناخ بفنائه ونال منه مراده، وفي ذلك يقول أبو العتاهية[(١)]:

أَلا نادَت هِرَقلَةُ بِالخَرابِ ... مِنَ المَلِكِ المُوَفَّقِ لِلصَوابِ
غَدا هارونَ يَرعُدُ بِالمَنايا ... وَيَبرُقُ بِالمُذَكَّرَةِ القِضابِ
وَراياتٍ يَحُلُّ النَصرُ فيها ... تَمُرُّ كَأَنَّها قِطَعُ السَحابِ
أَميرَ المُؤمِنينَ ظَفِرتَ فَاِسلَم ... وَأَبشِر بِالغَنيمَةِ وَالإِيابِ»[(٢)]

فهذه هي شجاعة أهل الإيمان وهذه هي ثقتهم بالله، وهذا هو ترابطهم ضد الأعداء حتى خافهم الشرق والغرب فيا للمسلمين اليوم.

الأثر الرابع ـ صلاح المجتمع:

وينشأ صلاح المجتمع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه رابطة عظيمة تحلى بها أبناء الإسلام استجابةً لقوله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) أبو العتاهية الشاعر: أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي مولاهم الكوفي، نزيل بغداد، وأصله من سبي عين التمر، ولقبوه بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه، وقيل بل كان يحب الخلاعة فكني بأبي العتاهية لعتوه، وقد نسك بآخره، وقال في الزهد والمواعظ فأحسن وأبلغ، توفي في جمادى الآخرة سنة ٢١١هـ [تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/٤٥٨)، مصدرسابق].

(٢) كتاب العبر للذهبي (١/٢٩٦)، مصدر سابق.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التّوبة: ٧١].

وفي الحديث: «**الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قَالَ: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

وعن جرير بن عبد الله قال: **بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**[2].

وقد ظهر **هذا الخير والتناصح** في العهد النبوي وما بعده من القرون المفضلة ولا زالت له بوادر طيبة في المجتمع الإسلامي، وستظل بوادره المباركة قائمة في أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة مصداقًا لقوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم مَنْ خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[3].

فهؤلاء الناصحون المخلصون هم المعتصمون بحبل الله المتين وبشرعه القويم، من أبغضهم قصمه الله، ومن أحبهم أحبه الله وذلك متى أخلصوا الأخوة الصادقة فنصحوا وأحسنوا النصح لإخوانهم المسلمين.

وبفضل هذه الجهود والتآزر في سبيل الإصلاح يتم البناء لهذا المجتمع المبارك:

فالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ والشَّكْلُ مؤْتَلِفٌ ... والأزْرُ بالأزرِ مَشْدُودٌ بمشدودِ
ما زادَ كلُّ ظَهِيرٍ أمْرَ صاحِبهِ ... بأمْرِهِ غير تَثْبِيتٍ وتأْييدِ
كَلًا ولا زاد كلٌ مَجْدَ صاحبهِ ... بمجدِهِ غيرَ تَوْطيدٍ وتشْييدِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٩٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/ ١٥٢٣ رقم ١٩٢٠)] من حديث ثوبان.

الأثر الخامس ـ القضاء على البطالة والتخفيف من الفقر:

وذلك أن وجود الترابط الأخوي يفرض على المسلم الوقوف إلى جانب أخيه المسلم إما بالمساعدة والمواساة وإما بالبحث له عن فرص العمل التي تعود عليه بما يسد حاجته المعيشية، وهذا واضح من عدة أدلة شرعية، ومن ذلك:

قوله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»(١).

وقوله ﷺ: «**من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل**»(٢).

وقوله ﷺ: «**من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**»(٣)، و«جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رُؤِي ذلك في وجهه، **ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بِصُرَّة مِنْ وَرِق**(٤)، **ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عُرِفَ السرور في وجهه**، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (٤/ ١٧٢٦ رقم ٢١٩٩)] من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/ ٧٠٣ رقم ١٠١٦)] من حديث عدي بن حاتم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال (٣/١٣٥٤ رقم ١٧٢٨)] من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) من فضة.

(٥) تقدم تخريجه (ص٦٠).

وهذا عبد الرحمن بن عوف يطلب من سعد بن الربيع أن يدله على السوق كي يسترزق فيقول عبد الرحمن لسعد : «**بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق** ، [فدله على السوق فذهب واتجر] فربح شيئًا من أقط وسمن»(١) وتوالت الأيام حتى صار عبد الرحمن بن عوف من كبار تجار المدينة.

رُوي عن الزهري(٢) أنه قال : «تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفًا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى، وكان عامة ماله من التجارة»(٣)، وأمثلة كثيرة في هذا المضمار.

فالترابط الأخوي يُولِّد أثر المواساة وفرص العمل للإسترزاق الذي يدفع العالة ليُشْعر المسلم أنه مسؤول عمن استرعاه الله من الأبناء والأهل.

الأثر السادس : انكشاف المؤامرات على الإسلام وأهله:

إن انكشاف المؤامرات التي يقوم بها الأعداء ضد المسلمين مسؤوليةُ أمةٍ متعاونةٍ تدافع عن الدين والوطن وتذب عنه، وقد كان النبي ﷺ يضع الخطط ويرسل السرايا والجند إلى الثغور ومواطن التخوف من الأعداء لحراسة البلاد والعباد حفاظًا على المجتمع المسلم وأراضيه، وبهذا جاء الأمر الإلهي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠]، و«الرباط الملازمة في

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٨).

(٢) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله القرشي الزهري المدني الإمام، ولد سنة خمسين وحدث عن ابن عمر وسهل وأنس وغيرهم، وعنه عقيل ويونس والزبيدي وغيرهم، توفي في رمضان سنة١٢٤هـ[تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٠٨ وما بعدها)، مصدر سابق].

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٣٥٣)،مصدر سابق.

سبيل الله أصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطًا، فارسا كان أو راجلا»[(١)]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النِّسَاء: ٧١]، ومِنْ أَخْذِ الحَذَر من العدو تتبعُ مؤامرات الأعداء والمفسدين والمندسين التي يسعون لها ضد الإسلام وأهله من خلال الرباط على الثغور وعلى وسائل الإعلام وبَعْثِ السرايا والجند لنقل الأخبار ولو متخفين في الأسواق لمتابعة الرعية وأحوالهم ومراقبة الوافدين على بلاد الإسلام حتى لا يُحْدِثوا ضررًا ببلاد المسلمين من خلال تنقلاتهم وتجوالهم.

ولذا قال بعض أهل العلم: «ومن الجهاد أيضًا ما هو نافلة وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات الغِرْة وعند إمكان الفرصة والارصاد لهم بالرباط في موضع الخوف وإظهار القوة»[(٢)].

ومن هديه ﷺ قبيل غزوة بدر أنه «بعث بسبس بن عمرو الجهني[(٣)] حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني[(٤)] حليف بني النجار إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وعيره»[(٥)] التي أقبلت من الشام.

ومن ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كان يطوف المدينة ويتفقد أحوال الرعية فيها، قال أسلم[(٦)]: «بينا أنا مع عمر

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٤/ ٣٢٣)، مصدر سابق.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٨/ ١٥٢)، مصدر سابق.
(٣) بسبس بن عمرو الجهني، شهد بدرًا [الإصابة لابن حجر (١/ ٣٥٨)، مصدر سابق].
(٤) عدي بن أبي الزغباء واسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة الجهني الأنصاري شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ١٣)، مصدر سابق].
(٥) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(٦) أسلم العدوي مولاهم أبو خالد، ويقال أبو زيد، قيل إنه حبشي، وقيل من سبي عين التمر، أدرك زمن النبي ﷺ، وروى عن أبي بكر ومولاه عمر وعثمان وغيرهم، وعنه ابنه زيد والقاسم بن محمد ونافع مولى بن عمر وغيرهم، مدني ثقة من كبار التابعين، توفي سنة ٨٠هـ وهو ابن ١١٤سنة [تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٢٣٣)، مصدر سابق].

ابن الخطاب وهو يعس[١] المدينة إذ أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل وإذا إمرأة تقول لإبنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت لها: يا أمتاه وما علمت ما كان من عَزْمَةِ أمير المؤمنين اليوم، قالت وما كان من عزمته يابنية، قالت: إنه أمر مناديًا فنادى ألا يُشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لايراك عمر ولامنادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء **وعمر يسمع كل ذلك، فقال يا أسلم اعْلَمْ الباب واعْرِف الموضع، ثم مضى في عَسَسِه حتى أصبح**»[٢].

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير أن عمر: «أول من عسَّ في عمله، وحمل الدرة وأدب بها، وفتح الفتوح، ووضع الخراج، ومصَّر الأمصار، واستقضى القضاة، ودوَّن الديوان، وفرض الأعطية»[٣].

فالواجب على ولاة الأمر والرعية أن يكونوا يدًا واحدة للذب عن بلاد المسلمين وأن يتعاونوا جميعًا لما فيه مصلحة البلاد والعباد كما كان سلفهم الصالح رضوان الله عليهم.

الأثر السابع - التمكين لهذه الأمة:

لا شك أن التمكين في الأرض هبة الله لهذه الأمة المرحومة متى توحدت كلمتها وصدق إيمانها وحكَّمت شريعة ربها الذي وعدها بالتمكين والرفعة والنصر، فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النُّور: ٥٥].

---

(١) يطوف ليلًا.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٢٠٣)، مصدر سابق.

(٣) انظر [تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص١٢٣)، مصدر سابق، البداية والنهاية لابن كثير (١٣٣/٧)، مصدر سابق صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٢٧٧)، مصدر سابق].

فـ «هذا وعْدٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنًا وحكمًا فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه.

ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلَمَّ شَعْثَ ما وَهِي بعد موته ﷺ وأطَّد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس صُحبةَ خالد ابن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفًا منها وقتلوا خلقًا من أهلها، وجيشًا آخر صحبةَ أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثًا صحبة عمرو ابن العاص[١] رضي الله عنه إلى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بُصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة، ومَنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قيامًا تامًا لم يَدُرْ الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس وكَسَرَ كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا عبد الله وأبا محمد أمه النابغة من بني عنزة بفتح المهملة والنون أسلم قبل الفتح، ولما أسلم كان النبي ﷺ يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته وولاه غزوة ذات السلاسل، كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر ففتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين، مات سنة **٤٣**هـ على الصحيح [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٦٥٠)، مصدر سابق].

إلى أقصى مملكته، وقَصَرَ قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسولُ الله ﷺ.

ثم لما كانت الدولة العثمانية[١] امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك: الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة[٢] مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقَتَلَ كسرى وباد ملكه بالكلية، وفُتِحَتْ مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدًا وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن.

ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «**إن الله زوى[٣] لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ويبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها**»[٤].

فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله»[٥].

ثم طاف على هذه الأمة طائفٌ من الشيطان فأوقعهم في المهالك والفتن والمنازعات فتفرقت كلمتهم وتشتت شملهم وضعفت دولتهم حتى صاروا دويلات كثيرة، لا يجتمعون على كلمة واحدة بسبب بعدهم عن دينهم فغاب أثر التمكين الذي ينشأ من اتصال المسلمين بدينهم وترابطهم الوثيق وتعاونهم على الخير، ولكن مهما يكن من شيء فقد أخبرنا النبي ﷺ بعودة هذه القوة والتمكين والغلبة على الكافرين فقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة**

---

(١) يعني عهد عثمان بن عفان.

(٢) بلاد البربر بالمغرب.

(٣) بمعنى جَمَعَ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥ رقم ٢٨٨٩)] من حديث ثوبان.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٠١)، مصدر سابق.

حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله؛ إلاَّ الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1].

وهذا يدلُّ على أن الله سيخزي اليهود ويخذلهم ويُمَكِّن لأهل الإسلام فيعيدون أرض فلسطين للمسلمين بل سيعيدون خلافة الإسلام الراشدة بإذن الله تعالى بعز عزيز يعز به الإسلام وأهله ويذل به الكفر وحزبه.

والحاصل: أن هذه الآثار ونحوها تؤكد أهمية روابط الإخاء في المجتمع الإسلامي، وأن وجودها نجاح وفلاح لأمة الإسلام وأن غيابها خسارة وخيبة، فبها عز المسلمين وشرفهم ومجدهم ورفعتهم، ولا يزال المسلمون أقوياء ما بقيت فيهم أخوة الإسلام التي تكفل لهم كافة حقوقهم المشروعة.



---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٤/ ٢٢٣٩ رقم ٢٩٢٢)] من حديث أبي هريرة.

الخاتمة

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله على توفيقه، وإعانته، فقد تم هذا البحث بعد أن عشنا في روضةٍ إيمانية مباركة، تتبعنا من خلالها السبيل الأقوم لروابط الأخوة الإسلامية وصلاحها على ضوء الكتاب والسنة مع بيان ما عليه سلف هذه الأمة من الترابط والإخاء الإيماني، وبهذا الإستقراء الموجز لهذه الروابط الحية تظهر **أهم النتائج التالية** :

الأولى : معرفة حقيقة الأخوة الإيمانية، وقد تم معرفة ذلك من خلال :

(١) اللغة العربية.

(٢) القرآن الكريم.

(٣) السنة النبوية الشريفة.

(٤) حياة السلف ومن تبعهم بإحسان.

مع سرد شواهد مختلفة من كلام السلف وعلماء هذه الامة.

الثانية : ذكر أهم روابط الأخوة الإسلامية، وفي مقدمة ذلك النصيحة وحسن الظن والتعاون والأخلاق الفاضلة، وأن هذه الروابط ونحوها سبيل موصل إلى مرضاة الله، وأن الأنبياء والرسل لم يُبعثوا إلَّا لدعوة الناس إليها وفق مراد الله، وقد تبين ذلك من خلال سرد كثيرٍ من الآيات والأحاديث في طيات هذا البحث.

الثالثة : أن حاجتنا إلى هذه الروابط من أهم الأشياء وأولاها لأن

المجتمعات الإسلامية اليوم مليئة بالشوائب المختلفة والأدران المتعددة، ولا علاج لهذه المجتمعات إلَّا بوجودها، ومتى وجدت ظهر النفع في الأمة.

الرابعة : أن المؤاخاة على التعاون في أمر الله تعالى قد تكون ببذل المال لمن يُؤاخى عليه، وقد تكون بدعوته ونصيحته، وهذا عين ما تحقق في زمنه ﷺ وزمن القرون المفضلة الثلاثة.

الخامسة : أهمية النصح في الإسلام، **وأن نصيحة السر أزين وأوقع، ونصيحة الجهر أهتك وأعير**، وأن استعمال اللين والشدة حسب المصلحة والمفسدة مع تقديم اللين غالبًا.

السادسة : أن المجتمعات الإسلامية لا تُعَدُ نقيةً زكيةً خاليةً من الشوائب والمنغصات، وسوءُ الظن مُجَمْهِرٌ في نفوس الأبناء والآباء حتى يحسن ويرتفع شؤمه ودرنه، لأنه الداء العضال الذي حذر منه الشرع المطهر.

السابعة : أن نجاح التعامل مع الأمم والشعوب قائم على الأخلاق الفاضلة ونشرها بين المجتمعات، لأنها من متممات الدين ومحاسنه التي شرعها الله وحث عليها في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ.

الثامنة : **أن سبب افتقار هذه الأمة إلى الأخلاق في عصرنا الحاضر** تَطَبُّعُ بعض أبنائها بطابع الشرق والغرب وانشغالهم بدنياهم عن آخرتهم، وأن من شغلته دنياه عن آخرته انشغل عن شرائع الدين ومكملاته، وكل من ساءت أخلاقه جفت أخوته وفتر عن مكارم الأخلاق.

التاسعة : أن لروابط الأخوة الإيمانية آثارًا كثيرةً تكشف عن مدى أهمية إقامة الإخاء الإيماني الذي دعانا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسار عليه سلف هذه الأمة، ومن تبعهم بإحسان، **وتتلخص في محورين** :

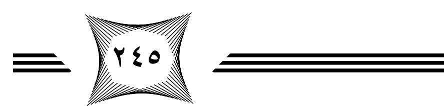
المحور الأول : آثار على الفرد، وتتلخص في اعتزاز المسلم بدينه، وشعوره بطمأنينة النفس، وأمنه على نفسه وماله وأهله، وشعوره بالحياة الكريمة، وحبه لمصاحبة الصالحين، وبركة الرزق والتأييد الإلهي ونحوها من الآثار.

المحور الثاني : آثار على المجتمع، وتتلخص في وحدة المسلمين، وهيبة الأمم والشعوب لأمة الإسلام، وظهور القوة والشجاعة الإيمانية، وصلاح المجتمع، والقضاء على البطالة والتخفيف من الفقر، وانكشاف المؤامرات على الإسلام وأهله، والتمكين لهذه الأمة ونحوها من الآثار الإيجابية.

التاسعة : أن هذه الآثار ونحوها تؤكد أهمية روابط الإخاء في المجتمع الإسلامي، وأن وجودها نجاح وفلاح لأمة الإسلام وأن غيابها خسارة وخيبة، فبها عز المسلمين وشرفهم ومجدهم ورفعتهم.

والله أسأل التوفيق والسداد في الدنيا ويوم المعاد، وصلَّى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





المصادر والمراجع

١ ـ **آداب الصحبة،** تأليف: أبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة: الأولى،١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢ ـ **آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة،** لبدر الدين الغزي، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م

٣ ـ **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم،** تأليف: صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٤ ـ **أحاديث في ذم الكلام وأهله،** تأليف: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي الرازي المقرئ، تحقيق د. ناصر عبد الرحمن محمد الجديع، دار أطلس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥ ـ **إحياء علوم الدين،** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٦ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،** تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة،** تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م.

٨ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين،** لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

١٠ ـ **الإخوان،** تأليف: عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١١ ـ **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار،** للنووي، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٢ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة،** تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،** لخالد بن عثمان السبت، مطابع أضواء المنتدى، غير مؤرخة.

١٥ ـ **الأصول والثوابت وأثرها في وحدة الأمة الإسلامية،** تأليف الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري، طبعة مركز حمزة للولاء والبحث العلمي، طرابلس ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٦ ـ **الأغاني،** لأبي الفرج الأصفهاني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٧ ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى،** تأليف: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

١٨ ـ **الإيضاح في علوم البلاغة،** لجلال الدين محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة،١٩٩٨م.

١٩ ـ **البداية والنهاية،** تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

٢٠ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢١ ـ **تاريخ بغداد،** لأحمد بن علي بن أبي بكر الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢ ـ **تاريخ الخلفاء،** تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

٢٣ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**، تأليف: خليفة بن خياط الليثي العصفري، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٢٤ ـ **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٦ ـ **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٧ ـ **التحرير والتنوير من التفسير**، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٨ ـ **تحفة الأحوذي**، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩ ـ **تذكرة الحفاظ**، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٠ ـ **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، للعلامة محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

٣١ ـ **تقريب التهذيب**، لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، حلب، الطبعة، الرابعة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٢ ـ **التفسير الميسر**، تأليف عدد من أساتذة التفسير، تحت إشراف الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي، طبعة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، الطبعة الأولى.

٣٣ ـ **تهذيب الكمال**، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

٣٤ ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر، دار صادر، بيروت، ١٣٢٦هـ.

٣٥ ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٦ ـ **تحرير ألفاظ التنبيه،** تأليف: يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٧ ـ **تعظيم قدر الصلاة،** تأليف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٨ ـ **تفسير القرآن العظيم،** لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٩ ـ **تلبيس إبليس،** تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥م ـ ١٩٨٥م.

٤٠ ـ **ثلاثة الأصول،** تأليف: محمد بن عبد الوهاب، مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى.

٤١ ـ **الثقات،** تأليف: محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٤٢ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٣ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم،** تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٤ ـ **جامع فهارس الثقات،** للحافظ محمد بن حبان البستي، لحسين بن إبراهيم زهران، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٥ ـ **جزء ابن عمشليق. أحمد بن علي بن محمد الجعفري أبو الطيب،** تحقيق خالد ابن محمد بن علي الأنصاري، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٦ ـ **الجامع الصحيح «سنن الترمذي»،** لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

٤٧ ـ **الجامع الصحيح المختصر،** لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٨ ـ **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح،** لابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن بن ناصر ـ د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ـ د. حمدان بن محمد الحمدان الناشر، دار العاصمة بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٤٩ ـ **جواهر الأدب،** للسيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٠ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن،** تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٥١ ـ **حاشية تقي الدين الندوي على موطأ مالك،** دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٥٢ ـ **حاشية السندي على النسائي،** تأليف: نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٣ ـ **حسن الظن بالله،** تأليف: عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٤ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،** تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٥٥ ـ **الحب في الله على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة،** تأليف صادق بن محمد العزاني البيضاني، مكتبة الأصالة والتراث الإسلامي، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٥٦ ـ **ديوان الحماسة،** لأبي تمام برواية الجواليقي، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥٧ ـ **الدر المنثور،** تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت،الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٥٨ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٩ ـ **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة،** لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٦٠ ـ **الرد الوافر،** تأليف: محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٣هـ.

٦١ ـ **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية،** لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٦٢ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد،** لابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية، بيروت ـ الكويت، الطبعة: الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٣ ـ **الزهد،** تأليف : هناد بن السري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٤ ـ **الزهد والورع والعبادة،** تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ.

٦٥ ـ **سنن أبي داود،** لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٦٦ ـ **سنن ابن ماجه،** لمحمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

٦٧ ـ **سنن النسائي الصغرى (المجتبى)،** تأليف أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٨ ـ **سنن النسائي الكبرى،** تأليف أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٩ ـ **سِير أعلام النبلاء،** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، ، بيروت، الطبعة التاسعة.

٧٠ ـ **السنن الكبرى،** تأليف أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة المعارف، الرياض ـ لا يعرف تحديد الطبعة، ولا تاريخها.

٧١ ـ **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية،** تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة.

٧٢ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة،** لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٧٣ ـ **شرح سنن ابن ماجه،** قديمي كتب خانة، كراتشي، طبعة قديمة وغير مؤرخة.

٧٤ ـ **شعب الإيمان،** تأليف أحمد بن الحسين البيهقي، حققه أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٤١٠ ـ ١٩٩٠م.

٧٥ ـ **الشريعة،** لمحمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، السعودية / الرياض، الطبعة الثانية ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.

٧٦ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى،** للعلامة القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٧٧ ـ **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية،** تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٧٨ ـ **صحيح ابن حبان،** تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٩ ـ **صحيح مسلم،** لمسلم بن الحجاج أبوالحسين القشيري النيسابوري، تحقيق فؤاد محمد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠ ـ **صفة الصفوة،** تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري ـ د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩.

٨١ ـ **صيد الخاطر،** لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتاب العربي،بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

٨٢ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول،** تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني، تحقيق محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٨٣ ـ **الصمت وآداب اللسان،** تأليف: عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٤ ـ **طبقات المفسرين،** تأليف: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٥ ـ **طبقات المفسرين،** لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٨٦ ـ **طبقات المفسرين،** تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، الطبعة الأولى.

٨٧ ـ **الطبقات الكبرى،** تأليف: محمد بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٨٨ ـ **العبر في خبر من غبر،** تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٨٩ ـ **العقيدة الواسطية،** تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ.

٩٠ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العيني، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٩١ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود،** لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

٩٢ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩٣ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،** لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى.

٩٤ ـ **فجر الإسلام،** أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت ـ الطبعة الحادية عشر : ١٩٧٩م.

٩٥ ـ **فضل العرب،** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم، القاهرة، ضمن مجموعة جامع الرسائل، الطبعة الأولى.

٩٦ ـ **فهرس أحاديث السنن الكبرى للبيهقي،** تأليف يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩٧ ـ **فهرس أحاديث المستدرك على الصحيحين**، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩٨ ـ **فهارس سنن النسائي**، دار الكتب العلمية، تأليف أبي يعلى محمد أيمن بن عبد الله بن حسن الشبراوي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٩ ـ **فهارس شرح صحيح مسلم**، للإمام أبي زكريا النووي، جمع صدقي بن جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٠ ـ**فهارس فتح الباري**، دار الكتب العلمية، لخالد عبدالفتاح، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٠١ ـ**فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

١٠٢ ـ**الفتاوى الكبرى** لشيخ الإسلام، تأليف: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٣ ـ**الفرق بين النصيحة والتعيير**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان ـ مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى، دمشق ـ بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢ م.

١٠٤ ـ**الفصول في سيرة الرسول**، لإسماعيل بن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٠٥ ـ**فضائل الصحابة**، تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٦ ـ**قاعدة في الجرح والتعديل**، للحافظ تاج الدين السبكي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ببيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

١٠٧ ـ**قاعدة في المحبة**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

١٠٨ ـ**قرى الضيف**، تأليف: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٠٩ ـ**قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق د. عاصم عبد الله القريوتي، شركة الشرق الأوسط للطباعة، ماركا الشمالية، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١١٠ ـ**القاموس المحيط**، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١١١ ـ**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٢ ـ**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٣ ـ**المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١١٤ ـ**الكفاية في علم الرواية**، لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة.

١١٥ ـ **لسان العرب**، لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم،دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى.

١١٦ ـ**لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**، تأليف: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١١٧ ـ**مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ـ ١٩٩م.

١١٨ ـ**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

١١٩ ـ**مجموع الفتاوى**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، بيروت، الطبعة الثانية ـ

١٢٠ ـ**مدارج السالكين**، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ـ١٩٧٣.

١٢١ ـ**مسند أبي يعلى**، تأليف أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٢٢ ـ**مسند الإمام أحمد**، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.

١٢٣ ـ**معجم البلدان،** لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢٤ ـ**معجم ما استعجم،** للبكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب،بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٢٥ ـ**معجم المطبوعات العربية،** ليوسف إلياس سركيس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٨م.

١٢٦ ـ**مفتاح دار السعادة،** لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٧ ـ**الأدب المفرد،** محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م.

١٢٨ ـ**ميزان الاعتدال في نقد الرجال،** للذهبي، تحقيق ودراسة علي بن محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

١٢٩ ـ**المتحابين في الله،** تأليف: ابن قدامة المقدسي، دار الطباع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٣٠ ـ**المستدرك على الصحيحين،** تأليف محمد بن عبد الله الحاكم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

١٣١ ـ**المعجم الأوسط،** لسليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرجه طارق ابن عوض الله وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣٢ ـ**المعجم الكبير،** لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣٣ ـ**مجمع الحكم والأمثال** لأحمد قبش، دار الرشيد للطباعة والنشر ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٣٤ ـ**المغرب في ترتيب المعرب،** للعلامة ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١٣٥ ـ**مكارم الأخلاق،** لعبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠ م.

١٣٦ ـ**المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها،** تأليف: أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، تحقيق أبي طاهر أحمد بن محمد السلقي الأصبهاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٨٦م.

١٣٧ ـ**الموافقات في أصول الفقه،** تأليف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

١٣٨ ـ**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** ليحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٣٩ ـ**النهاية في غريب الحديث والأثر،** تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٤٠ ـ**الوافي بالوفيات،** تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٤١ ـ**مداراة الناس،** تأليف: عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٤٢ ـ**مسند أمة الله مريم بنت عبد الرحمن الحنبلية،** تأليف: مريم بنت عبد الرحمن ابن أحمد بن عبد الرحمن، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

١٤٣ ـ**مشاهير علماء الأمصار،** تأليف: محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

١٤٤ ـ**معالم التنزيل،** تأليف: الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفه، بيروت.

١٤٥ ـ**مقدمة في أصول التفسير،** لابن تيمية، تحقيق عبد السلام بن محمد علوش، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٤٦ ـ**منازل السائرين،** لعبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٧ ـ**مختصر سيرة الرسول،** تأليف: محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، مطابع الرياض بالرياض، الطبعة: الأولى.

١٤٨ ـ**مدارك التنزيل وحقائق التأويل،** للعلامة عبد الله بن أحمد النسفي (٤/ ٣٦)، تحقيق: مروان الشعار، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤٩ ـ**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،** تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٥٠ ـ**الوسائل المفيدة للحياة السعيدة،** للسعدي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٥١ ـ**نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ﷺ، لمحمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٥٢ ـ**نصب الراية لأحاديث الهداية،** تأليف: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

١٥٣ ـ**نيل الوطر،** محمد محمد زبارة،تحقيق مركز دراسات والأبحاث اليمنية،دار العودة، بيروت.

١٥٤ ـ**هداية العارفين،** لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة